صفحات من تاريخ مصر (٦١)

المنشآت المعمارية في عصر الخديوى إسماعيل

دراسة تاريخية أثرية



أحمد محمد على

مكتبة مدبولى

صفحات من تاريخ مصر

هذه السلسلة تضم :

١- فتح العرب لمصر
٢- تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى
٣- الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على
٤- تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى
٥- تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
٦- تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر
٧- ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
٨- ج 1 تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا
٩- ج 2 تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا
١٠- فتوح مصر وأخبارها
١١- تاريخ مصر الحديث ٢/١
١٢- كتاب قوانين الدواوين
١٣- تاريخ مصر من محمد على إلى العصر الحديث
١٤- الحكم المصرى فى الشام
١٥- تاريخ الخديو محمد باشا توفيق
١٦- آثار الزعيم سعد زغلول
١٧- مذكراتى "إسماعيل باشا صدقى"
١٨- الجيش المصرى فى الحرب الروسية (حرب القرم)
١٩- وادى النطرون و رهبانه و أديرته
٢٠- فى صحراء العرب والأديرة الشرقية
٢١- الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض
٢٢- السلطان قلاوون (تاريخه ، أحوال مصر فى عهده)
٢٣- صفوة العصر فى تاريخ مشاهير رجال مصر
٢٤- المماليك فى مصر
٢٥- تاريخ دولة المماليك فى مصر
٢٦- تاريخ سلاطين بنى عثمان
٢٧- محمود فهمى النقراشى ودوره فى السياسة المصرية
٢٨- دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ٢/١
٢٩- مذكرات اللورد كيللرن
٣٠- عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم
٣١- خنقاوات الصوفية فى مصر ٢/١
٣٢- فاروق وسقوط الملكية فى مصر
٣٣- تحفة الناظرين فى من ولى مصر من الملوك والسلاطين
٣٤- تاريخ عمرو بن العاص
٣٥- القبائل العربية فى صعيد مصر
٣٦- علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب
٣٧- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (الجبرتى) ٥/١
٣٨- مصر فى العصر العثمانى فى القرن ١٦
٣٩- المواعظ والإعتبار (الخطط المقريزية) ٢/١
٤٠- صليب باشا سامى ١٨٩١-١٩٥٢
٤١- سيد مرعى شريك و شاهد على عصر الليبرالية
٤٢- سلار .. أمير التتر المسلم
٤٣- مالية مصر فى عهد الفراعنة
٤٤- الموسيقى الشرقية والغناء العربى
٤٥- الدليل فى موارد أعالى النيل
٤٦- الموسيقى الشرقية
٤٧- النخبة المصرية الحاكمة ١٩٥٢-٢٠٠٠
٤٨- الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ٢/١
٤٩- عصر سلاطين المماليك الجراكسة
٥٠- تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب
٥١- مشرفة بين الذرة والذروة
٥٢- قادة الشرطة فى السياسة المصرية
٥٣- عثمان محرم باشا
٥٤- أتابك العسكر فى القاهرة (عصر المماليك الجراكسة)
٥٥- السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة
٥٦- أحمد باشا الجزار
٥٧- محمد البرادعى الذى أربك العالم
٥٨- تاريخ البعثات المصرية إلى أوروبا
٥٩- حضارة مصر القبطية (الذاكرة المفقودة)
٦٠- محمد على باشا (عودة الذاكرة المصرية)
٦١- المنشآت المعمارية فى عصر الخديوى إسماعيل

مكتبة لسان العرب

الناشر

مكتبة مدبولى
MADBOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

المنشآت المعمارية
فى عصر الخديو إسماعيل

دراسة تاريخية أثرية

علي ، أحمد محمد.
المنشآت المعمارية في عصر الخديوي إسماعيل (صفحات من تاريخ مصر ٦١)
المؤلف: أحمد محمد علي غباشي
ط١. ــ القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١٤ م.
٢٨٤ص؛ ١٧× ٢٤ سم .
تدمك : 6ــ 807ــ 208ــ 977ــ 978
١ ــ مصر - تاريخ - العصر الحديث - عصر إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩م)
٢- العمارة الحديثة - مصر
أ ــ الخديوي إسماعيل، إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، ١٨٣٠ - ١٨٩٥
ب- العنوان.
ديوى ٩٦٢,٠٣٤
رقم الإيداع : ١٧٦٥٥ / ٢٠١٠م

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١١٤١٠١٣٣٢٠

(٦١) صفحات من تاريخ مصر

المنشآت المعمارية في عصر الخديو إسماعيل

دراسة تاريخية أثرية

أحمد محمد على غباشى

الناشر

مكتبة مدبولي

2014

﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

(صدق الله العظيم)

[البقرة : ٣٢]

شكر وتقـــدير

الشكر لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾

صدق الله العظيم

الشكر والتقدير للعلامة . الأستاذ الدكتور / رأفت الشيخ . أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر الذي لم يبخل على بوقت أو بعلم وأحب أن أقول له :

يـا أســـتاذاً للبيـان ليس بيـــانى   غـير حب يفيـض من وجـدانى

ليـس شـــعرى الـذى يصـــور   معنى من معانيك يا رفيع المعانى

الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور / محمود عبد الرازق عوض - أستاذ الآثار المصرية الذى ارتويت كثيرا من بحر علمه .

الشكر كل الشكر لكل من أ.د / هبة الله محمد فتحى - وكيل كلية السياحة والفنادق- جامعة قناة السويس .

أ.د / مفيدة الوشاحى - رئيس قسم الإرشاد السياحى بالكلية .

شكر خاص لـ أ.د / معتز خورشيد - نائب رئيس جامعة القاهرة السابق ومدير المجلس العربى للدراسات العليا على نصائحه الغالية .

الشكر الجزيل للأستاذ / نصر منصور - مدير عام المكتبات بجامعة القاهرة وكل العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة .

الشكر والعرفان لأمي الغالية التي جادت بزهرة عمرها من أجلى - وإلي رفيقة دربى وحياتى . إلي روح والدى اسكنها الله الفردوس الأعلى .

والله الموفق ،،،

مقـــدمة

يتناول هذه الكتاب المشروعات العمرانية وأثرها على السياحة فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وقد قمت بالتركيز على فترة الخديوى اسماعيل ، لما شهدته هذه الفترة من مشروعات عمرانية جديرة بالدراسة ، وجوانب اصلاحية متعددة فى شتى المجالات .

وقد سبق تناول الموضوع من وجهة النظر التاريخية من خلال عرض لأهم المشروعات العمرانية و الإنجازات الحضارية فى هذه الفترة . وهناك من تحدث أيضاً عن السياحة فى مصر فى القرن التاسع عشر بشكل مستقل . لذا فقد اهتممت بمحاولة الربط بين هذه المشروعات وآثارها على السياحة ، و التى تمثل صناعة من أهم الصناعات التى تؤثر بشكل كبير فى الاقتصاد المصرى ، وهى صناعة مركبة تدعمها العديد من المقومات كالعمران ، النقل و المواصلات ، الفنادق ، عوامل الجذب الثقافى كالآثار ، الأوبرا ، .... وغيرها .

وقد قسمت الموضوع الى سبعة فصول كما يلى :

"الفصل الأول" وقد تناولت فيه مشروعات المدن سواء المدن القديمة مثل القاهرة و الأسكندرية أو المدن الحديثة مثل بورسعيد والاسماعيلية .

فلاشك أن إسماعيل جعل من القاهرة حاضرة للبلاد تضاهى أعظم عواصم العالم واستطاع بفضل جهده أن يحقق مشروعه العظيم باريس الشرق . فها هى القاهرة ولدت من جديد على يد إسماعيل بشوارعها الجديدة وميادينها الواسعة وحدائقها الرائعة وإنارتها بالغاز وإدخال المياه الصالحة للشرب . وكيف استطاع

بعصاه السحرية أن يحول البرك والمستنقعات إلى جنات وقصور شامخة ومازالت حتى الآن شاهدة على إنجازات هذا الحاكم المحب لبلده . ولم تكن الإصلاحات قاصرة على القاهرة فقط، وإنما امتدت يد العمران إلى حاضرة البلاد الثانية "الإسكندرية " التى كانت فى ذلك الوقت بفضل مشروعاته مركز جذب سياحى هام لاسيما إنارتها بالغاز وإدخال المياه وشق الشوارع وبناء القصور وإصلاحاته لميناء الإسكندرية . وبورسعيد أيضاً نالتها عين الرعاية الخديوية، وكان الختام بالإسماعيلية التى حملت اسم الخديوى وظلت تذكاراً واعترافا بالجميل والفضل للخديوى إسماعيل .

أما " الفصل الثانى " فقد تحدثت فيه عن " مشروعات النقل والمواصلات " وكيف كانت سبباً فى نقل مصر حضارياً ، فالسكك الحديدية كونت حلقة وصل بين المدن الرئيسية فى الوجهين البحرى والقبلى فانتعشت حركة التجارة وحركة العمران وبالتالى حركة السياحة، لأن النقل أحد العناصر الهامة فى إتمام العملية السياحية . وانتقلنا إلى إدخال البريد والتلغراف فى مصر وكيف لعبا معاً دوراً هاماً فى الربط بين المدن والقرى المصرية . ومما زاد من الأهمية أن الأمر لم يكن قاصراً على النطاق المحلى وإنما تجاوز الحدود، وسيتجلى ذلك من اشتراك مصر فى المؤتمرات الدولية الخاصة بالبريد . أما النقل النهرى فكانت له أهمية كبيرة فى ذلك الوقت سواء بالنسبة للملاحة والنقل والتجارة أو بالنسبة للسياحة، وهانحن الآن نجد نهر النيل واستغلاله فى السياحة النهرية على خط القاهرة / الأقصر / أسوان بجانب مشاهدة أهم المعالم الأثرية فى المدن الرئيسية خاصة فى مصر الوسطى والأقصر وأسوان . وكان ختام الحديث فى هذا الفصل عن قناة السويس هذا الشريان المائى العظيم الذى كان بمثابة إعلان لانتقال مصر من المحلية إلى العالمية، وكانت قناة السويس وما تبعها من مشروعات متعلقة بافتتاحها لها تأثير بالغ فى حركة السياحة خاصة تمهيد طريق الأهرام – إنشاء الإسماعيلية ... إلخ .

الفصل الثالث تناول أهم مشروعات الرى سواء أهم الترع والقناطر وإصلاح القناطر الخيرية . ولا عجب أن هذه المشروعات أيضاً كان لها تأثير على حركة السياحة فها هى الترعة الإبراهيمية وقناطر التقسيم كما يقول عنها المهندس الإنجليزي (السير جون فولر) أن السائحين الذين يحضرون إلى مصر لمشاهدة الآثار القديمة أولى بهم أن يشاهدوا الآثار الجديدة وهى الترعة الإبراهيمية وقناطر التقسيم . وليس عجباً أن تصبح القناطر الخيرية التى أنشأها محمد على وقام بإصلاحها الخديوى إسماعيل هى الآن إحدى مقاصد الجذب السياحى بالنسبة للسياحة الترفيهية لسكان القاهرة الكبرى والمنوفية والمحافظات المجاورة .

أما مشروعات التعليم فقد تناولها " الفصل الرابع "، ولا شك فى أن إصلاحات إسماعيل فى التعليم هى نقطة تحول فى تاريخ التعليم فى مصر أو كما يصفه إلياس الأيوبى " بعصر إحياء العلوم والمعارف "، وكيف لا ؟ والتعليم هو أساس نهضة الأمم وتقدمها، وكذلك الاهتمام بإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية ونقل مظاهر الحضارة الأوروبية إلى مصر . كان هذا العصر من أزهى العصور، ولا شك فى أن التعليم هو أحد عناصر تقدم السياحة لأن الوعى السياحى من أهم عناصر إتمام العملية السياحية . والوعى السياحى لن يحدث إلا بالتعليم والثقافة وليس فقط من خلال العادات والتقاليد . ومما يؤيد كلامى هذا وجود كليات للسياحة والفنادق الآن حتى يكون العاملين فى هذا المجال مؤهلين علميا .

" الفصل الخامس " تناول المشروعات الثقافية مثل دار الكتب ودار الآثار ودار الأوبرا والجمعيات العلمية وكلها عناصر جذب ثقافى، سياحى ليس فقط فى هذا التوقيت وإنما حتى الآن . فالمتحف المصرى هو أهم عنصر جذب سياحى ثقافى ودار الأوبرا التى هى بمثابة نافذة تفتح على العالم ليرى المشاهد ثقافات وحضارات وعادات .

" الفصل السادس " تناول المشروعات البحرية خاصة ميناء السويس وميناء الإسكندرية وإنشاء الفنارات والشركات الملاحية وتأثيرها على حركة السياحة .

أما الفصل السابع تناولت فيه الحديث عن مفهوم السياحة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وأهم الأماكن السياحية والأنماط السياحية المهارسة فى ذلك الوقت .

وقد اعتمدت على كثير من المصادر و المراجع العربية أهمها الخطط التوفيقية لعلى مبارك ، تقويم النيل لأمين سامى ، تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا لإلياس الأيوبى . بالإضافة إلى العديد من الرسائل العلمية .

وأتمنى أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد نجحت فى إلقاء الضوء على فترة هامة فى تاريخ مصر ، وتقديم نشرة إرشادية سياحية حاولت فيها الربط بين التاريخ والسياحة.

والله الموفق ،،،

الفصل الأول

مشـــروعات المـــدن

أولاً: المـدن القديمـة

١ ـ القاهـــرة

٢ ـ الإسكندريـة

ثانياً : المدن الحديثــة

١ ـ بـور سعيد

٢ ـ الإسماعيلية

أولاً: المـدن القديمـة

١ ـ القاهـــرة

مقـــدمـة

كان عام ١٨٦٣ عاماً هاماً في تاريخ القاهرة . فهو العام الذي تولي إسماعيل باشا فيه الحكم، وهو أول حاكم منذ ٩ قرون يرتبط بمشروع شامل لتنمية المدينة، وكان هذا المشروع يمثل بالضرورة محاكاة لنموذج تنمية المدن الغربي الذي أظهرت فيه أوروبا تفوقها .[١] ليستكمل المشروع الأكبر" مصر الحديثة " الذي بدأه جده محمد علي باشا، فكل الأمور كانت مهيأة بهذا الإنجاز الضخم، وعلي رأسها القوة الاقتصادية الناتجة عن الارتفاع المفاجئ لأسعار القطن.[٢]

ولا شك في أن إسماعيل كان محباً للبناء والتجديد، عظيم الآمال في النهوض بأمته، فنظر إلي مدينة القاهرة فوجدها محصورة منكمشة في أحضان المقطم بأحيائها القديمة وأزقتها الضيقة . فمضي قدماً في استنباط وسائل التجميل والتحسين بفتح الشوارع وإنشاء المنتزهات والحدائق والقصور الفخمة اللائقة بعاصمة ملك الفراعنة وحاضرة التشريع الإسلامي.[٣]

---

(١) اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة – ترجمة لطيف فرج – صـ ٢٦٩ .

(٢) عرفه عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل – صـ ٢٧ .

(٣) محمد رمزي نظيم : قاهرة إسماعيل – إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته – صـ ٣٧٦ .

ومن هنا يتضح أن إسماعيل رمي إلى غرضين :[1]

الأول : إدخال ما يمكن إدخاله من إصلاح اجتماعي وصحى علي قاهرة المعز مع إبقائها علي ما هي عليه من ذاتية .

الثاني: إنشاء قاهرة أخري هي " قاهرة إسماعيل " مقامة علي أحدث الطرز العصرية بشوارعها الفسيحة وميادينها الواسعة وقصورها الفخمة النبيلة .

فكان تحديث القاهرة بالنسبة لإسماعيل رمزاً لارتقاء مصر حضارياً وتجسيداً لرغبته العارمة في أن يشهد الغرب عاصمة أوربية في القاهرة تحكم دولة عصرية تقوم علي ضفاف النيل ، تمتد من الإسكندرية إلي الخرطوم .[2]

فراح إسماعيل يزيل ما بقي شمالي قاهرة المعز من أكوام قذرة ، ويردم ما لم يزل من مستنقعات وبرك تبعث روائح كريهة، وينظف ما بين بابي الفتوح والنصر وقلعة الكبش والسيدة زينب.[3]

وكانت القاهرة علي موعد للدخول في عصر جديد من العمران الحضري في ربيع ١٨٦٨، حيث أقيم معرض باريس الدولي الذي كان فكرة البارون " هاوسمان " الذي أنشأ غابة بولونيا بالقرب من باريس ، وفكر الخديوي في هذا اللقاء أن يحول منطقة الأزبكية إلي حدائق منسقة علي هذا الطراز وهذا يؤكد استعانته فيما بعد بهذا المهندس.[4]

لم يكن لدي إسماعيل الوقت لإحداث تغيرات ضرورية تشمل القاهرة الشرقية، ففكر في استحداث مدينة جديدة تمثل واجهة للقاهرة القديمة من الجهة

(١) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل باشا المجلد الأول - صـ١٤٩ .
(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، صـ٢٧ .
(٣) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، صـ١٤٩.
(٤) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، صـ٢٨ .

الغربية . وبعد عودته من باريس بنحو شهرين، بدأ الخديوي إسماعيل خطوات التنفيذ لمشروعه الكبير . فكانت البداية أن قام بإسناد ديوان الأشغال العمومية إلي علي باشا مبارك، وكانت المهمة الرئيسية هي إعداد برنامج شامل لتخطيط وتطوير القاهرة طبقاً لطراز مدينة باريس .

وقد قام علي باشا مبارك بإعداد مشروع قانون يضع إطاراً لمشروعات إسماعيل العمرانية يختص بإعادة تنظيم المدينة، ووضع تقسيماً إدارياً، وكان ذلك في ٨ يوليو ١٨٦٨ فقام بتقسيم القاهرة إلي أربعة أقسام بحيث يضم كل قسم ثمنين من الثمانية أثمان التي أقامها محمد علي باشا .

" باب الشعرية مع الأزبكية، الدرب الأحمر مع الجمالية، الخليفة مع قوصون وعابدين مع درب الجماميز " وكانت النواحي مقسمة إلي أربعة أقسام وهي : مصر القديمة، بولاق، شبرا، الوايلي .[١]

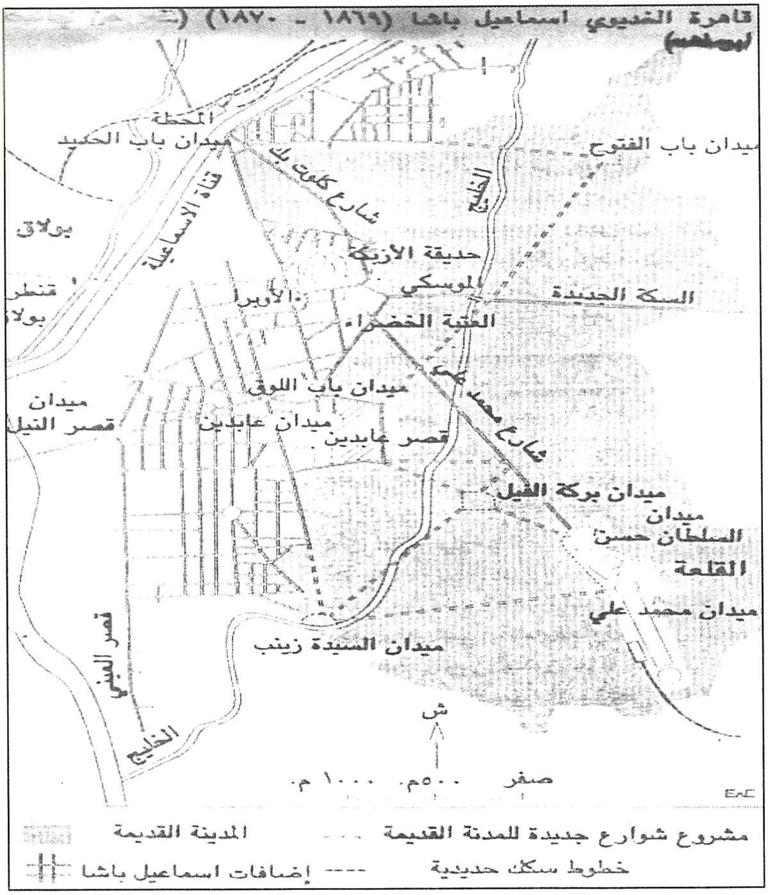
وتتضمن لائحة التنظيم ٣٤ بنداً بالإضافة إلي الاعلان الصادر من ناظر الجهادية بشأن بيان الرسوم اللازم تحصيلها بديوان الاشغال العمومية .[٢]

والواقع أن تلاقي " تخطيط المدينة الحديثة " و" تخطيط مؤسسات التعليم " لم يكن محض صدفة . فأعمال علي باشا مبارك كانت تعبر عن اهتمامات عصره، فالشوارع تمهد والمدارس تشيد، تعبيراً عن إنجاز لنظام ثقافي وترتيب اجتماعي .

(١) اندريه ريمون : المرجع السابق ، صـ٣٧٣ .

(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق صـ٣٢ .

شـــكل (١)



المصدر : اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة فؤاد لطيف نقلا عن جانيت أبولند

شـــوارع القاهـــرة

كان إسماعيل باشا شغوفاً بحب البناء والتعمير ولوعاً بحب التنسيق والتجميل، لم يعبأ بجهد أو مال في سبيل إصلاح عمران البلاد .

فرأي ببصره الثاقب أن الحاجة ماسة إلي تنظيم الأحياء ، وإنشاء الميادين ، وشق الشوارع والحارات . فأنجز ذلك كله بطريقة هندسية دقيقة تشهد له بالبراعة في هذا المضمار . وقد روعي في تخطيط هذه الشوارع أن تكون مستقيمة ، أغلبها

متقاطع علي زوايا قائمة ، وجعل في جانبي كل شارع وحارة إفريزاً للمشاة، وخصص الوسط للعربات والحيوانات، ورصف أرضها بالدقشوم ، ومدت في جميعها مواسير الماء للشرب والرش وري البساتين ، ونصبت فيها مصابيح الغاز للإنارة ، كما امتدت شبكة المجاري العمومية فيها .[١]

ومـن أهـــم هـذه الشــوارع :

شارع قصر النيل

هو أشهر شوارع وسط القاهرة، يكاد يكون الشارع الوحيد الذي لم يتغير اسمه حتي الآن، لأنه فعلاً شارع له تاريخ وصفحة من صفحات تاريخ مصـر.[٢] ويعتبر القائد العظيم إبراهيم باشا أول من فكر في تعمير المنطقة الممتدة الآن من " كوبري أبو العلا " شمالاً إلي ما بعد كوبري قصر النيل جنوباً عندما أمر بتمهيد تلك الأرض وردمها وتسويتها كجزء من تجميل الشاطئ الشرقي لنيل العاصمة . وكجزء من اهتمام سعيد باشا بالجيش والبحرية أنشأ ثكنات للجيش المصري في منطقة قصـر النيل ، وكانت هذه بداية اكبر حركة تعمير في هذه المنطقة وهي الأساس الذي تحرك عليه إسماعيل باشا .

وبعد أن تولي إسماعيل باشا حكم مصر، أمر بالتوسع في تعمير المنطقة الممتدة من شاطئ النيل عند ثكنات الجيش إلي باب اللوق . وكلف كبير مهندسى مصـر علي باشا مبارك بتحويل تلك المنطقة الي واجهة حضارية للعاصمة .

وفي عام ١٨٧٤م، بلغت المساحة التي شغلتها المباني ٢٥٧ فداناً، احتلت شبكة الطرق منها ٣٠٪، وشغلت المباني ١٣٪، واحتلت الباقي حدائق شاسعة تمثل

---

(١) مصطفي فهمي : القصور والمنشآت : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته صـ٣٧١ ، صـ٣٧٢ .

(٢) عباس الطرابيلي : شوارع لها تاريخ – صـ٥٣ .

الاحتياطي للتوسع العمراني . وهكذا ظهرت شوارع قصر النيل، سليمان باشا، قصر العيني، ويبلغ طول شارع قصر النيل ١٢٥٠ متراً. (١)

وبعد ذلك أمر الخديو اسماعيل بنقل المدرسة الحربية التي أنشأها سعيد باشا في القناطر الخيرية إلي ثكنات قصر النيل لزيادة تعميرها .

فقصر النيل ليس مجرد شارع تم دكه بالحجر الدقشوم ، وليس هو مجرد أثاثات للجيش ومدرسة حربية ولكن قطعة من تاريخ مصر .

أما التمثال الذي كان مقرراً إقامته للخديوي إسماعيل فوق القاعدة التي أقيمت في ميدان الإسماعيلية " التحرير " فقد وصل إلي الإسكندرية من إيطاليا بعد ثلاثة أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو، ولهذا لم يكتب للخديوي أن ينعم بتمثاله في الحي الذي أنشأه .

كوبري قصـــر النيــل

كوبري الجزيرة أو كوبري قصر النيل ، هو أول كوبري يشيد علي نيل القاهرة . فعندما كان العمل جارياً في سراي الجزيرة ، لم يعد من اللائق إبقاء العبور من شاطئ إلي شاطئ علي صف من المراكب المربوطة إلي بعضها ممدود عليها ألواح من الخشب، وبات من الحتمي تشييد كوبري يتناسب مع فخامة الأحياء التي سيربط بينها . (٢)

وفي عام ١٨٦٩ عهد إلي شركة " فيف ليل " الفرنسية لتنفيذ الفكرة . وبلغ طول الجزء الأول من ظهر الكوبري ٥٠٠ قدم . (٣)

وفي ١٠ فبراير ١٨٧٢ افتتح الكوبري رسمياً ، وبلغ طوله ٤٠٦ متر، وعرضه عشرة أمتار ونصف المتر، منها ثلاثة أمتار للإفريزين ، وله فتحتان ملاحيتان ، ويدار الجزء المتحرك منه باليد .

(١) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، صـ ٥٥ .

(٢) عرفه عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل ، صـ٧٦ .

(٣) أمين سامي : تقويم النيل في عصر إسماعيل . المجلد الثاني من الجزء الثالث صـ٩١٩ .

وبالنسبة للتماثيل الأربعة (تماثيل السباع) والتي صنعت في إيطاليا من البرونز ، فكان ثمنها وتكاليف شحنها إلي الإسكندرية ما يعادل ٨٤٢٥ جنيهاً مصرياً .

ثم تقرر هدم كوبري قصر النيل لإنشاء كوبري آخر محله . وطرح في مناقصة يوم ٥ مارس ١٩٣٠، ورست المقاولة علي شركة " دورمان لونج " الإنجليزية . وهو الكوبري الحالي الذي افتتحه الملك فؤاد في عام ١٩٣٣ واطلق عليه اسم والده الخديوي اسماعيل اعترافاً بفضل المنشئ الاول لكوبري قصر النيل القديم، وأصبح طول الكوبري الجديد ٣٨٢ مترا و٢٠ سم وعرضه ٢٠ مترا ، وأعيد تركيب الأسود الأربعة علي مدخل الكوبري لكن علي ارتفاع أقل مما كانوا عليه .[١]

وقبل أن نترك قصر النيل لا يفوتنا الإشارة إلي أمر يراه البعض غريباً ولكنه أمر واقعي، وهو فرض رسوم يدفعها كل من يعبر الكوبري القديم الذي أنشأه الخديوي إسماعيل سواء من البشر أو الدواب . وقد نص المرسوم الذي نشرته " الوقائع المصرية " يوم ٢٧ فبراير ١٨٧٢ بعد ١٧ يوم من افتتاح الكوبري للمرور، علي تحصيل رسوم عبور من المارة، ونص المرسوم أيضا علي أن هذه الرسوم تخصص للإنفاق علي لوازم الكوبري .[٢]

كوبري البحر الأعمى (الجلاء)

أنشئ هذا الكوبري عام ١٨٧٢، ويقابل كوبري قصر النيل علي الفرع الغربي ويصل الجزيرة بالجيزة .[٣] وقد قامت بإنشائه شركة إنجليزية وتكلف أربعين ألفاً من الجنيهات .[٤] . أما الكوبري الحالي فقد شيد ١٩١٤، وسمى كوبري الإنجليز ويبلغ طوله ١٤٥٠ متر وعرضه ١٩ متر منها ثلاثة أمتار ونصف للإفريزين . وقد

(١) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، صـ٦٢ .
(٢) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، صـ٦٣ .
(٣) شحاته عيسي : القاهرة ، صـ٣٠٩ .
(٤) عباس الطرابيلي : المرجع السابق ، صـ ٦٣ .

اشتهر بكوبري بديعة حيث كان كازينو بديعة مصابني في موقع شيراتون القاهرة . وعقب ثورة يوليو أطلق عليه كوبري الجلاء .[1]

ميدان الإسماعيلية (التحرير)

هو قلب القاهرة الأوروبية أو القاهرة الحديثة التى تطورت وفق نسيج عمرانى مختلف تماماً عن النسيج العمرانى للمدينة القديمة . كانت الحدائق بحى الإسماعيلية تمثل فى عام ١٨٧٤ أكثر من نصف مساحة الحى (نحو ٦٣ هكتاراً)، وكان يمكن اعتبار هذا الحى بمثابة حديقة كبيرة حيث كان المبنى كله محاطاً بالأشجار والأزهار .[2]

وسمى الشارع المؤدى إلى كوبرى قصر النيل باسم الإسماعيلية (نسبة إلى سراى الإسماعيلية) التى شيدها الخديوى إسماعيل على جزء من الأراضى والأملاك التى وهبها إلى قرينته الثالثة " جشم آفت خانم أفندى "، والتى تشمل معظمها منطقة الإسماعيلية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإحتياطى العقارى الكبير المتمثل فى حدائق حى الإسماعيلية قد شهد تحولات ضخمة ومتباينة تبعاً للطلب فى سوق العقارات ونوعية الطرز المعمارية . ففى الفترة من ١٨٧٤ حتى ١٨٩٠ بدأ تقسيم الأملاك الكبرى وشق شوارع لتوزيع قطع الأراضى الجديدة، وكانت الطرز المعمارية لفيلات أو عمارات صغيرة مصفوفة .[3]

ففى عام ١٨٧٤ تم تقسيمها إلى تسع قطع مختلفة المساحات، أكبرها نحو ١٢٠٠ م٢ وقد أدى هذا التقسيم إلى ظهور شارع " الشواربى " فى البداية، ثم افتتح شارعا " البورصة الجديدة والفضل " .

(١) إبراهيم صبحي السيد غندر ثابت : أعمال المنافع العامة بالقاهرة منذ بداية القرن ١٩ وحتي منتصف القرن ٢٠ - رسالة دكتوارة - كلية الآثار - جامعة القاهرة - صـ٨٤٠ .

(٢) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، صـ ٥٩ ، صـ ٦٠ .

(٣) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، صـ ٦١ .

الخطوط العريضة لحى الإسماعيلية - الذى أصبح وسط المدينة مستقبلاً - أصبحت واضحة المعالم بما فيها الشوارع التى لا تزال نشطة للغاية حتى يومنا هذا " قصر النيل، شارع شريف، عماد الدين، الفلكى، قصر العينى ، سليمان باشا " . وهنا تجدر الإشارة إلى أن مدابغ الجلود بالقاهرة كانت بجهة حوش الشرقاوى ، وسوق العصر جنوبى ميدان باب الخلق حيث نقلت إلى أرض اللوق، ثم نقلت فى عام ١٨٦٥ إلى موقعها الحالى خلف سورى مجرى فم الخليج[١] .

وكما ذكرنا سابقاً، لم ينعم إسماعيل بوضع تمثاله فى الميدان الذى أنشأه حيث وصل بعد ثلاثة أيام من قيام ثورة يوليو١٩٥٢ .

شـــكل (٢)



شارع قصر النيل

(١) عرفه عبده على ، المرجع السابق ، صـ٦٣ .

الأزبكيـــة

بركتان كانتا ملء السمع والبصر فى القاهرة فى عصر محمد على الكبير . الأولى بركة الفيل والثانية بركة الأزبكية، ولكنهما ذهبتا ولم يبق منهما إلا الاسم .

فبركة الفيل كانت بمثابة حى الزمالك الآن، كان فيها قصور الأمراء طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان بها ثلاثة أرباع قصور الأمراء حول البركة .[1]

أما بركة الأزبكيه فيقول عنها الجبرتى " أن شهرتها كانت كمركز للتنزه والملذات والمتع الليلية فى زمن الفيضان "، وأصبحت منطقة جذب للطبقة البرجوازية من البكوات وكبار التجار والأعيان .[2]

وفى هذا الصدد أيضاً يذكر إلياس الأيوبى " أنه مع مرور الوقت أساء سكان تلك القصور لاسيما القناصل الأجانب، استعمال الترعة ذات العشرة أمتار عرضاً وحولوا مجراها فى أيام التحاريق إلى إسطبلات لدوابهم وزرائب لطيورهم ودجاجهم . ثم لم يلبثوا أن طلبوا ردمها زاعمين أن حيات خبيثة تنبعث منها ، فردمت وفقدت الأزبكية بذلك خير جزء من أسباب بهجتها . فأهملت، ثم باتت مكان يرتكب فيه أعمال عربدة وسكر فى القهوات والحانات المنتشرة فى حطباتها، وأعمال سرقة وتهتك تحت ظل أشجارها " .[3]

ويرجع اسم الأزبكيه إلى الأتابك أزبك بن ططخ الذى بدأ فى تعميرها عام ٨٨٠ هـ .[4]

(١) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١٤٣ .

(٢) عرفه عبده علي ، المرجع السابق ، صـ ٤٠ .

(٣) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخيوى إسماعيل باشا ، المجلد الاول ، صـ ١٤٥ .

(٤) كان أحد مماليك الأشرف برسباى ثم اشتراه الظاهر جقمق وزوجه ابنته ثم عين نائباً على الشام أيام الظاهر بلباى ثم أتابكاً أيام الأشرف قايتباى .

وفى عهد الخديوى إسماعيل ، تم تكليف المهندس الفرنسى الشهير "هوسمان" بإعادة تخطيط منطقة الأزبكية . ولم يكن هدف إسماعيل مجرد تجميل منطقة الأزبكية فحسب، وإنما كان يخطط لتحويلها إلى " صرة " لعاصمته الجديدة التى يحلم بها . كان يريدها أن تكمل مشروعه الآخر بتخطيط منطقة الإسماعيلية بين كوبرى قصر النيل وميدان التحرير وشوارع وسط القاهرة كلها .[1]

وقال الخديوى للمهندس الفرنسى : أريد الأزبكية قطعة من باريس تجمع بين جمال حدائق غابة بولونيا فى باريس وبين منطقة أوبرا باريس والأحياء التجارية حولها . وقد تم ردم بركة الأزبكية عام ١٨٦٤ بعد أكثر من أربعة قرون ، وأنشأت حديقة الأزبكية ١٨٧٢ . وكجزء من تعمير هذه المنطقة تم إنشاء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ . – سوف يتم الحديث عنها فيما بعد – وفى عام ١٨٧٣ أقيم تمثال إبراهيم باشا والد الخديوى إسماعيل ، ونفذه المثال " كورديه " ، وتكلف ١٥٤٣٠ جنيها ، وتكلفت قاعدته ٢٨٩٠ جنيها .[2]

(١) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١٤٦ .

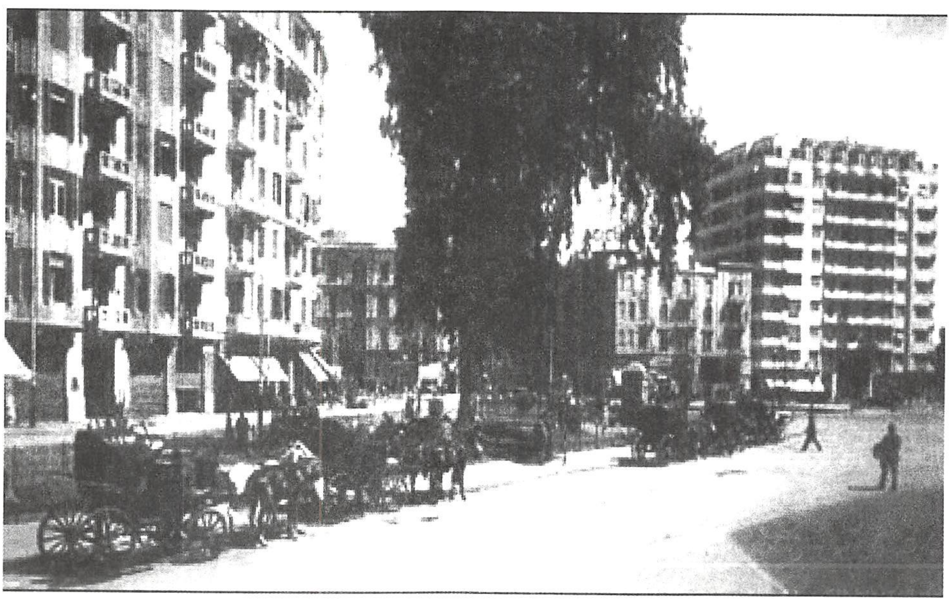
(٢) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١٤٦ .

شكل رقم (٣)



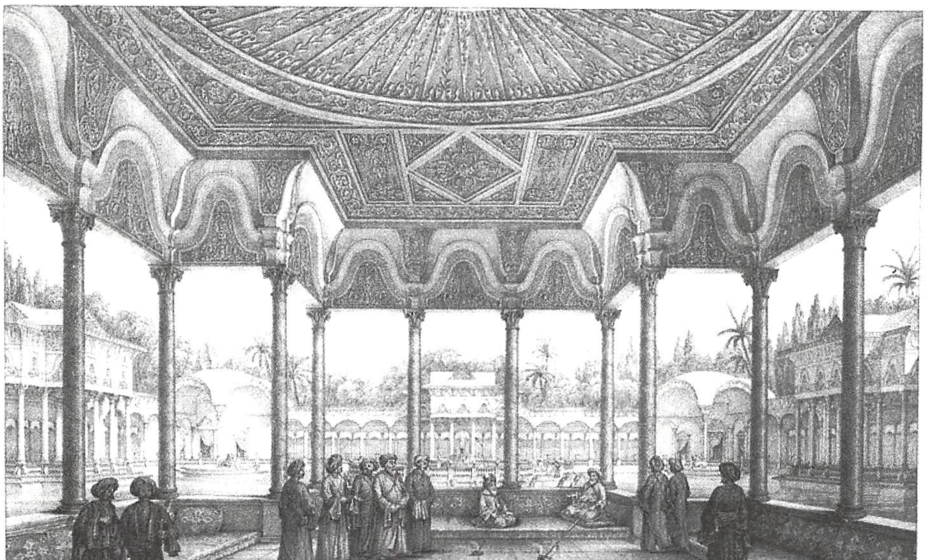
ميدان طلعت حرب

شـــــكل (٤)



ميدان الاسماعيلية (التحرير)

شـــكل (٥)



عصر إسماعيل

منطقة الأزهر والعتبة

نبدأ الحديث فى هذه المنطقة بالإشارة إلى " شارع كلوت بك " الذى افتتح فى عام ١٨٧٥، ويبدأ من ميدان باب الحديد وينتهى بميدان الخازندار ويعتبر امتداد لشارع محمد على.[١]

ويبلغ طول هذا الشارع كيلو مترين ونصف، وقد استلزم شقه القيام بهدم سبعمائة منزل وعدد كبير من المبانى من بينها بعض المبانى التاريخية مثل جامع قوصون الذى لحقت به أضرار يتعذر إصلاحها.[٢]

وقد شيدت واجهات منازله فوق بواك على نفس الطرز المستخدمة فى الريف الفرنسى فى ذلك العصر، واشتمل على عدد من الفنادق المتوسطة، وقسمت منطقة الفجالة بدءاً من ترعة الإسماعيلية إلى سور القاهرة عرضاً، ومن جامع أولاد عنان إلى بوابة الحسينية طولاً لتصبح حياً عامراً بالدور والقصور والحوانيت والمتنزهات .

شارع عبد العزيز : افتتح الشارع الممتد من ميدان العتبة الخضراء إلى ميدان عابدين، وسمى باسم السلطان عبد العزيز تخليداً لزيارته لمصر . وقد وصل للقاهرة مستقلاً القطار من الإسكندرية . وكان إسماعيل قد أصدر أمراً إلى محافظة مصر ببيان المحلات والأماكن اللازم شراؤها من طرف الميرى لأجل تنفيذ الشارع المستجد من سراى العتبة لحد عابدين.[٣]

أما شارع الأزهر، عندما بدأ تنفيذ فتح هذا الشارع تم إزالة جامع أزبك وحمامه الذى كان معروفاً بحمام العتبة الخضراء . وشارع الأزهر هو أعرض الشوارع التى تخرج من ميدان العتبة، ويرجع الفضل إلى الخديوى إسماعيل بإكمال شارع الأزهر

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٥٨ .
(٢) اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة فؤاد لطيف - صـ ٢٧٥ ، صـ ٢٧٦ .
(٣) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٥٨ .

وإنارته بالغاز وتنظيفه ثلاث مرات يوميا، وتحفه أرصفة مظللة بالأشجار أو مغطاه بالعقود.[1]

شارع القلعة (محمد على) : بدأ التفكير فى شقه أيام محمد على باشا عام ١٨٤٦، ولكن تم فى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٨٧٤ . ليبدأ من جهة العتبة الخضراء ويصل إلى جامع السلطان حسن . وتولى شقه وتجهيزه ديوان الأشغال الذى كان يشرف عليه على باشا مبارك ، وتم شراء المبانى التى كانت تعترض هذا المشروع الحيوى وكذلك المحال التجارية . وقد تكلف شق هذا الشارع وتعويض أصحاب المبانى حوله حوالى ٧٨٦٤٥ جنيهاً و٤٤٨ مليماً.[2]

وفى عهد إسماعيل باشا تم توسيع شارع الموسكى وفتح امتداده شارع السكة الجديدة (جوهر القائد) إلى ميدان العتبة، وكان أمر كريم قد صدر إلى ضبطية مصر فى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٨٠ هـ بشأن شراء الأماكن والدكاكين التى كانت تلزم لتوسيع الطريق . وينسب شارع الموسكى إلى الأمير " عز الدين موسك " أحد أمراء الدولة فى عهد صلاح الدين الأيوبى .[3]

جـاردن سيتى

أساس هذه المنطقة التى وصفت يوماً بأنها سلة أزهار انبثقت منها القصور الفخمة والدور البديعة، هو " القصر العالى " الذى شيده الفاتح إبراهيم باشا الذى كان يحده النيل غرباً، ويصل جنوباً إلى شارع قصر العينى، وشمالاً إلى ميدان الشيخ يوسف.[4]، وكذلك القصر الذى شيده لولده الأمير أحمد باشا.[5]

---

(١) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١٦١ .

(٢) عباس الطرابيلى : نفس المرجع صـ ١٦١ نقلاً عن تقويم النيل فى عصر إسماعيل لأمين سامى باشا .

(٣) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٥٩ .

(٤) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١١٦ .

(٥) عرفه عبده على : المرجع السابق صـ ٨٠ (هو احمد باشا رفعت الإبن الأكبر لإبراهيم باشا وأخو الخديوى إسماعيل) .

وفى واقع الأمر كان القصر العالى مكوناً من قصرين يجمعهما سور واحد، والقصر الجنوبى خصصه لزوجه الأميرة خوشيارهانم والدة الخديوى إسماعيل، والقصر الشمالى خصصه لزوجه الأميرة شيوه كارفادين .

وفى أواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديوى إسماعيل بن إبراهيم باشا لوالدته عن القصر العالى مع الأراضى الملحقة به. وفى أغسطس ١٨٧١ أصدر إسماعيل باشا أمراً بكتابة حجة " مستند تمليك " باسم زوجته الثالثة لبناء سراى جديدة هى سراى الإسماعيلية.

ومن هذا يتضح أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ٣ قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غرباً وهى : القصر العالى، قصر أحمد باشا، سراى الإسماعيلية والتى هى الآن مجمع التحرير.[١]

الشاطئ الغربى للنيل

كان النيل بعد أن يمر تحت مبانى السكن بالجيزة يسير إلى الشمال مائلاً للغرب قليلاً فيمر شرقى مبني كلية الزراعة، ثم يسير مخترقاً أرض حديقة الحيوان، ثم يمر شرقى مبني كلية الهندسة إلى أن يصل إلى شارع الدقى فيسير محاذياً له من الجهة الشرقية، ثم يسير ماراً شرقى مبنى وزارة الزراعة فمتحف وزارة الزراعة فعزبة الحوثية، ثم يسير مائلاً الى الشرق حتى يتلاقي بمجراه الحالى جنوب سكة مدينة إمبابه . ولما تولى الخديوى اسماعيل حكم مصر في أوائل ١٨٦٣ أمر بتحويل مجرى النيل الأصلى من الغرب حيث كان يمر تحت سكنه ناحية الدقى إلى الشرق (حيث يوجد الآن شارع الجيزة وشارع النيل) . وفى سنة ١٨٦٣ بدأ ديوان الهندسة بإجراء عملية التحويل بإقامة جسر في النيل بين مدينتى الجيزة وإمبابة. وفى سنة ١٨٦٥ تمت هذه العملية وأخذ النيل يسير في مجراه تحت الشارعين السابقين ذكرهما.[٢]

(١) عباس الطرابيلى : المرجع السابق ، صـ ١١٦ .

(٢) شحاته عيسي : القاهرة ، صـ ٣١٠ .

ونتج عن تحويل مجرى النيل تخلف أرض واسعة امتدت من الجيزة إلى إمبابة محاذية للنهر . فقام بعمل غابة من الأشجار، وقام بتخطيطها المهندس "باريل بك"، وكانت تشمل حدائق الأورمان وحدائق الحيوان وتمتد حتى موقع (كلية الفنون التطبيقية ومدرسة الأورمان حيث موقع سراى الجيزة).(١)

تزويد القاهرة بغاز الإنارة والمياه

من أهم المرافق التى واكبت تلك المشروعات العملاقة ، محولات لتزويد القاهرة بمياه الشرب والغاز، ومجاري للصرف الصحي .(٢)

وفى ١٥ فبراير عام ١٨٦٠ منحت الحكومة المصرية للشركة التى يملكها "شارل لميبون" والتى كانت تقوم بتزويد مدينة الإسكندرية بالغاز امتيازاً لتزويد القاهرة ومصر القديمة وبولاق بالغاز وكانت مدة الامتياز ٧٥ سنة .(٣) ومنحت الشركة قطعة أرض فى بولاق لتقيم عليها محطتها .

وفى ابريل ١٨٦٧ كان ميدان باب الحديد مضاءاً بالغاز احتفالاً بدخوله كخدمة عامة، ومن بين الأماكن الأولى التى استفادت من الخدمة الجديدة منطقة الأزبكية وحى الإسماعيلية الجديد والشوارع الرئيسية وقصور الخديوي .(٤)

وفى مايو ١٨٦٥ كانت الحكومة قد منحت امتيازاً للشركة التى يملكها " مسيو كورديه " لتزويد القاهرة وتوابعها بالمياه – هو الذي اشرف على تزويد أربعين مدينة فرنسية بالمياه – وتأسست شركة مساهمة لتمويل المشروع، غير أن المشروع قد صادفته عقبات مالية وهندسية انتهت بإعفاء كورديه من مهمته ، مما أدى إلى تأخر الانتهاء من تنفيذ المشروع إلى عام ١٨٧٢ . وفى ذلك العام مدت شركة المياه شبكة مزدوجة من

---

(١) محمود محمد فتحي الألفي : العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن ١٩ . اسرة محمد علي بالقاهرة – ١٨٠٥ – ١٨٩٩ – رسالة دكتوراه – كلية الهندسة – قسم عمارة – جامعة القاهرة ١٩٨٦ – صـ٥١٨ .

(٢) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، صـ٤١.

(٣) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية . صـ١٨٩ .

(٤) اندريه ريمون : المرجع السابق ، صـ٢٧٠.

القنوات إلى حى الإسماعيلية لتوصيل المياه اللازمة للإستهلاك المنزلى ، ورى الحدائق المنتشرة فى هذا الحى، وقد شيدت الشركة محطة لضخ المياه عند فم الخليج.(١)

حدائق القاهرة في عصر إسماعيل

حديقة الأزبكية

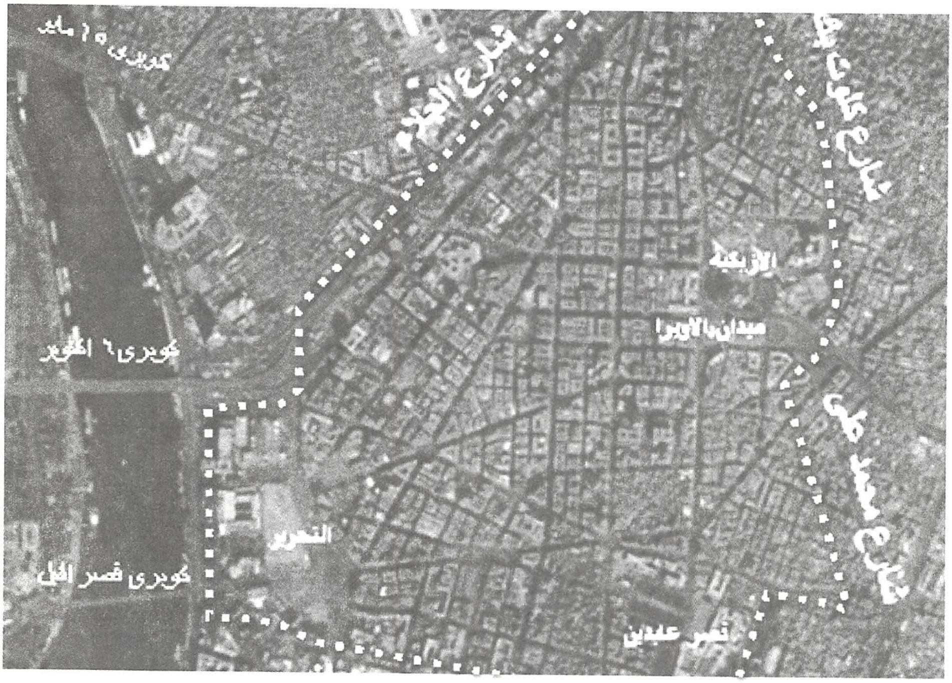
شيدت هذه الحديقة على بركة الأزبكية التى ردمت عام ١٨٦٤، وكانت مساحتها ٦٠ فداناً . ويشير" الجبرتى " إلى شهرة الأزبكية كمركز للنزه واللذات والمتع الليلية فى زمن الفيضان، كما أنها كانت منطقة جذب للطبقة البرجوازية من الأمراء والبكوات وكبار التجار والأعيان. وقد أبدع المؤرخون والرحالة العرب والأوروبيون والشعراء فى وصف بركة الأزبكية خاصة فى احتفالات "كسر الخليج".

وقد كلف الخديوى إسماعيل المهندس الفرنسى " باريل ديشان " (الذى كان مسئولاً عن بساتين باريس) بتصميم وتنفيذ حديقة الأزبكية، فشيدها على نمط حديقة " مونسو " و" ريفولى " بباريس على مساحة ٢٠ فدان، وزودت بـ ٢٥٠٠ مصباح غاز، وأقيم بها مسرح للعروض الكوميدية، وبحيرة رائعة، وجبلاية صناعية، وممرات مظللة، وجسور على بحيرات صغيرة، وقنوات ومراكب للنزهة تسير بالبدال، كما كانت مزودة بالحوانيت، ومنصة لبيع الدخان، ومعمل تصوير ومطاعم ومقاهى أوروبية وشرقية . وغرس بها مجموعات من أندر أنواع الأشجار التى استوردها باريل بك من أوروبا والهند وأفريقيا والبرازيل وأستراليا .

وعلى شرف الإمبراطورة " أوجيني " غرست شجرة أطلق عليها " أوجينا "، وشجرة شعثاء أطلق عليها " واشنطونيا " تكريماً لاسم جورج واشنطن، وكان يحيط بحديقة الأزبكية سور حديدى ضخم تتخلله أربعة أبواب .

(١) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، صـ٤٢ .

شـــكل رقم (٦)



القاهرة الخديوية

حدائـق الأورمــان

فيما بين عامي ١٨٦٣ و١٨٦٥، قامت شركة فرنسية بردم الجزء المتخلف من تحويل مجرى النيل شرقاً، وأنشأ إسماعيل فى هذا الجزء بساتين الأورمان (الغابه)، فكانت الأورمان من أعظم المشروعات التى قام بتنفيذها باريل بك على مساحة ٤٦٠ فداناً، وغرس بها مجموعة من الأشجار النادرة المستوردة من أوروبا والهند والصين والمناطق الاستوائية بعد أن تم تغطية الأراضي بطمى النيل بإرتفاع مترين . وكان الخديوى قد أمر بمد خط سكة حديد خاصة لضمان سرعة إنجاز هذا المشروع، فكانت من أجمل المتنزهات بأشجارها وأحراشها وأزهارها وبحيراتها وتلالها ونافوراتها وجبلايتها وأنوارها الغازية .

حديقة الأسماك

عندما كلف إسماعيل باشا مهندس البلاط الخديوى " فرانس باشا " عام ١٨٦٣ بتشييد قصر بجزيرة الزمالك (انتهي منه عام ١٨٦٨)، وبالقرب من سراى الجزيرة (الماريوت حاليا) شيد إسماعيل باشا حديقة الأسماك التى تطل واجهتها على نيل الزمالك بشارع الجبلاية ، وكان اسمها فى ذلك العصر " حديقة الجبلاية " . وخلال هذه الجبلاية الرائعة شقت مغارات وممرات يسير فيها الزوار، ووضعت بها صناديق زجاجية مازالت تحوي مجموعات متنوعة من الأسماك النيلية والبحرية وأسماك الزينة تنعكس عليها أشعة الشمس من خلال فتحات علوية تضفى عليها جمالاً، والحديقة من تصميم المهندسين الإيطاليين " كومباز ودويليو " اللذين اشتهرا بتصميم هذا النوع من الحدائق .

الحديقة اليابانية بحلوان

بدأ الاهتمام بحلوان فى العصر الحديث بزيارة إسماعيل باشا لمنطقة العيون الكبريتية عام ١٨٧١، حيث أمر بإنشاء حوض سعته ٥ آلاف متر مكعب، وفندق للمسافرين، ودار للاستشفاء ، وتمهيد طريق من النيل إلى حلوان طوله ٤ كم . ثم افتتح خط سكة حديد حلوان فى ٢١ يناير ١٨٧٧ وشيد قصر الوالدة باشا .

ومن أشهر معالم حلوان : الحديقة اليابانية التى اشتهرت بالأربعين تمثالاً لبوذا حول بحيرة كبيرة، ومظلات على شكل الأكواخ اليابانية تنتظم على الممرات وأشجار عتيقة وارقة .

جدول (١) المتنزهات والحدائق الشهيرة بالقاهرة فى سنة ١٨٧٨

الجهات	المتنـــــــزه	تاريخ الإنشاء	المساحة بالمتر المربع	عدد النباتات المزروعة	عدد الأنواع والأصناف	الدخـــــول
غرب القاهرة (الجزيرة)	المشتل وروضة الزهور	١٨٧١	٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	مباحة للمتنزهين
	حديقة الخضر الخديوية	١٨٧١	٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٦٠	مباحة للمتنزهين
	حديقة الفاكهة (الخديوية) بالجزيرة	١٨٧٥	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٨٠	مباحة للمتنزهين
	حديقة الأسماك بالجزيرة	١٨٧١	٢٢٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٥٠	مباحة للمتنزهين
	حديقة القصر الخديوى بالجزيرة	١٨٦٨	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١٢٠٠	مباحة للمتنزهين
	حديقة الحرم (الخديوية)	١٨٦٨	١٢٥٠٠٠	٥٠٠٠٠	١٠٠٠	خصوصية
غربي القاهرة (الجيزة)	حديقة السلاملك	١٨٧٢	٢٣٠٠٠٠	٨٥٠٠٠	٩٠٠	خصوصية
	حديقة الفاكهة (الخديوية) بالجيزة	١٨٧٣	٤٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	٣٠٠	مباحة للمتنزهين بإذن
شمال (الدكرور) بولاق	حديقة صاحب السمو حسين كامل باشا	١٨٧٢	١٢٢٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١٨٠٠	خصوصية
	حديقة صاحب السمو عمر طوسون باشا وجيل	١٨٧٢	٢٢٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١١٠٠	خصوصية
	حديقة الوالى بشبرا	١٨٠٦	٢٧٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	١٨٠٠	مباحة للمتنزهين بإذن
القاهرة	حديقة الأزبكية العمومية	١٨٧٢	٨٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٨٠٠	عمومية
	ميادين القاهرة	١٨٧٨-٧٠	٦٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠	عمومية
شرق القاهرة	حديقة القبة الخديوية	١٨٢٥	٤٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠	٨٥	مباحة للمتنزهين بإذن
	حديقة المطرية الأثرية	-	٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٠٠	عمومية
جنوب غربي	حديقة إبراهيم باشا بجزيرة الروضة	١٨٣٠	٦٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	١٤٠٠	عمومية
غرب القاهرة	شارع من جسر الجيزة إلى محطة بولاق الدكرور	١٨٧٢	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠	١	عمومية
	شارع من قصر بولاق الدكرور إلى السور الحديدى بالجيزة	١٨٧٣	١٦٠٠٠	١٦٠٠	١	عمومية
	شارع من الجيزة إلى الأهرام	١٨٦٨	٨٠٠٠٠	٨٠٠	١	عمومية
شرق القاهرة	شارع من العباسية إلى القبة	١٨٦٨	٨٠٠٠٠	٨٠٠٠	٢	عمومية
	شارع قصر العباسية	١٨٦٨	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢	عمومية
	شارع من القبة إلى حديقة المطرية	١٨٦٩	٢٠٠٠٠	٢٠٠	٧	عمومية
شمال القاهرة	شارع من شبرا إلى القاهرة	١٨٠٦	٦٠٠٠٠	٣٠٠٠	٢	عمومية
	شوارع مختلفة بشبرا	١٨٢٠	٨٠٠٠٠	٦٠٠٠	٤	عمومية
	شارع من القصر العالى إلى جزيرة الروضة	١٨٧٢	٤٠٠٠٠	٣٠٠٠	١	عمومية
	شوارع القاهرة المغروسة فيها أشجار اللبخ والجميز	١٨٧٠-٧٦	٤٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣	عمومية على جوانبها أفاريز ومضاءة بغاز الاستصباح

المصدر: إبراهيم صبحي السيد غندر ثابت : أعمال المنافع العامة بالقاهرة منذ بداية القرن ١٩ وحتى منتصف القرن ٢٠ - رسالة دكتوراه - كلية الآثار - جامعة القاهرة .

القصـــور

أنشأ الخديوى إسماعيل عدداً كبيراً من القصور، منها سراى عابدين التى جعلها مقراً للحكم وحلت محل سراى القلعة التى بناها محمد على باشا . وسراى الجزيرة، وسراى بولاق الدكرور، وقصر القبة، وقصر حلوان، وسراى الإسماعيلية، وسراى الزعفران بالعباسية، وسراى الرمل بالإسكندرية ، وجدد القصر العالى، وقصر النزهة بشبرا، وسراى المسافرخانة، وقصر النيل، وسراى رأس التين بالإسكندرية .(١)

وأنشأ سرايات أخرى بالإسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة .(٢)

ويذكر على مبارك فى خططه : انه تم صرف مبالغ كبيرة على هذه السرايات سواء أجر صناع ومفروشات ونقوش . فعلى سبيل المثال ما صرف على سراى الجيزة ألف ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعون ألفاً وثلاثمائة وأربعة وسبعون جنيهاً ، سراى عابدين ستمائة وخمسة وستون ألفاً وخمسمائة وسبعون جنيهاً ، سراى الجزيرة ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وستمائة وإحدى وتسعون جنيهاً ، وباقى العمارات ألفا ألف وثلاثمائة وإحدى وثلاثون وستمائة وتسعة وسبعون جنيهاً ، منها على سراى الرمل أربعمائة واثنان وسبعون ألفاً وثلاثمائة وتسعة وتسعون جنيهاً .(٣)

وفى الصفحات التالية سوف أتناول الحديث عن بعض هذه القصور .

قصـر عابديـن

لا شك أن قصر عابدين يعد النواة الأولى لظهور القاهرة الحديثة . ففى الوقت الذى كان يجرى فيه بناء القصر، أمر الخديوى إسماعيل بتخطيط القاهرة على النحو

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ ٢ ، صـ ٢٨ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية . جـ ١ ، صـ ٢١٣ .

(٣) على مبارك : نفس المرجع ، جـ ١ ، صـ ٢١٣ .

الأوروبى ، حيث القصور والمبانى الفخمة والميادين الفسيحة والشوارع الواسعة والجسور والطرق . فأصبحت القاهرة تحفة حضارية . إن قصر عابدين بخاصة اكتسب أهمية كبيرة فى قلوب المصريين، لاسيما وأنه المرة الأولى التى يترك فيها الحاكم برجه بالقلعة لقلب العاصمة ويحتك بالجمهور، الأمر الذى يعد نقطة تحول خطيرة ونقله كبيرة فى حياة المصريين .[1]

ينسب قصر عابدين إلى الخديوى إسماعيل الذى بدأ فى بناء القصر ١٨٦٣ وتم سكناه رسمياً فى ١٨٧٤ .[2]

ويرجع الاسم إلى " عابدين بك " أحد أمراء الأتراك ، وكان يشغل وظيفة أمير اللواء السلطانى . وقد اشتراه منه الخديوى إسماعيل ، وانتزع ملكية مئات من المبانى والدروب التى حوله فى دائرة مساحتها ٢٤ فداناً . واستغرق بناء القصر عشر سنوات ، وقام بهذا العمل المهندس " دى كوريل روسو " وعدد ضخم من النقاشين المصريين والإيطاليين والفرنسيين والأتراك .[3]

وتكلف بناء القصر ستمائة وخمسة وستون ألفاً وخمسمائة وسبعون جنيهاً (٦٦٥.٥٧٠ جنيها) .[4] أما الأثاث فقد تكلف حوالى ٢ مليون جنيه مصرى .[5]

عندما نزل الخديوى إسماعيل بقصر عابدين أقام على أحد جوانبه ثكنات الحرس الخديوى ، وأمر بفتح طريقين يوصلان إليه سمى أحدهما شارع عابدين وسمى الآخر شارع عبد العزيز (نسبة للسلطان عبد العزيز سلطان الدولة العثمانية)، وأنشأ ميداناً

---

(١) جريدة الجمهورية - العدد (١٧٧٥٥) بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠٠٢ - تحقيق بعنوان " عابدين من الملكية إلى الجمهورية " صـ ٤.

(٢) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة ، صـ ٢٠٥ .

(٣) محمود محمد الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ ٢٦ .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية - جـ ١ ، صـ ٢١٣ .

(٥) محمود محمد الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٢٦ .

على مساحة تسعة أفدنة أسماه ميدان عابدين ، وردم ما كان فى الميدان من برك مثل "بركة الناصرية " " وبركة السقايين " وبركة الفوالة . كما أمر بإزالة جبانة كانت تعرف حينذاك بجبانة الشيخ عبد الله، ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ريحان ومدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه .[1]

أهم الأحداث التى شهدها القصر :

واقعة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ [2]

خاطب عرابى جميع آليات المشاة والفرسان والمدفعية لموافاته بميدان عابدين يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ لعرض طلباتهم على الخديوى . وأرسل عرابى أيضاً إلى قناصل الدول يطمئنهم على رعاياهم من هذه المظاهرة لأنها مقصورة على أحوال البلاد الداخلية .

وعرض عرابى طلباته على الخديوى وكانت تتمثل فى :

١- عزل رياض باشا .

٢- تشكيل مجلس النواب .

٣- زيادة عدد الجيش إلى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية .

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

عندما طوقت المدرعات البريطانية قصر عابدين فى محاولة شرسة لفرض إرادتها على الملك فاروق، الذى استجاب لمطلب المندوب السامى البريطانى وأسند رئاسة الحكومة إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد .

---

(١) رأفت غنيمى الشيخ : المرجع السابق ، صـ ٢٠٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصر المجاهدة فى العصر الحديث – الحلقة الرابعة ، الثورة العرابية والاحتلال وإخلاء السودان.

وصـــف القصـــر

فى هذا القصر خمسمائة غرفة وقاعة غير الممرات، وفى كل غرفة مائة تحفة على الأقل، وكل تحفة تجذب البصر كأنها مغناطيس، الأرض مرمر ملون منقوش والأبواب والنوافذ من زجاج رسمت عليه لوحات ملونة لأشجار وبحار وأطيار، ولكل صورة قصة عاطفية زاخرة بالمعانى، وبالسقف نقوش هندسية دقيقة بارزة ومذهبة منها زخرفة عربية إسلامية ومنها إيطالية .[1]

ويروى **محمود الجوهرى قائلاً** : " عندما كنت أزور القصر لأول مرة وجدت نفسى ومن كان معى نقف أمام لوحة عصماء لسيدة عجوز كانت موضوعة فى جناح الضيوف واقفة أمام طعام تصلى قبل أن تأكل تشكر الله على هذا الطعام " .[2]

أولاً : الســـلاملك

يبدأ السلاملك بسلم التشريفات المؤدى إلى داخل القصر، فإذا صعدنا الدرج المغطى بالسجاد الأحمر المفروش كمشايات على الألبستر الفاخر تواجهنا مجموعة ضخمة من المرايا البللورية الرائعة حتى نصعد الدور الأول، إلى اليسار سنجد صالونين يؤدى ثانيهما على " صالون قناة السويس " وبه إطارات ضخمة مذهبة بها صور تمثل حفل الافتتاح ومراكب تمر فى القناة . وهذا الصالون يؤدى إلى الشرفة التى تطل على ميدان عابدين (ميدان الجمهورية الآن)، وهى الشرفة التى كان الملك السابق يقف فيها يطل على الشعب فى المناسبات والاحتفالات .[3]

ثم إذا مررنا فى الطرقة رجوعاً سنجد يميناً " حجرة البلياردو " التاريخية التى كانت مهداه من أوجينى لإسماعيل . ثم نمشى قليلاً لندخل " غرفة المائدة الصغيرة"

(١) رأفت غنيمى الشيخ : المرجع السابق ، صـ٢٠٨ .

(٢) محمود محمد الجوهرى : المرجع السابق ، صـ٢٨ .

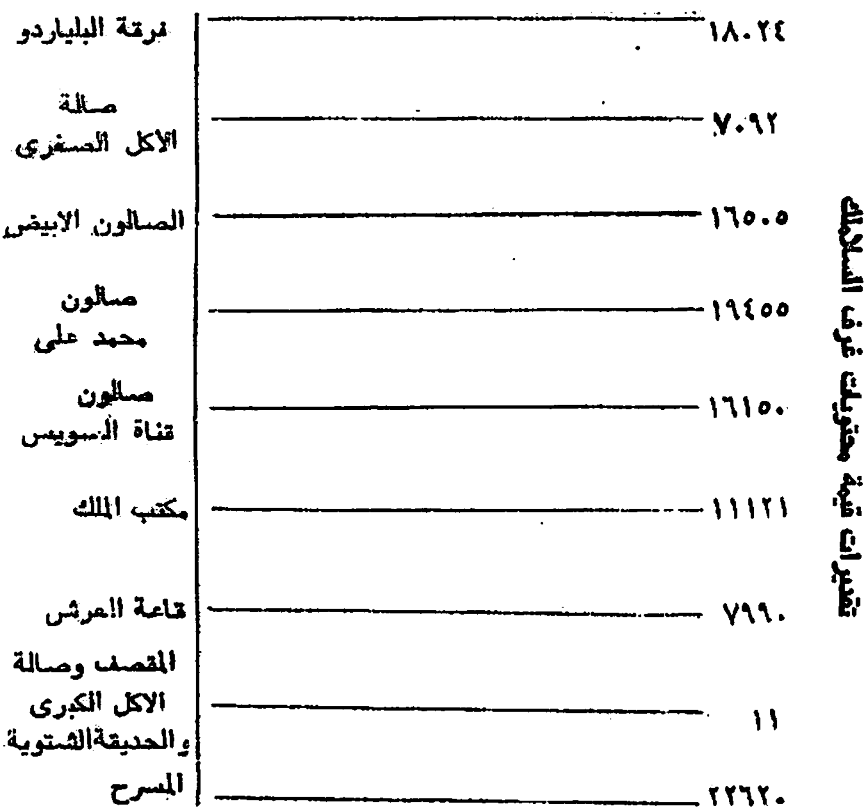
(٣) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ٢٨ ، ٢٩ .

التى كان يدعو فيها الملك السابق الوزراء لتناول الغذاء وهى تطل على " الحديقة الشتوية "، ولها بابان أحدهما كان مخصصاً للملك والآخر للمدعوين . ثم نجد أمامها مكتب الملك فى غرفة بديعة التنسيق، ثم بعد ذلك نتجه إلى "الحديقة الشتوية" وبها تمثالان من الرخام النادر أحدهما " لاوجينى " والآخر " لمارى أنطوانيت " علاوة على فازة رائعة ضخمة من الصينى عليها نقوش بديعة، أما الزجاج المحيط بهذه الحديقة الرائعة فهو مصنوع بإيطاليا نقوشه منحوته فى داخله، يبلغ ثمن المتر منه ١٥٠ جنيهاً . ثم نمر فى ممر المناقيد التى تحوى عشرات المناقيد من عهد إسماعيل وكانت تستعمل للتدفئة ثم ينتهى بنا هذا الممر إلى بهو التماثيل وسقفه وجدرانه من زجاج ملون منقوش، وقاعة طويلة صنعت على جانبيها تماثيل أفراد أسرة محمد على، ومن هذا الممر يمكن الاتجاه إلى المقصف وهو متصل بقاعة الطعام وكانت تقام بهما معا الحفلات الكبرى . وإذا تركنا هذه القاعات، ندخل إلى قاعات أخرى كانت مخصصة للتدخين، بجوارها نجد " صالون محمد على " وهو من أكبر صالونات القصر كان يجتمع فيه المدعوون فى أثناء الحفلات التى تقام فى قاعة الطعام أو فى المسرح، وأمامها نجد المسرح الرائع الذى يعتبر أفخم من دار الأوبرا وعلى بابه نجد مجموعة من الآلات الموسيقية، بعد ذلك نجد " الصالون الأبيض " وهو صالون صغير يحتوى على مجموعة رائعة من التماثيل وكانت تقام فى هذا الصالون حفلات الشاى الصغيرة المحدودة العدد، ومنها يمكن الخروج من باب يوصل إلى " قاعة العرش " وهى عبارة عن ميدان فسيح من الباركيه وفى صدره مقعد ضخم كالقبة المشيدة، عن يمينه ويساره مقاعد أصغر حجماً من هذا المقعد الضخم، كان الملك يجلس ويضع قدميه على رأس نمر محنط ينساب منه جلد النمر . وهى قاعة عربية الطراز سقفها وجدرانها من خشب منقوش مذهب، والسقف مرتفع جداً تحمله أقواس على أعمده من رخام ملتصقة بالجدران كل عمودين معاً وفيها آيات من القرآن مكتوبة بماء الذهب .(١)

(١) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ٢٩ ، ٣٠ .

إلى هنا ينتهى الجزء الذى كانوا يسمونه السلاملك أى الجزء الذى يمكن أن يدخله الرجال، وهناك باب يفصل بين هذا الجزء والجزء الآخر الذى كان يسمى "الحرملك " أى الجزء الذى لا يسمح بدخوله إلا لفئة قليلة كالأمناء الخصوصيين "الشماشرجية " و" الأغوات " و"الوصيفات " .(١)

شـــــكل (٧)



المصدر : محود الجوهري : قصور الرجعية ، صـ٣١

(١) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة ، صـ ٢٠٩ .

ثانياً : الحـرمــلك

الحرملك هى المنطقة الحرام بالنسبة إلى غير أهل البيت، هذا الممر الطويل يقودنا إلى " جناح الملك " المفروش بأفخر أنواع السجاد ، وفى كل خطوة تجد تحفة رائعة وتمثالاً بديعاً وقطع السجاد والأثاث التى ترجع إلى عهد لويس الخامس عشر، والتماثيل والزهريات والصور واللوحات والتحف من عهد إسماعيل وتوفيق وعباس حلمى الثانى وحسين كامل وفؤاد، وبعض التحف ترجع إلى عهد محمد على ونقلت إلى عابدين من قصور أخرى .(١)

والظاهرة التى تلفت النظر إلى التماثيل التى بالطرقات والموجودة داخل أجنحة الحرملك أن أغلبها لنابليون بونابرت بعضها اشتراه فاروق وبعضها ورثه عن أجداده . ولقد كان نابليون نموذج الرجل القوى بالنسبة لحكام الأسرة العلوية ، أما فاروق فقد افتتن بهتلر حتى لقد حرص على وضع صورته فى أدراج مكتبه الخاص.(*)

ويعتبر قصر عابدين أغنى القصور العالمية بعدد الساعات المتناثرة فى طرقاته وأجنحته، وأغلبها محلى بالذهب الخالص، ونقوش ولوحات جميلة، وقبل أن نصل فى نهاية هذا الممر إلى جناح الملك الخاص نجد " بيانو " مطعم بالأويمة وكرسيه معمول من قطعة واحدة من الخشب لم يستعمل فيها لا مسمار ولا غراء وهو خاص بالسيدة نازلى كانت تستعمله أيام صباها عندما كانت ملكة مصر . ثم نجد درجاً من الرخام الأبيض، وقد قام عليه " درابزين " من الزجاج الكريستال الفاخر الذى يضاء من الداخل ويطلق عليه " سلم البللور " وتعلو هذا السلم بعض اللوحات

(١) رأفت غنيمى الشيخ : المرجع السابق ، صـ ٢١٠ .

(*) أرسل جنرال ألمانى شكوى إلى المختصين يقول فيها أنه سبق له أن عرض صورة لهتلر مهداه إليه منه على الملك السابق فأخذها منه دون رغبته وقد وجدت هذه الصورة فى قصر القبة .

التى تكمل بعضها لتكون أسطورة يونانية مسلسلة الأحداث قام برسمها أشهر الرسامين فى إيطاليا .[1]

نتقل بعد ذلك إلى " جناح الملك فاروق "، والمدخل المؤدى إليه والمشحون بالدواليب المصنوعة بأفخر أنواع الأخشاب بعضها صنع خصيصاً لكل نوع من أنواع الملابس، فبعضها للأحذية والبعض للكرافتات والآخر للملابس الداخلية . وفى أول هذا الجناح حجرة مجهزة تجهيزاً خاصاً ليسكنها الشماشرجى الخاص وهو "محمد حسن" ،وإلى جوارها جهاز تليفون له شبكة خاصة داخلية تصل الملك برجال الحاشية فقط، وهو ذو لون أخضر وإلى جوار هذا الجهاز " كنبة عربية " . وجناح الملك هذا يتكون من عدة حجرات إحداها للمكتب الخاص والأخرى صالون للاستقبال وهى غاية فى الروعة والجمال، أما " حجرة النوم " فهى حجرة رائعة زينت بصور جميلة أغلبها لأسرة الملك السابق وزوجته . وأما الحمام فليس له مثيل فى باقى القصور، ففى كل ناحية من البانيو عيون ماء . إذا فتحت جميعا قامت بغسل المستحم دون أن يتحرك، وتحت رخام الأرض مدفأة صناعية تدفئ الرخام، وعلى الجدران رسوم بنات عاريات مستحمات وفيه غرفة للتجفيف بالكهرباء . وكان الحمام أيضاً يحتوى على مطبخ ليأكل بعد أن يستحم مباشرة علاوة على ميزان ليزن نفسه ، وثلاجة كهربية ليشرب منها ودواليب لحفظ درجة حرارة الملابس ، علاوة على أن الجدران كلها من الألبستر الفاخر والإضاءة مختفية، وصيدلية بها كافة الإسعافات السريعة .[2]

ويصل هذا الجناح "بجناح الملكة " ممر داخلى، كل ما فى هذا الجناح ينم عن ذوق وبساطة الملكة فريدة، ولم تدخل الملكة ناريمان عليه أى تعديل لا فى الأثاث ولا فى الغرف . ويوجد بهذا الجناح غرفة الولادة وغرفة للاستقبال وغرفة أخرى

(١) محمود محمد الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ ٣١ ، صـ ٣٢ .

(٢) محمود محمد الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٣٣ .

للمكتب علاوة على غرفة النوم الجميلة وعدة صالات توجد بها جميع ملابس الملكة.[1] (*)

وبجوار هذا الجناح كانت الغرف المخصصة " للكلفوات "، وهي غرف لم تحرم من الترف والفخامة . وفي مواجهة هذا الجناح يوجد " الجناح البلجيكي " وهو بحق أفخم أجنحة هذا القصر، وسمي كذلك لأن أول ضيف نزل فيه هو ملك بلجيكا حين جاء الي مصر في عهد الملك فؤاد الأول . وقد خصصه الملك فؤاد لولي عهده، فأطلق عليه " جناح ولي العهد " . وهو يتكون من حجرة للاستقبال وحجرة للنوم وحجرة للمكتب وبها مكتب فخم يقدر ثمنه بخمسة آلاف جنيه، وهو محلي بالتماثيل في الأجناب والأرجل والحواف ومشغول بالاويمة به كثير من الأدراج السرية التي لا يمكن اكتشافها لكل غريب عنها . ومن هذا المكتب نخرج إلي " القاعة البيزنطية " وهي قاعة مستطيلة الجدار صدرها من الموزايكو الصغير الدقيق، وقد تألفت من هذه القطع الدقيقة الملونة رسوم راقصات بالحجم الطبيعي يرقصن حول شجرة منقوشة بأبدع النقوش تتدلي منها الأغصان والأزهار، وتتوسط هذه القاعة فسقية رائعة من الألبستر تنساب المياه من نافورة في وسطها ، وحولها آلات موسيقية كان يستعملها العازفون عندما تمر السابحات الفاتنات حول هذه الفسقية.[2]

ونترك هذه القاعة لندخل جناح "السيدة نازلي" (يسمي جناح الملكة الوالدة) ، هو يتكون من سرير ليس فيه من الخشب إلا إطار رفيع مذهب منقوش والباقي قماش في باطنه وظاهره . أما القماش الذي هو جزء من السرير فمن حرير ذي شرائط

(١) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ ٣٤ .

(*) وضع فستان زفاف الملكة ناريمان فى دولاب منفصل وهو يحتاج إلى ثمانية أشخاص لحمله نظرا لكثرة الزخارف والحلى الموضوعة فيه .

(٢) محمود الجوهري : المرجع السابق ، صـ٣٤ .

لامعة ومستطيلة، وخلف السرير إطار بارز هائل من خشب محفور مذهب ، وتحت الإطار إطارات، وفوق السريز ستائر فضفاضة من حرير ثقيل . ومن الستائر الي السرير تنصب الناموسية كأنها شعاع من نور . وجدران الغرفة كلها من حرير تسبح فيه الأزهار . وعن يسار غرفة النوم توجد غرفة الزينة وغرفة الراحة والتدليك بعد الاستحمام ثم الحمام وغرفة الاستقبال، وفيها مجموعة من الصور العارية .(١)

ونصل بعد ذلك إلي " صالون إسماعيل " وهو صالون كل أثاثه من الأوربيون من عهد إسماعيل . وهو المكان الذي كانت تعقد فيه الزيجات والطلاقات الملكية . ثم إلي جواره عدة صالونات مخصصة للأميرات . ثم نعرج بعد ذلك إلي حجرة المائدة وهي آية من آيات الحسن والبهاء .(٢)

بهذا نكون قدمنا وصفاً للحرملك، ولم يبق في القصر سوي جناح الضيوف الأجانب الذين كانوا يفدون إلى مصر فى زيارات رسمية برفقة رؤساء دولهم . وقد أقام به كثير من الإيطاليين والبلجيكيين الذين رافقوا ملكي بلجيكا وإيطاليا عند زيارتهما لمصر، ومرافقوا الملك إدريس الأول السنوسي عندما نزل بالقصر .

وهذا الجناح يوصله إلي " جناح الخياط الإنجليزي الخاص "، وهو الذي كان يتولي إلباس هذه العائلة البدل والأرواب والملابس العسكرية والمدنية . وكانت الأقمشة تنسج خصيصاً في مصانع إنجلترا أو غيرها . وكان الترزي ينام بهذا الجناح وعملت له الاستعدادات لكي يقيم إقامة سعيدة وكان يتقاضي مرتباً ضخماً يقال في الأوراق الرسمية أنه مائة جنيه .(٣)

وبجوار هذا الجناح نجد " عيادة الأسنان " وهي غاية في الدقة والجودة . كما نجد جناحاً طبياً كبيراً به كثير من الآلات الطبية ما يكفي لفتح مستشفي يعالج قوماً

(١) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ٣٦ .

(٢) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ٣٤ .

(٣) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ٣٧.

كثيرين . فمن أجهزة للأشعة المختلفة إلى غرفة كاملة للعمليات وأخري للولادة علاوة علي جهاز طبي للتعقيم .[1]

وإلي جوار هذا الجناح يوجد جناح الأميرات السابقات الصغيرات وهو أقل أركان القصر حظاً من هذا البزخ ولو أنه غاية في الذوق والرقة . وكانت فريال تنام بمفردها، أما فوزية وفادية فكان لهما حجرة واحدة . هذا إلي جانب مدرسة صغيرة وضعت بها بعض التخت المدرسية والسبورات للتدريس عليها .[2]

ثالثاً: الدور الأرضي :

سنبدأ الكلام عن الدور الأرضي " بالحديقة " التي تحيط بالقصر والتي ترجع إنشائها في عهد الخديوى توفيق . وكانت في بادئ الأمر مليئة بأشجار الفاكهة والموالح . وتقع الحديقة خلف القصر علي طول شارع جامع عابدين ، وقد قدرت مساحتها بعشرين فداناً، وهي تحتوي علي ٥٠ حوضاً للورد و٢٠ طريقاً متشابكاً وكان بها سبعة أجناس من الصبار انقرض بعضه ونقل بعضه إلي أنشاص . وللحديقة ثلاثة أبواب ويشرف علي الحديقة ٧٢ بستانياً، وكان الملك فاروق يستحضر لها أدوات من الخارج .[3] وقد استحضر ماكينتين لتسوية الحشائش كل منها مزود بموتور ثمن الواحدة ١٢٠ جنيهاً .

أما بالنسبة لمداخل الحديقة فالأول يسمي " باب ٢٢ " والباب الآخر هو "باب باريس" وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن إسماعيل باشا كان يأمل في الانتهاء من تشييد القصر وتأسيسه مع البدء في احتفالات افتتاح قناة السويس، ولكي يستقبل فيه ضيوفه من ملوك وأمراء وأوروبا، وفي مقدمتهم الإمبراطورة " أوجيني " التي

(١) محمود محمد الجوهرى : نفس المرجع ، صـ٣٧.

(٢) محمود محمد الجوهري : نفس المرجع ، صـ٣٧ .

(٣) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة صـ٢١٤ (نقلاً عن محمود الجوهرى : قصور وتحف من محمد علي إلى فاروق صـ٣٤ ، صـ٣٥).

كانت السبب في أن يطلق اسم " باريس " علي الباب تكريما لها . [1] والباب الثالث يسمي باب " رجب أغا ".

- ومدخل باريس يؤدي إلي ما يعرف " بمتحف الأوسمة " والذي أغلقه الملك لأنه كان مواجهاً لجناح الملكة، وبالتالي كان يمكن للخدم أن ينظروا عليها عندما كانت تفتح النوافذ .

ثم نجد بعد ذلك " مسجد الفتح " وهو جامع أثرى جدد بناءه ووسعه الملك فؤاد . وعلى بعد أمتار من الجامع يقع حمام السباحة ، والذى أنشأه الملك فاروق وتكلف عدة آلاف من الجنيهات . وكان إنشاؤه على نفقة الدولة ، وقد زود بأجهزة تصبغ الماء باللون الأحمر والأخضر والأصفر ، كما زود بجهاز ينشر على صفحته أمواجاً صناعية هينة . [2]

أهم ما فى الدور الأرضي هو " متحف الفضيات "، وهو المتحف الذى يحتوى على كل لوازم الحفلات من " سرفيس " للإستعمال وأدوات أخرى للزينة . وبهذا المتحف أطنان من الفضة الخالصة بعضها للإستعمال وبعضها أصبح لا يصلح إلا للعرض، وبه ورشة لإصلاح الفضيات وفحص الذهب، وأغلب الموجود بهذا المتحف من الطراز التركى ويرجع إلى عهد إسماعيل . ولم يضف الملك فاروق إلى هذا المتحف إلا طقماً أحضره معه من إنجلترا عندما كان يحاول التعلم هناك . [3]

ويلحق بمخزن الفضيات مخازن أخرى للبياضات والمفروشات والكراسى التى تستخدم فى الحفلات ومخازن للملابس السفرجية والفراشين وكلها موشاه بالقصب ومن الصوف الفاخر الذى تتكلف البدلة الواحدة منها ٣٠ جنيه . وإلى جوار هذه المخازن كانت مخازن الخمور التى تحوى خموراً من جميع أنحاء العالم . وتقدر قيمة ما عثر عليه فى هذه المخازن بما يساوى ١٠٠٠٠ جنيه ، وكانت هذه

(١) الموقع الإلكتروني : لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء .

(٢) محمود الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ ٣٥ .

(٣) محمود الجوهرى : نفس المرجع ، صـ ٣٩ .

الخمور تستعمل فى الحفلات التى كانت تقام فى الخفاء . ومن الأشياء الطريفة العثور على زجاجة لها فوهتان أحدهما يمكن وضع الخمر بها والآخر يمكن به وضع أى سائل آخر كالليمون مثلاً لمن لا يتعاطى الخمر ."[1]

ويوجد فى الدور الأرضى أيضاً " الصيدلية " الخاصة التى كانت تحتكر الأدوية النادرة والتى كان يستولى عليها الملك فاروق ، وكان يشرف على هذه الصيدلية صيادلة متخصصون وكانوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة . وكانت هذه الصيدلية وزميلتها فى المنتزه أشبه بمستودعات كبيرة للأدوية مكدسة من غير حساب بها ما يلزم وما لا يلزم .

وفى مواجهة الصيدلية توجد المطابخ الملكية التى كان يصرف عليها ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً، علاوة على ما كان يصرف على مطبخ العائلة الذى كان مخصصاً لتجهيز الطعام للخدم والبستانيين والفراشين والسعاة والجنود . وكان يشرف على إعداد الطعام عدد كبير من السفرجية التابعين لإدارة القصور التابعة لوزارة المالية . وكان السفرجى الأول موظفاً فى الدرجة الخامسة ."[2]

وقبل أن نترك الدور الأرضى لابد أن نتحدث عن المكوجية والغسالين، فكانت هناك ورشة للمكوجية حكومية وأخرى خاصة . ان المكوجى الواحد يتقاضى ١٢ جنيه شهرياً . أما الغسالات فكن من السيدات كانت تحضرهن الخاصة الملكية للقيام بعملية الغسيل نظير أجر زهيد .

ولم يبق فى الدور الأرضى من الأشياء التى تستحق الذكر سوى المتحف الحربى الملكى الخاص ، ورش للهندسة وللكهرباء ولوازم العمارة، وورشة التصوير التى كان يشرف عليها المصور الأرمنى الخاص " أرشاك " وهذه الورشة مجهزة بأحدث وأدق

---

(١) محمود الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ ٤٠ ، صـ ٤١ .

(٢) محمود محمد الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٤٢ .

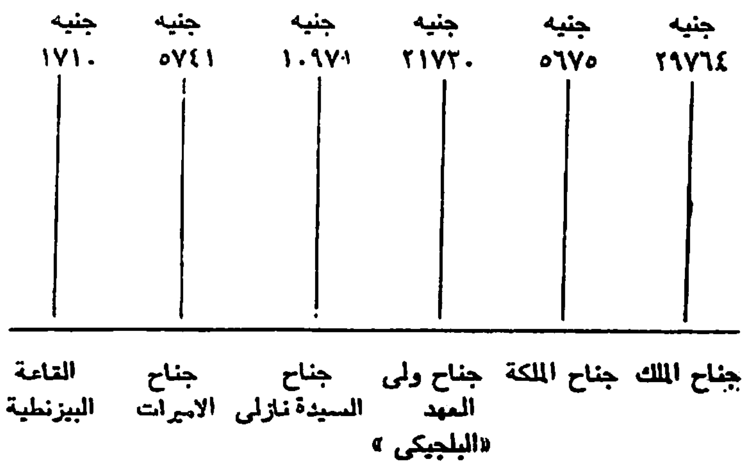
الأجهزة للتصوير الملون والعادى وبماكينات التصوير المختلفة الأحجام والأغراض . وقد قدرت أدوات التصوير بقصر عابدين بما لا يقل عن ٢٤٠٠٠ جنيه .[١]

وتوضح لنا المصادر كذلك أن قصر عابدين كان يضم حديقة كبيرة – اقتطعت الآن من القصر وتحولت إلى نادى لشباب عابدين – ويضم أيضاً حمام كبير للسباحة كان يصطف حوله المدعوون للموائد الملكية التى كانت تعقد فى شهر رمضان ويدعى إليها الوزراء ورجال الأحزاب وكبار الشخصيات . وإلى جوار هذا الحمام كانت توجد غرفة سرية يمكن الوصول إليها من داخل القصر، وفى وسط هذه الغرفة توجد نوافذ زجاجية صغيرة أنشأها الملك فاروق كى ينظر منها إلى السباحات من مدعواته دون أن يعرفن أن هناك من ينظر إليهن .[٢]

شكـــل (٨)

تقديرات قيمة اجنحة وصالات الحرم الملكى

(اثاث فقط)



المصدر : محمود محمد الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ٤١

(١) محمود الجوهرى : نفس المرجع ، صـ ٤٣ .

(٢) رأفت غنيمى الشيخ : حضارة مصر الحديثة ، صـ (٢١٦ نقلاً عن حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر بين ١٩١٩ - ١٩٥٢ ، صـ ١٢٨ ، صـ ١٢٩).

مكتبة قصر عابدين

كانت بالقصور الملكية مكتبتان : إحداهما بعابدين والأخرى بالقلعة علاوة على دار للمحفوظات التاريخية التى تهم الأسرة المالكة . ومكتبة عابدين تعتبر ملكية حكومية حافلة بذخائر ومقتنيات . ولقد أنشأت هذه المكتبة فى عهد إسماعيل، وأن بعض القماطر فيها ما يزال منقوشاً عليه الحرف الأول من اسمه . ولا يمكن القطع بنسبة إنشائها وإن كان يرجح أن يكون ذلك فى أواخر أيام حكمه .

وكانت أول نواة للمجموعة التى تضمها المكتبة فى ذلك العهد كتب الخديوى إسماعيل الخاصة وبعض الكتب التى أهديت إلى والده إبراهيم . ومن ذلك الطبعة الممتازة من كتاب " وصف مصر " الذى وضعه علماء الحملة، والكتاب المصور العظيم عن حفلات قناة السويس عند افتتاحها .[١]

وفى عهد الخديوى توفيق أسندت أمانتها إلى أحمد شفيق - صاحب المذكرات والحوليات - وقد جاء فى مذكراته أنها كانت تشتمل على قليل من الكتب لا يتجاوز عددها خمسمائة مجلد وخرائط شتى لمصر والسودان، أما باقى الكتب فهى أطالس وكتب للجغرافيا والتاريخ والسياحة وفنون العمارة العربية . ومما يجدر ذكره أن هدايا الكتب التى توجه إلى إسماعيل وتوفيق وحسين كامل كانت تودع فى هذه المكتبة باعتبارها هدايا للدولة بغض النظر عن أنها كانت تقدم إليهم باسمهم خاصة .[٢]

وفى عهد الملك فؤاد ونجله فاروق انعكست الآية واعتبروا أن أمثال هذه الهدايا خاصتهم لا للدولة وأفردوا لها مكاناً مستقلاً بقصر عابدين وسميت " المكتبة العامة " . ولما زادت وتمت نقلها فاروق إلى قصر القبة وسماها " المكتبة الخاصة " . وقد أشرف على هذه المكتبة فى عهد الملك فؤاد المستشرق " غريفينى " ومن بعده "دينى" العالم الفرنسى الضليع فى اللغة التركية الذى أشرف على المحفوظات

(١) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٤٥ .

(٢) محمود الجوهرى : نفس المرجع ، صـ ٤٥ ، صـ ٤٦ .

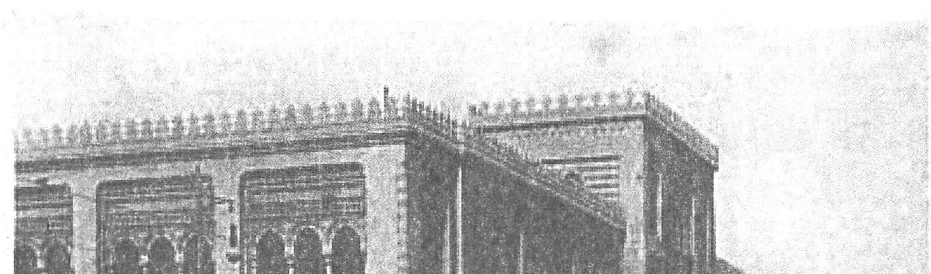
التاريخية ووضع فيها كتاباً قيماً . ثم أسندت أمانتها إلى المصريين فكان من وطنيتهم وغيرتهم ما دفعهم إلى حد الكمال حتى أصبح ما بها يربو على ١٣٠٠٠ كتاب فى القسم الأفرنجى ، وحوالى ستة آلاف مجلد فى القسم الشرقى . وتضم المكتبة علاوة على ذلك مجلدات لحفظ الجرائد اليومية من يوم إنشائها . وخلاصة القول أن أهم ما تهتم به هذه المكتبة هو الموضوعات التاريخية عن مصر والشرق عامة، وفيها بعض الوثائق عن الحملة الفرنسية على مصر ، وكذلك أصول مذكرات " كلوت بك " ومجموعة فريدة من الخرائط عن السودان ، تنطق بها بذل من جهد لتخطيط أرجاء السودان الشاسعة .[1]

وفى ختام حديثى عن قصر عابدين أحب أن أشير إلى أن الخديوى إسماعيل قد أصدر فى ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٩١هـ سنة ١٨٧٤م أمراً عالياً بشراء بعض المحلات الواقعة قبلى وبحرى سراى عابدين لإجراء بعض التنظيمات والتعديلات بالسراى .وقد أنعم الخديوى إسماعيل بهذه الأراضى التى تم شراؤها لزوجاته الثلاثة . ثم حدث ترميم آخر فى سنة ١٨٧٥م ولم تتوقف أعمال التعمير والإضافات فى عهد الخديوى إسماعيل وخلفاؤه .[2]

(١) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٤٦ ، ٤٧ .

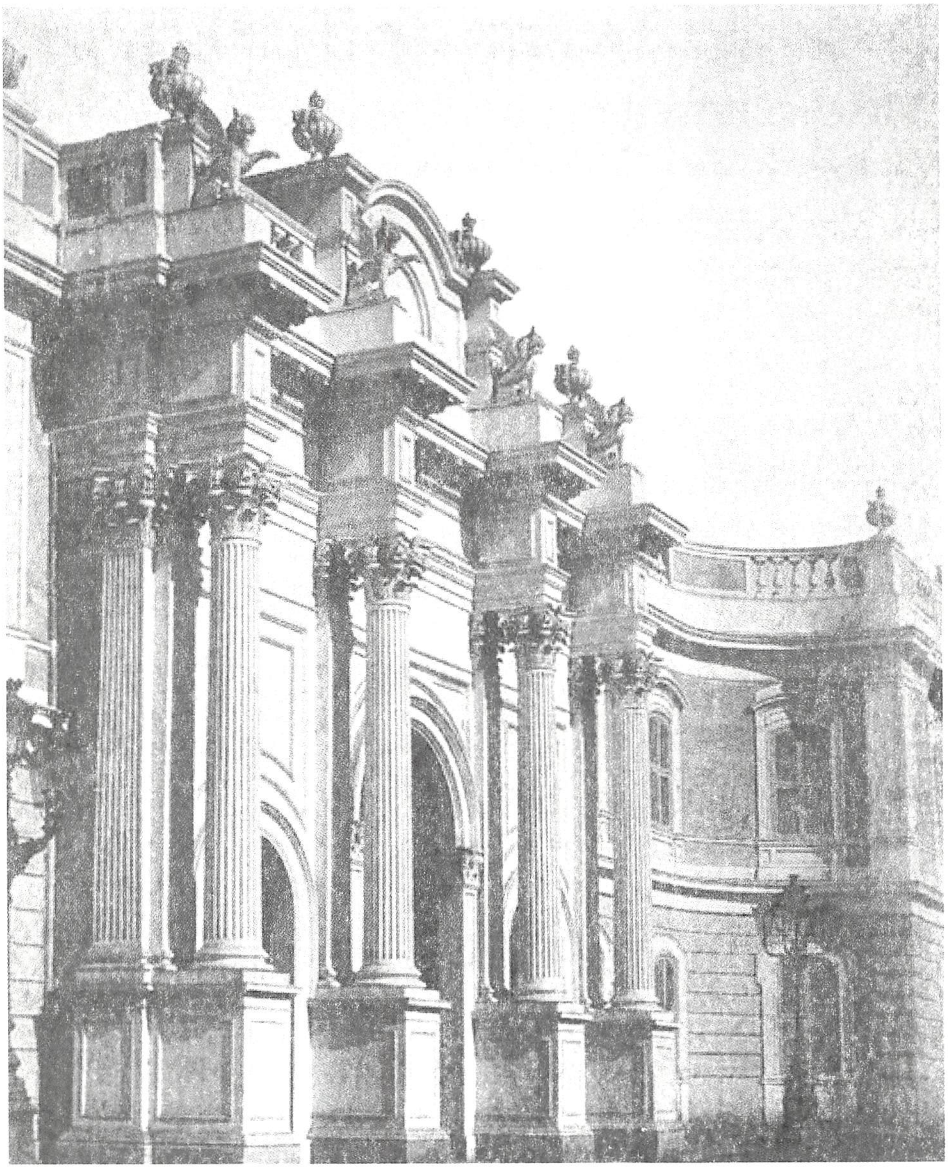
(٢) عبد المنصف سالم نجم : قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر ، صـ ٢١١ .

شكـل رقم (٩)



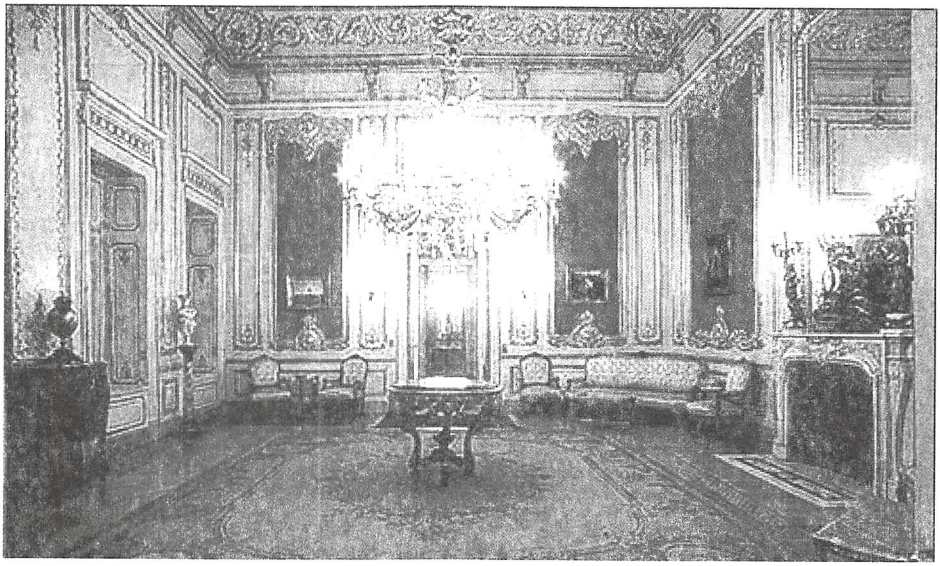
الساحة الأمامية لقصر عابدين

شــكل رقم (١٠)



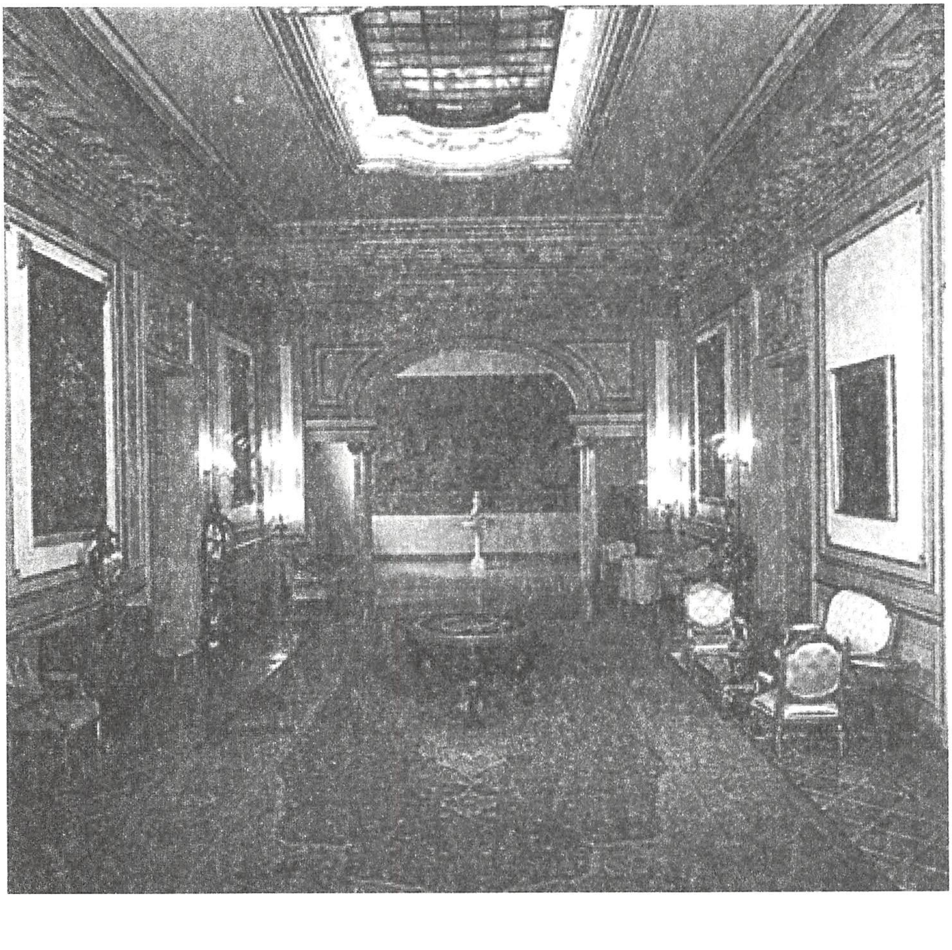
قصر عابدين

شـــــكـل رقم (١١)



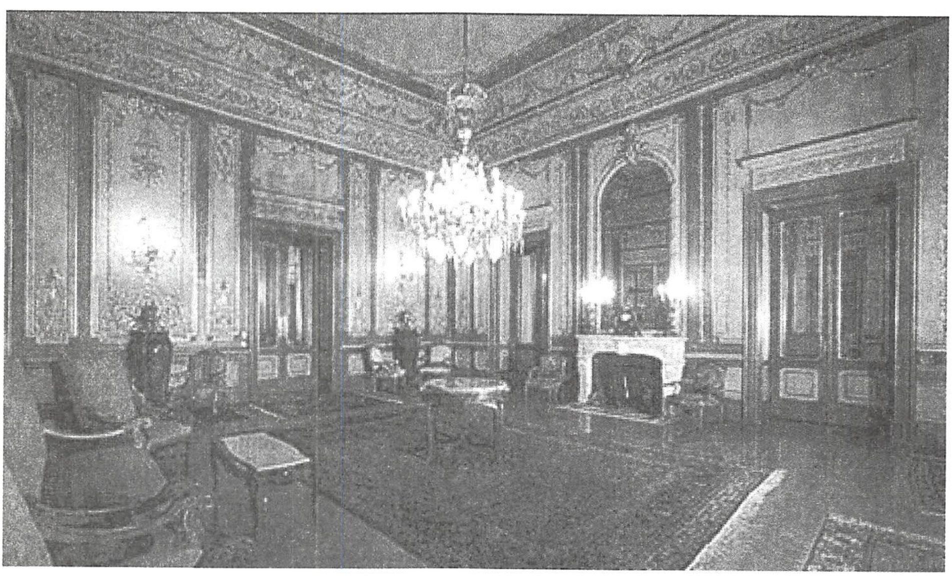
الصالون الأحمر

شـــــكـل رقم (١٢)



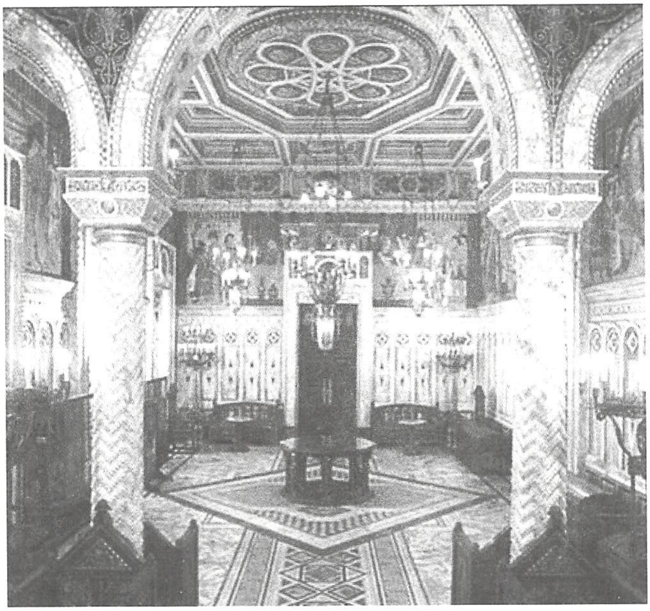
الصالون الأبيض

شـــــكـــل رقم (١٣)



الصالون الأخضر

شكل رقم (١٤)



قاعات الاستماع البيزنطية

شكل رقم (١٥)

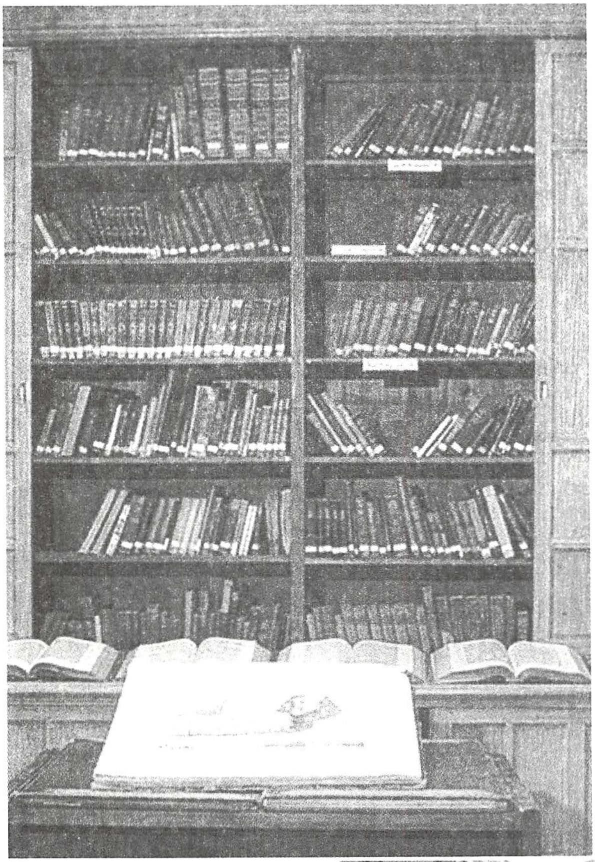


قاعات الاستماع البيزنطية

شكـــل رقم (١٦)

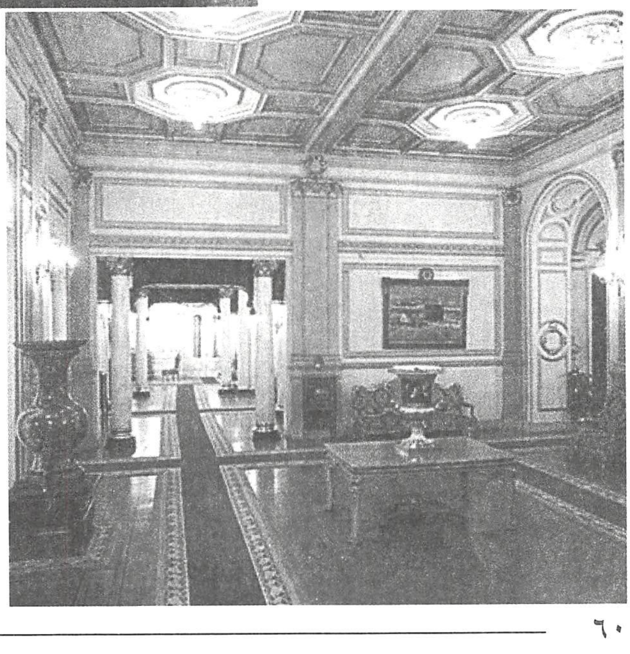


قاعة العرش



شكل رقم (١٧)

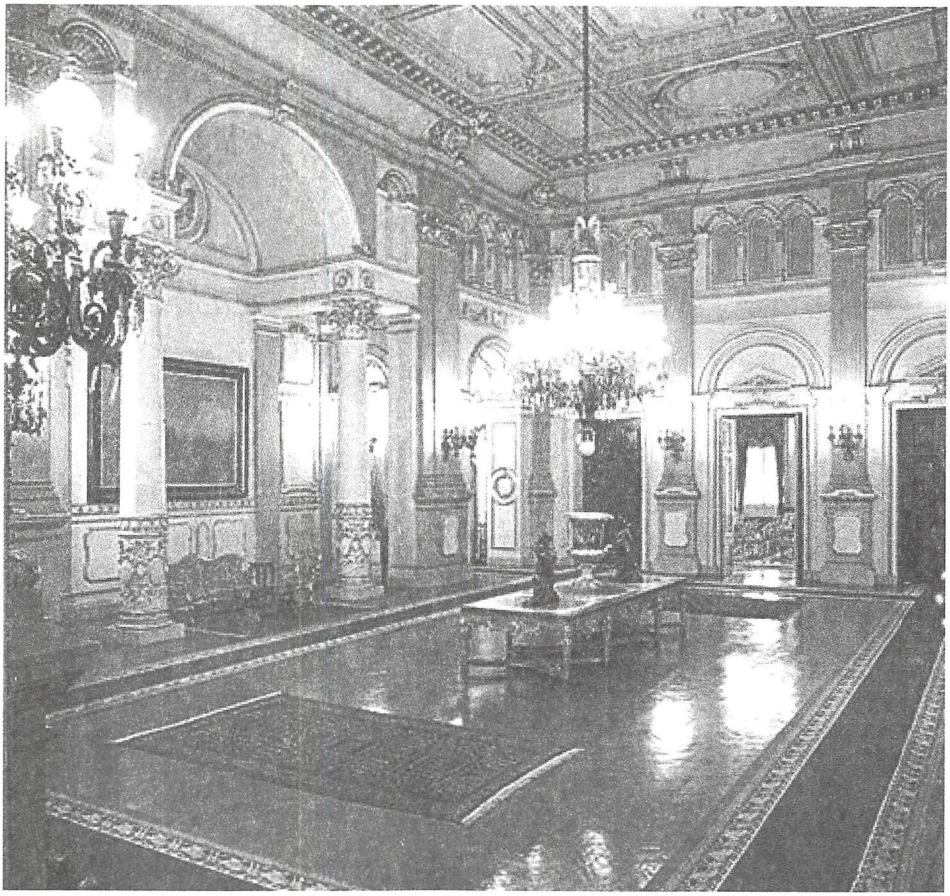
مكتبة قصر عابدين



شكل رقم (١٨)

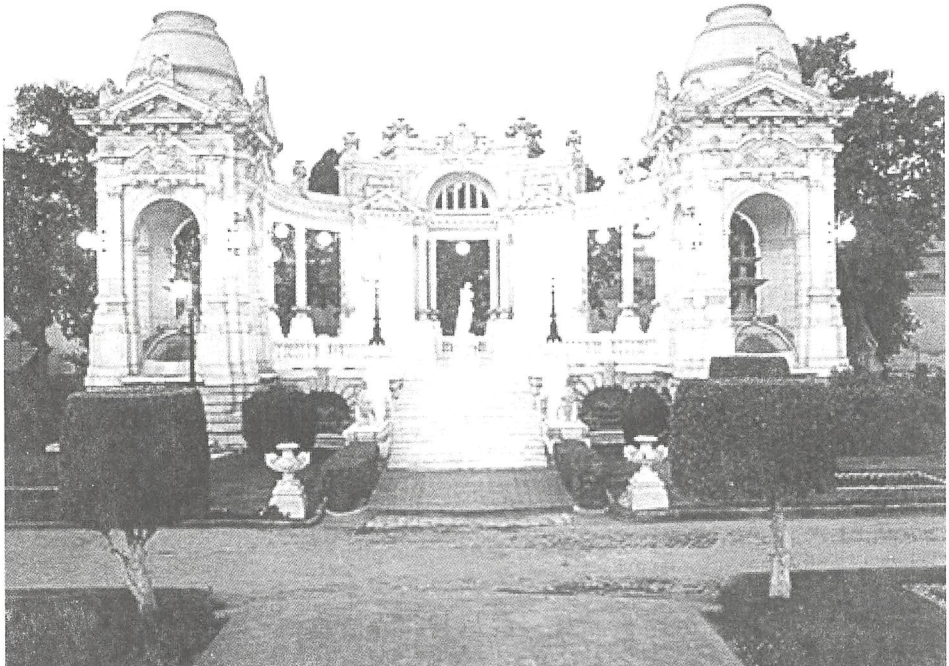
قاعة محمد على

شكل رقم (١٩)



قاعة محمد على

شكل رقم (٢٠)



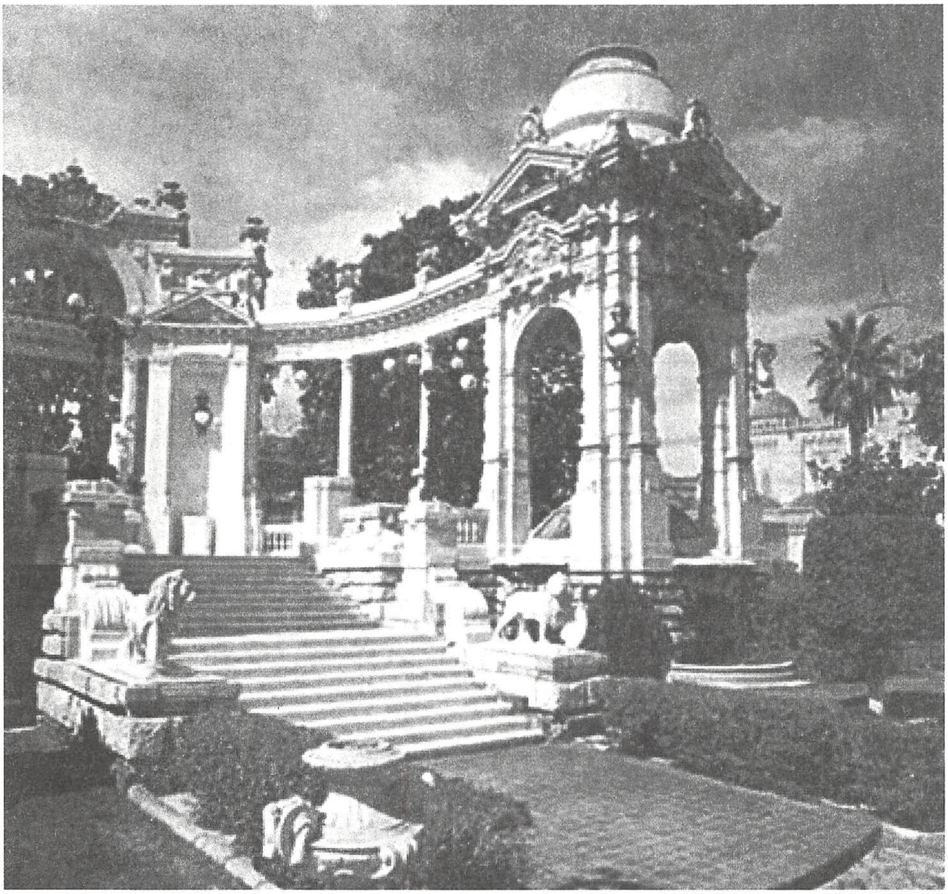
حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢١)



حدائق قصر عابدين

شكل رقم (٢٢)



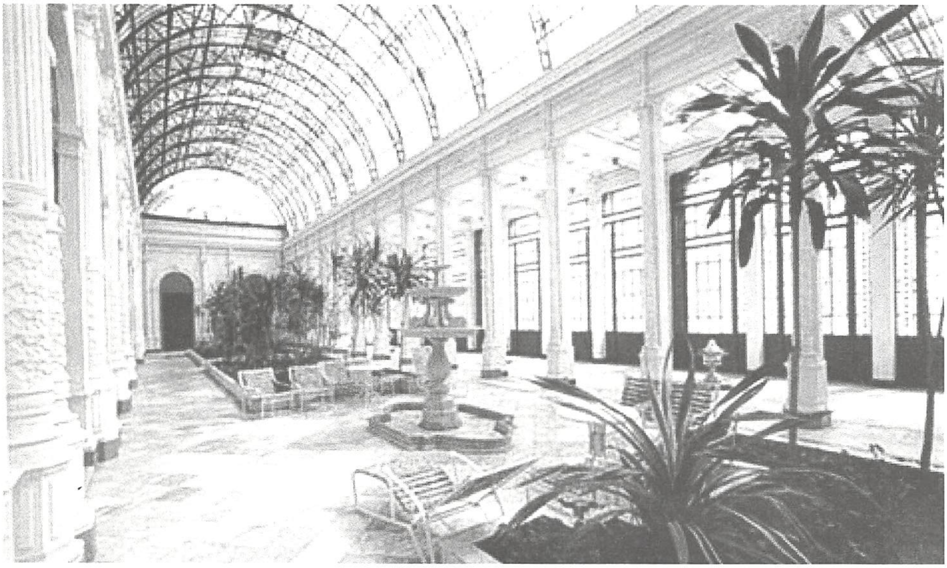
حدائق قصر عابدين

شـــكـــل رقم (٢٣)



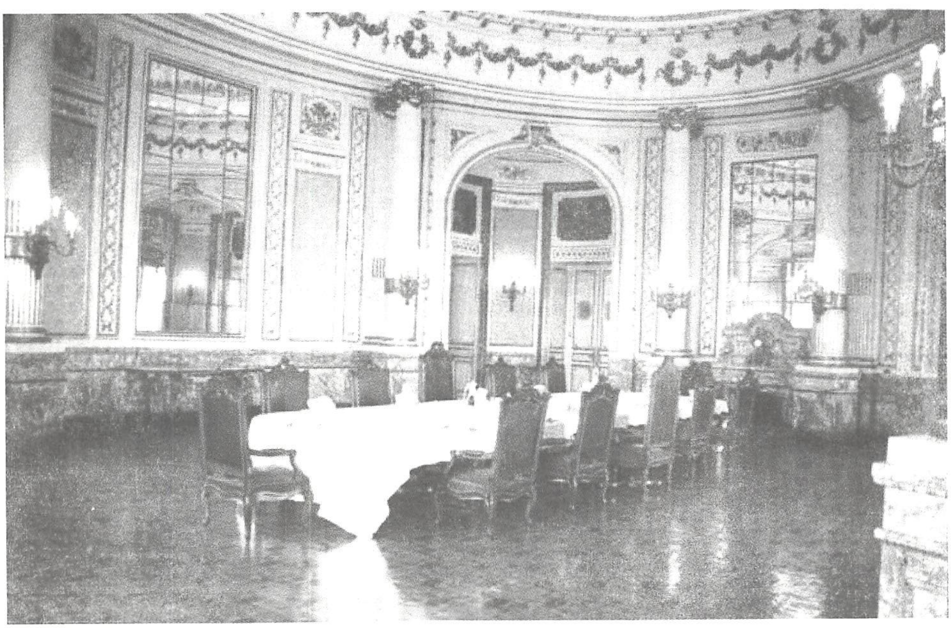
حدائق قصر عابدين

شـــــكـل رقم (٢٤)



حدائق قصر عابدين

شـــــكـل رقم (٢٥)



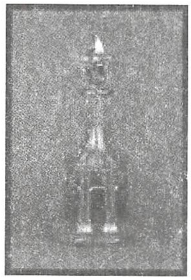
قاعة الطعام الصغرى بقصر عابدين

شكل رقم (٢٦)

نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين



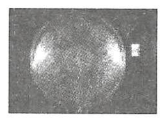
دورق عصير الخديوى إسماعيل



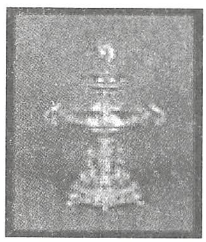
قنينة الأمير يوسف كمال



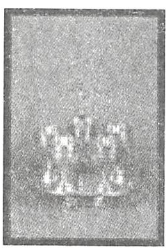
دورق خشاف الخديوى عباس حلمى الثانى



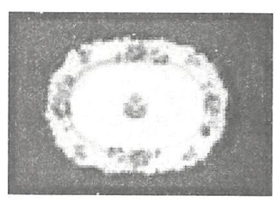
صينية عشاء الملك فؤاد



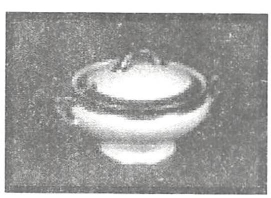
حامل فاكهة الأمير يوسف كمال .



حامل أظرف البيض الخديوى إسماعيل



طبق تقديم الأمير يوسف كمال



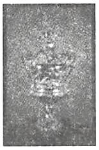
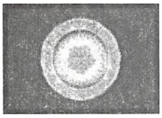
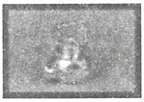
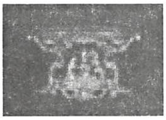
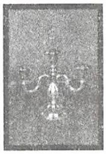
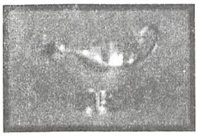
سلطانية شوربة الملك فؤاد



حامل للفاكهة الخديوى إسماعيل

شكل رقم (٢٧)

نماذج من متحف الفضيات بقصر عابدين

 تحفة على شكل زهرية من الفضة الخديوى إسماعيل	 صينية مستطيلة الأمير يوسف كمال	 طبق الأميرة جويدان هانم
 براد من الفضة أسرة محمد على	 حامل كووس - كوكتيل الخديوى إسماعيل	 قاعدة لصحون السمك الخديوى إسماعيل
 فازة من الجاليهات أسرة محمد على	 إناء من الجاليهات أسرة محمد على	 فازة من الجاليهات أسرة محمد على
 شمعدان الخديوى إسماعيل	 إناء تقديم الصلصة - صلصية الأمير يوسف كمال	 إناء لتقديم الكريمة الأمير يوسف كمال

ســـــراى الجــزيرة

تبلغ مساحة أرض سراى الجزيرة ستون فداناً، وتحتوى على سراية للحريم، وأخرى برسم سلاملك كبير، خلاف سلاملك صغير فى غربى السلاملك الكبير.[1]

وكلف إسماعيل باشا مهندس البلاط الخديوى فرانس باشا النمساوى عام ١٨٦٣ بتصميم قصر بجزيرة الزمالك، فشيد له " سراى الجزيرة " على غرار قصر " الهمبرا " بغرناطة وانتهى منه عام ١٨٦٨ .[2]

والقصر مبنى على الطراز الأندلسى[3]، ويذكر على مبارك فى خططه :

" إن فرانس باشا اجتهد فى تشبيهها بالمبانى العربية القديمة فى شكلها وزينتها ومفروشاتها وجعل فى خارج السلاملك الكبير برسم الزينة بلكونات وبواكى من الحديد جلبت من البلاد الأفرنجية وأحاط البستان بسور وجعل فيه محلات للحيوانات المتنوعة كالفيلة والسباع والنمور والقردة والنسانيس وأنواع الطيور المجلوبة من بقاع الأرض وفرش مماشيه بالرمل والزلط الملون وزرع فيه فوانيس الغاز ".[4]

وأشار عبد الحميد بك نافع إلى أن هذه السراى قد شيدت فى نفس موقع " قصر إبراهيم باشا " أمام المطبعة الكبرى بجزيرة إبراهيم ، وقال أنها كانت من أعظم المبانى التى لم يشيد مثلها، بما اشتملت عليه بساتينها من الأشجار والنباتات والأنهار

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ١ ، صـ ٢١٢ .

(٢) عرفه عبده على : القاهرة فى عصر إسماعيل ، صـ ٦٦ .

(٣) عبد المنصف سالم نجم : قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر، ص٢٨٩.

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ ، صـ ٢١٢ .

والبرك والقناطر والجبلايات .[١] وللقصر أربعة واجهات منها واجهتين رئيسيتين وهما الواجهتان الشرقية والغربية وواجهتين هما الواجهتان الشمالية والجنوبية .[٢]

تخطيط القصـــر

يتكون قصر الجزيرة من دور أرضى وثلاث طوابق أخرى . ونلاحظ أن معظم وحدات الطابق الأرضى كانت وحدات خدمية مخصصة للأعمال الخدمية، ويتكون هذا الطابق من قاعة استقبال رئيسية يحيط بها وحدات خدمية ووحدات ترفيهية حيث يوجد بالجهة الشمالية كافيتيريا وقاعة احتفالات وحجرة طعام خاصة، وفى الجهة الجنوبية من قاعة الاستقبال توجد كافيتيريا أخرى، وفى الجهة الشرقية يوجد حجرات غسيل وتخزين اللحوم والثلاجة والمطبخ وحجرات خدمية وحجرات تغيير الملابس، أما فى الجهة الغربية يوجد مخزن .[٣]

أما الطابق الأول فيتوسطه قاعة استقبال رئيسية ، ويتوسطها ستة أعمدة تحمل السقف منها ثلاثة فى الجهة الشرقية، وثلاثة فى الجهة الجنوبية، وهذه الأعمدة تقسم قاعة الاستقبال إلى صالة وسطى (صالة انتظار) وجناحين للانتظار، وقد انتشرت بهذه الصالة السواتر المعدنية . وبالقسم الشمالى من هذا الطابق توجد كافيتيريا وغرفة الطعام الخاصة، وبالقسم الجنوبى يوجد التليفون والتلكس والسكرتارية ومسجل الزوار وقسم الحسابات، وبالركن الشرقى مجموعة غرف تمثل السكرتارية والعلاقات العامة .[٤]

أما الطابق الثانى فيتكون من مجموعة من قاعابت وصالات ومخازن وممرات، حيث يتوسط هذا الطابق قاعة الاحتفالات الكبرى . وبالجهة الشمالية لهذه القاعة

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٦٦ .
(٢) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٨٩ .
(٣) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، صـ ٢٩١ .
(٤) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٩١ .

حجرتان وصالة اجتماعات ومخزن وبالركن الشمالى الشرقى توجد صالة للاستقبال الكبرى، وبالجهة الجنوبية من قاعة الاحتفالات يوجد المطبخ والمخزن، أما الجهة الغربية فيوجد ممر خاص يؤدى إلى قاعة الاحتفالات .

أما الطابق الثالث فهو طابق فرعى يشغله ملهى ليلى ومطبخ فرعى ومجموعة مخازن، وهذه الملاحق لا تشغل الطابق بأكمله ولكن تشغل جزء منه .[1]

ويصل بين طوابق هذا القصر سلم مصنوع من الرخام وحفرت به حليات وزخارف تعد من الأعمال الفنية النادرة، ولهذا السلم درابزين يبلغ ارتفاعه ١ م وهو من الرخام الكرارة المخروط على شكل أعمدة محلية يعلوها عقود متداخلة ومطعمة فى شكلها الأفقى بوحدات زخرفية هندسية من الرخام الملون كما أنها محلاة من الجانبين .[2]

ويوجد سلم آخر وهو الذى يلى ردهة المدخل الغربى، وهذا السلم يؤدى من الطابق الأول إلى الدور الأرضى ، وهذا السلم يعتبر أكثر السلالم استعمالاً كسلم استقبال وهو يربط الدور الأول بالدور الأرضى . ويؤدى هذا السلم إلى وحدات مهمة مثل الكازينو، وصالون أوجينى والملهى الليلى (الإمبراطورة) وكذلك يؤدى إلى خارج القصر .[3]

أما حديقة القصر فتتوسطها بحيرة رخامية رائعة يحف بها سلالم من الرخام النادر وتماثيل لأسود تصب الماء من أفواهها، قوارب صغيرة فاخرة تسبح على صفحة الماء بين مجموعات البجع والبط والأوز، بينما تتناثر تماثيل آلهة وآلهات اليونان بين أشجار البرتقال والمانجو، وتمثال بالحجم الطبيعى للآلهة سيرا تحيط به تماثيل لأربعة ملائكة يصبون الماء، وأسوار من أشجار الفل والحناء والياسمين، وبنهاية

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٩٢ .

(٢) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٩٢ .

البحيرة جوسق من الرخام الأبيض الثمين يضم أرائك على شكل ديوان يميزها اللونان الأصفر والقرمزى. [1]

تكلف إنشاء هذه السراى مصاريف باهظة ، حيث أنفق على إنشائها ٨٩٨٦٩١ (ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وستمائة وإحدى وتسعون جنيهاً) . [2]

وقد تكلفت أيضاً أعمال التشطيب الخاصة بالقصر مصاريف باهظة، حيث تكلفت أعمال النقش بالسقف والحيطان بحجرة السفرة بسلاملك سراى الجزيرة حوالى ألف جنيه إنجليزى . وقد قام بعملها كل من الخواجة المهندس فرنسيس والخواجة ديبتش، وكان ذلك فى سنة ١٨٦٤. [3]

تحويل القصر إلى فندق

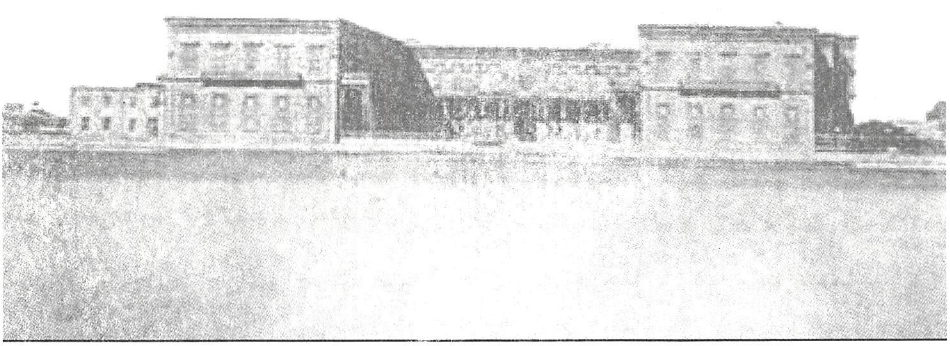
افتتح القصر فى عام ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م فى مناسبة افتتاح قناة السويس لإقامة كبار زوار الخديوى وخاصة الإمبراطورة أوجينى . ثم أصبح بعد ذلك المقر الرسمى لإقامة الخديوى إسماعيل . وفى سنة ١٨٧٩ اشترت شركة الفنادق السويسرية " بهلر " القصر والحديقة المحيطة وحولته إلى فندق أسمته " فندق الجزيرة " . [4]

وبعد سنوات بيع القصر ومحتوياته إلى الثرى اللبنانى لطف الله الذى بقى فيه هو وعائلته حتى عام ١٩٦١ حيث آلت ملكيته للدولة . وفى عام ١٩٦١ آلت ملكيته إلى الشركة المصرية للفنادق والسياحة (تور هوتيل) التى حولته إلى فندق اسمه (عمر الخيام)، وأجرت عليه عدة تعديلات مثل إقامة عدة غرف للنزلاء

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ ، صـ ٢١٣ .
(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٩٣ .
(٤) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، صـ ٢٩٤ (نقلاً عن سيد مدبولى : فندق ماريوت عمر الخيام - مقال - مجلة عالم البناء - العدد ٣١ - سنة ١٩٨٣ - صـ ٢٤) .

بالدورين الثانى والثالث وملهى ليلى بالدور الأرضى وأضافت أيضاً عدد من الشاليهات بالحديقة وقد بدأ تشغيل فندق عمر الخيام فى شهر ديسمبر ١٩٦٣م، وكان إجمالى عدد الغرف ١٨٢ غرفة بما فى ذلك الشاليهات . وفى عام ١٩٧٥م تقرر تحويله إلى فندق عالمى يحتوى على ١٣٢٨ غرفة للنزلاء، فكان البدء فى إنشاء فندق (ماريوت الجزيرة) على أن يتم الحفاظ على القصر الأثرى وإدماجه فى مبانى مستجدة تقام حول الحديقة المحيطة به بدلاً من الشاليهات الخشب، وذلك بعد ترميم جميع عناصره المعمارية والتحف المعدنية التى يحتويها .[١]

شكل رقم (٢٨)



قصر الجزيرة

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ٢٩٤ .

ســـــراى الإسماعيلية

تعد هذه السراى من أهم سرايات وقصور حى الإسماعيلية، وقد حددتها خريطة جراند بك عام ١٨٧٤ التى رسمت لمدينة القاهرة . وكذلك خريطة التخطيط الجديدة لمدينة القاهرة ، حيث يحدها شمالاً الشارع الذى يفصل بينها وبين قصر النيل (شارع قصر النيل) ويحدها جنوباً الشارع الذى يفصلها عن قصر الدوبارة (السفارة البريطانية حالياً) ويحدها شرقاً شارع القصر العينى وغرباً نهر النيل . ويطل سور هذه السراى بزاويته الشمالية الشرقية على ميدان الإسماعيلية (التحرير).[١]

وقد أنشأ الخديوى إسماعيل سراى الإسماعيلية وسميت بالسراى الصغرى وسميت بذلك لأنه قد شرع فى بناء سراى الإسماعيلية الكبرى محل جزيرة العبيط بعد شراء ما كان بها من المنازل والقصور . وقد انفق الخديوى على السراى الصغرى مبالغ طائلة حيث بلغ قيمة ما أنفقه عليها مائتا ألف ومائتان وستة وثمانون جنيهاً .[٢] وقد آل موقع هذه السراى وما حولها على الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل " جشم آفت " .

وقد استخدمت هذه السراى لسكنى الغازى مختار باشا مندوب السلطان العثمانى كما يتضح ذلك من الخطاب الذى أرسله الأمير محمد على باشا لناظر المالية فى مايو ١٨٩٥ . وما لبث ان هدمت هذه السراى الضخمة سنة ١٩٠٠م، ولم يبق منها إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها ، وقسمت أراضيها ولم يتبق من هذه السراى أى شئ، حيث شيد فى موقعها مجمع المصالح الحكومية (مجمع التحرير)، وما أمامه من مساحة فضاء وجزء صغير من وزارة الخارجية القديمة . حتى اسم الإسماعيلية نفسه فقد تلاشى مع ثورة ١٩٥٢ وحل محله ميدان التحرير .[٣]

---

(١) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ١١١ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ ، صـ ٢١٣ .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ ١١٣ .

قصـــر القبـــــة [1]

شرع فى بنائه الخديوى إسماعيل سنة ١٨٦٣ . كما ظهر من إحدى وثـائق قصر عابدين الموجهة من الجناب العالى الي قاسم باشا " خازينـدار الخـديوى " بتـاريخ ٦ أبريل عام ١٢٨٥ هـ وهو الذى يقول فيها " أرانـى لسـنا فى حاجـة إلى إصـدار أمـر جديد بتعجيل إتمام قصر القبة بعد أمرى الأكيد الذى صدر إليكم " . ولكن أول من سكن هذا القصر كان الخديوى توفيق وقد سمى باسـم الضـاحية التـى بنـى فيهـا ، ومساحة مبانيه حوالى سبعين فداناً، وبه من الغرف زهاء ٤٠٠ غرفة .

وتشمل مبـانى قصر القبـة بلوكـات الحرملـك والسـلاملك وأمـاكن الخـدم والأوفيسات الخصوصية والمطابخ الملكيـة . ويضـم" السـلاملك " عـدة حجـرات أهمها جناح نوم وصالة الطعام والمكتب الخاص ومكتب التشريفات، وأهـم مـا بـه المتحف الذى يحوى مجموعات طوابـع البريـد العالميـة والنقـود الذهبيـة والأثريـة . وتعتـبر هـذه المجموعـات أثمـن مـا فى القصر عـلاوة عـلى الكميـات الهائلـة مـن المجوهرات والتحف المرصعة بأثمن الأحجار الكريمة . أما " الحرملـك " فيشـمل جناح نـوم الملكـة والأغـوات والأمـيرات والمكتبـة ومخـازن المطـبخ ... إلـخ . وفى الحديث عن التحف التى هى أهم ما فى القصر فهى ذات قيمة مالية عظيمة فأغلبهـا من الذهب الخالص والجواهر والأحجار الكريمـة النـادرة، وتشـمل هـذه التحـف مجموعة من الساعات ، ساعات من كل حجم ولون . ساعة جيـب قطرهـا ١٥ سـم وساعة يد قطرها نصف سم وساعة مـن الـذهب المحـلى بالألمـاس وأخـرى مزينـة بالزمرد والزجاج الطبيعى الـوردى . وتوجـد أيضـاً مجموعـة هائلـة مـن الـدبابيس الذهبية المحلاة بالجواهر بعضها على شكل سيف والباقى على شـكل عصـا أو طـائر

(١) تنسب ضاحية القبة إلى قبة الأمير يشبك بن مهدى ، أحد أمراء دولة المماليك الذى أنشأ قبتين إحداهما تعرف باسم قبة الفداوية بين العباسية والحسنية والثانية أنشأها سنة ٨٨٤ هـ والتى ما تزال قائمة حتى اليوم بحى القبة .

مجنح. وهنالك " شخشيخة " أهديت إلى الملك فاروق بمناسبة ميلاد " ولى عهـده " محلاة بالجواهر.[1]

أما طقم الشاى والسفرة فكلها من النوع الذى تجده عند محدثى النعمة هذا علاوة على مجموعة كبيرة من " البيبات " بعضها يحمل اسم فاروق وبعضها أسماء فؤاد وإسماعيل وسعيد، فتاحات للخطابات ومعظمها على هيئات سيف بعضها محلى بالماس وبعضها من الذهب الخالص.[2]

ومن بين هذه المجموعات نجد مجموعة النقود الذهبية النادرة، حيث توجد مجموعة ترجع إلى عهد قيصر روسيا . وتضم مجموعات النقود أوراقاً للنقد المصرى والأجنبى أهمها مجموعة تحمل إمضاء وزراء المالية السابقين على التوالى، ومجموعة أخرى من أوراق النقد السودانى ترجع إلى عهد " غوردون " من بينها ورقة من فئة الخمسين قرشاً . وقد بلغ من حب فاروق للنقود أن أمر بتغطية " الفازات " الفضية التى تزين متحفه العجيب بقطع من النقود الفضية ذات عشرة قروش من عهد السلطان حسين كامل.[3]

وأهم من مجموعة النقود، مجموعة طوابع البريد والتى قام بتجميعها الملك فؤاد ومعظم هذه الطوابع استولى عليها فاروق من مصلحة البريد ومتحفها . كما كان له فى الخارج عملاء وسماسرة يحصلون له على كل ما يقع لهم من الطوابع النادرة ليضمه إلى متحفه .

كما عثر أيضاً على مجموعة من أمواس الحلاقة من جميع الماركات، ودبابيس الشعر، ومجموعة أخرى من المحافظ مصنوعة من جلد الخنزير ومكتوب عليها "فاروق". علاوة على مجموعة كبيرة من الأوانى الذهبية والخواتم والحلى . أما صينية

(١) محمود الجوهرى : قصور الرجعية ، صـ ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٨٨ .

(٣) محمود الجوهرى : نفس المرجع ، صـ ٨٩ .

القهوة المصنوعة من الذهب الخالص المرصع بأغلى الماسات واليواقيت فهى قطعة رائعة مرصعة بالماس ومعها ٢٤ فنجان مرصعة بالماس والبرلنت يقدر ثمنها بـ ٥٠٠٠٠ جنيه.[١]

ومن الأشياء المثيرة للدهشة من تحف قصر القبة هو ذلك " المسطارين " الذى يستعمل لجرف مادة الأسمنت المعجون من القصعة، وبها قطع من الذهب ومرصعة بالماس والبرلنت والياقوت . وكان الملك السابق يستخدمها لوضع حجر الأساس فى المنشآت التى كان يضع بها حجر الأساس .[٢]

نرجع الي وصف القصر، فتوجد بالقصر حجرات أخرى هامة مثل حجرة المجنزيوم المزودة بجميع الأجهزة العالمية التى وضعت لمجرد الزينة . وكذلك حجرة بها جميع آلات الموسيقى اليدوية والأتوماتيكية .

أما حديقة القصر فهى قسمان : الحديقة الخارجية وتبلغ مساحتها ١٢٥ فداناً وقد ضمت إلى القصر فى عهد الملك فاروق بعد أن كانت تابعة للأوقاف، وتزرع كلها فاكهة وموالح . أما الحديقة الداخلية فمساحتها ٨٠ فداناً . وهى التى بها مبانى الحرملك والسلاملك ومتنزهات الزينة والزهور والأبصال النادرة التى كانت تستورد من هولندا، وفى وسطها بركة صغيرة للرياضة وملاعب التنس. وكان قد شرع فى إنشاء حمام للسباحة فيها وحفرت الأرض لذلك فعلاً ولكنه لم يتم بسبب قيام الثورة .[٣]

وتوجد على باب القصر محطة خاصة ألحقت بها استراحة فاخرة وجراج خاص بالديزل الملكى " قطار الملذات "، وقد عملت خصيصاً على نفقة الحكومة ليركب منها الملك دون أن يشعر به أحد.[٤]

---

(١) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٩٠ .

(٢) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٩٠ .

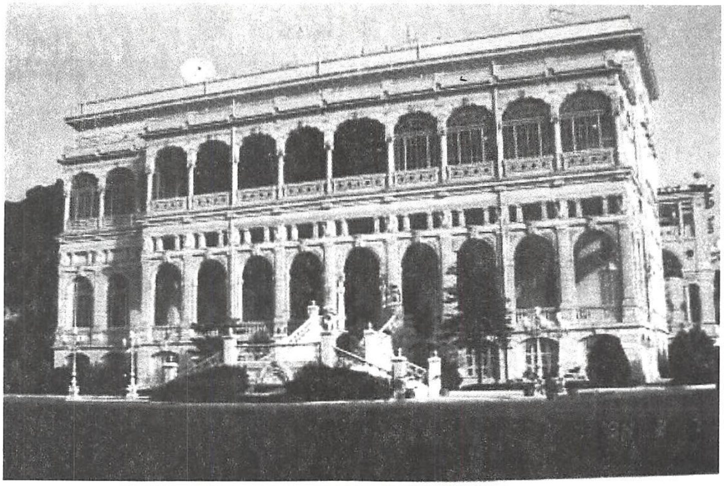
(٣) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٩١ .

(٤) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

مكتبـــة القصـــر

مكتبة قصر القبة تلك التى قيل عنها أنها خاصة . لأنها تشمل الهدايا الرائعة من الكتب التى أهديت إلى الملك السابق ووالده . وهى تتكون من ٢٧ غرفة وتضم أكثر من ١٥٠٠٠٠ مجلد من الكتب النادرة التى قلما أن يوجد لها نظير . وكان يتولى أمر هذه المكتبة " جاك تاجر " والآنسة " سلفانا نورينى ". ولم يعمل لهذه المكتبة فهارس أو كتالوجات وكانت فى طريق الإعداد . وأهم ما فيها حجرة المصاحف وهى تضم مجموعة من المصاحف آية فى دقة الصناعة فهى من الخشب الممتاز المطعم بالصدف ومزينة ببعض الآيات القرآنية المنقوشة بالذهب . وتعتبر هذه المجموعة من أندر وأضخم المجموعات فى العالم . فهذا مصحف طوله نصف متر وعرضه ربع متر كتب بخط اليد، ومصحف آخر سداسى الشكل لا يزيد حجمه على حجم بيضة الدجاجة، وثالث لا يزيد حجمه على الزيتونة، ورابع على شكل مسدس صغير، وخامس كتب بماء الذهب ووضع داخل علبة ذهبية عيار ٢١ تحمل الشعار الملكى.[(١)]

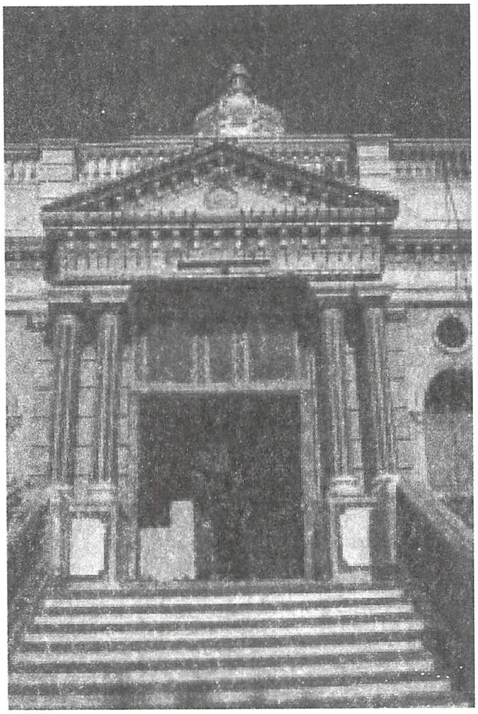
شـكـل رقم (٢٩)



قصر القبة

(١) محمود الجوهرى : المرجع السابق ، صـ ٤٧ .

شكل رقم (٣٠)



واجهة مدخل قصر القبة

شكل رقم (٣١)



قصر القبة من الخارج

سـراى الزعفـران

تقع سراى الزعفران بمنطقة العباسية شمال قشلاق العباسية والأراضي التابعة له. وتحيط بهذه السراى حديقة من الثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية، ويوجد طريق شمال السراى يربط بين السراى والطريق المؤدي للقبة والمطرية.[1]

وتعد هذه السراى من أبرز ما شيد من قصور للأمراء والباشوات بمنطقة العباسية . وهذه السراى بناها الخديوى إسماعيل لوالدته خوشيار هانم حيث أعطاها لأمه عن طريق الهبة وقد أقامت خوشيار هانم بهذه السراى وتركتها بعد أن شيدت لها سراى فخمة وسعة علي النيل في حى جاردن سيتي.[2]، وأقامت أسرة مصطفي باشا فاضل بهذه السراى، ووهبتها خوشيار هانم لجهة الميري لعمل المدارس الحربية بها .

وقد عادت خوشيار هانم وسكنت هذه السراى مرة أخرى فى عهد حفيدها الخديوى توفيق . وقد طلبت الحكومة من خوشيار هانم أن تتنازل عن هذه السراى فى سنة ١٨٨٢ لإقامة ضباط الجيش الإنجليزي فتركتها خوشيار هانم . وقد حدثت بهذه السراى الكثير من التلفيات سواء فى الموبيليا والمفروشات أو فى المباني نفسها . وقد طلب الأمير حسين كامل باشا من الجنرال استفانسون كأنه الجيش الانجليزى أن يدفع إيجار شهرى لهذه السراى، يقدر بخمسين جنيه عن كل شهر وذلك من سنة ١٨٨٢ - ١٨٨٧ . وقد طلب استفانسون استشارة حكومة بلاده وعندما عاد ترك هذه السراى فى أواخر شهر سبتمبر .[3]

---

(١) عبد المنصف سالم حسن نجم : الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر رسالة دكتوراة - كلية الآثار - جامعة القاهرة صـ٢٢٨ .

(٢) هى سراى القصر العالى التى قام الخديو اسماعيل بترميم وتشييد ما تلف منها ومنحها لوالدته .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ٢٢٩ ، صـ٢٣٠ .

سراى الزعفران الحالية :

يذكر "مصطفى بك فهمى" أن الخديوى اسماعيل أنشأ قصر الزعفران القديم.[1] وعلى ما يبدو أن القصر الذى شيده الخديوى اسماعيل تم تجديده فى فترات لاحقة .

وصــــف القــصر

لقصر الزعفران الحالى أربع واجهات تطل على الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية . ويتكون القصر من طابقين بالإضافة إلى البدروم . ويفتح على هذا القصر خمس مداخل اثنان رئيسيان وهما المدخل الشمالى والمدخل الجنوبي الشرقى بالإضافة إلى مدخل بالواجهة الشرقية يؤدى إلي البدروم .[2]

القصر من الـــداخل

يتكون القصر من الداخل من طابق البدروم ثم طابق أول وطابق ثـانى (جميـع حجرات القصر خاصة برئيس جامعـة عـين شـمس) . ونلاحـظ أن تخطـيط قـصر الزعفران يتشابه إلى حد كبير قد يصل إلى التطابق مع قـصر سـعيد حلـيم . ويتكـون الطابق الأول من بهو رئيسى يمتد من الشمال إلى الجنوب به عدة أعمـدة وفـصوص ذات تيجان أيونية حاملة للسقف، ويتصدره من الجهة الجنوبية سلم بفـرعين خلفـه صالة صغيره تفتح عليها فتحة الباب الجنوبيـة للقـصر . وعـلى يمـين ويـسار البهـو الرئيسي توجد قاعات للاستقبال وقاعة للمائدة .

وفى أقصى الركن الجنوبى الشرقى يوجد المصعد وبعـض الحجـرات الـصغيرة (مستخدمة كمكاتب الآن) .

أما الطابق الثانى فيتكون من بهو رئيسي وبه ثمانية غـرف كانـت خاصـة للنـوم بالإضافة إلى حمام به باب يفـتح عـلى سـطح الفرنـدة التـى تتقـدم المـدخل الـشمالى للقصر.[3]

---

(١) مصطفي فهمى : القصور والمنشأت - اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ٣٧٤

(٢) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ٢٣١ .

(٣) عبد المنصف سالم : المرجع السابق ، صـ٢٣٢ .

ويغطى القصر سقف مسطح، وأرضية مسطحة مغطاة بخشب الباركيه بنظام السبعات والثمانيات، (والقصر غنى بالوحدات الزخرفية المكونة من الجص المصبوب المذهب والزجاج الملون المعشق بالرصاص والمعادن المشغولة) .[1]

سراى الجبل

هى سراى للخديوى اسماعيل وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية لسراى الزعفران وكان يربط بينها وبين سراى الزعفران طريق لا تزال بقاياه كائنة إلى الآن .

وكانت هذه السراى من أفخم القصور، وقد التهمتها النيران ذات ليلة وبلغ من خطورة هذا الحريق أن اشترك فى اطفائه عشرة آلاف جندى وكانت الجوارى يهربن فيها بالمئات . وكانت هذه السراى محاطة بثكنات العباسية، وكان الخديوى اسماعيل قد أنشأها لسكنه الخاص، وجعل فيها الفين من الجوارى والأغوات وحرم دخول الرجال فيها . وبلغ من ترف الخديوى اسماعيل واهتمامه بهذه السراى أن أنشأ بالقرب منها محطة سكة حديد ينتقل اليها من محطة مصر مباشرة عبر قطاره الخاص. وكان يربط بين محطة مصر والدمرداش وسراى الزعفران وسراى الجبل، ولا تزال بقايا هذه السراى ماثلة إلى الآن، وهذه البقايا تقع بالجهة الغربية للمستشفى المحاطة بسور كبير ضخم أصفر اللون مما جعل العامة يطلقون على هذه السراى اسم السراى الصفراء .[2]

(١) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٢) عبد المنصف سالم : نفس المرجع ، صـ٢٣٣ .

شـــكـل رقم (٣٢)



قصر الزعفران

القاهرة فى الوثائق الأجنبية

إلى جانب وصف القاهرة وحياة مجتمعها التى سجلتها مشاهدات الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين .. هناك أيضا الوثائق الرسمية، وهى التقارير التى كان القناصل والأجانب يرسلون بها إلى حكوماتهم .[1]

* من بيردسلي قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية " القاهرة فى ٩ نوفمبر ١٨٧٢ " .

(رأى إسماعيل ما يترتب من الفوائد على إنشاء مركز دائم لحكومته تلتف حوله مختلف الوزارات ، فقرر ألا يجعل القاهرة عاصمة ملكه فحسب بل أن يجعلها عاصمة تليق بمصر، لذلك أنفق أموالاً كثيرة ، وبدأ الجود فى همة قلما يتحلى - أمير شرقى - فعكف على العمل فى الخمس سنوات الأخيرة لتجميل المدينة التى يمكن تفضيلها اليوم على عدة عواصم أوروبية [2]

* من بيردسلي قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية :

(القاهرة في ١٥ سبتمبر ١٨٧٣)

(بلغ التجميل والتغيير فى القاهرة، منذ بضع سنوات، مدى يصعب على الأجنبى تقدير طبيعته ومداه حق التقدير، سكان القاهرة نصف مليون نسمة وهى قائمة بالقرب من المقطم على مسيرة ميل ونصف الميل من النيل، ومنذ ست سنوات لم يكن الحيز الواقع بين القاهرة والنيل وبولاق، إلا أرضاً واسعة منخفضة، تغمرها مياه الفضيان، هو اليوم الحى الجديد الجميل الذى يسمى حى الاسماعيلية تكريماً لسمو الخديوى.[3]

---

(١) عرفة عبده على : القاهرة فى عصر اسماعيل ، صـ٥٣ .

(٢) عرفة عبده على : المرجع السابق ، صـ٥٣ .

(٣) عرفة عبده على : نفس المرجع ، صـ٥٤

وقد تم تخطيط طرق جيدة واسعة لسير العربات، تحف بها الأشجار، ومنحت الأرض بالمجان، لمن يتعهد بأن يقيم عليها بناء معين الرسم .

هكذا أنشئت مدينة جديدة تماماً تتألف من أبنية رائعة، تمتد من المدينة القديمة إلى ضفاف النيل، فكأنها نشأت بفعل السحر.(١)

وفى مجال إنشاء المبانى العامة فكما جاء فى خطاب بيردسلي القنصل الأمريكيى الى وزير خارجيته أن مبانى منطقة العتبة - مبانى المحطة المركزية للمطافى - مبنى هيئة البريد ومحلات صيدناوى وعمر أفندى والسوق الرئيسي (سوق العتبة الخضرة حاليا) . كل هذه المبانى وغيرها الكثير كان قد خطط لها أو تم الانتهاء منها بعد تنازله عن العرش . هذا علاوة على ملاجئ الايتام وتكية للنسوة العاجزات، وكذلك تم بناء عشرين مسجدا جديدا وعلى رأسها مسجد الرفاعى والتى قامت ببنائه الوالدة باشا (والدة الخديوى) .(٢)

ومن خلال المشروعات العمرانية التى أقامها إسماعيل بالقاهرة أحب أن أقول أن اسماعيل قام بعمل مشروع اصلاح عام أطلق عليه (باريس الشرق) وتتلخص خطواته فيما يلي: (٣)

١- إزالة التلول والخرائب التى كانت تحيط بالقاهرة من جميع نواحيها وتمهيد أراضيها واعدادها للبناء .

٢- ردم البرك والمستنقعات التى كانت منتشرة فى جميع أنحاء القاهرة حتى بلغ ما قام بردمه من البرك ما لا يقل عن العشرين بركة ومستنقع تبلغ مساحتها ما يزيد عن ٢٠٠ فدان .

(١) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ٥٤ .

(٢) حسين كفافى : الخديوى اسماعيل ومعشوقته مصر، صـ١٥٣ .

(٣) محمود محمد فتحى الألفى : العمارة الاسلامية فى مصر خلال القرن التاسع عشر - اسرة محمد على بالقاهرة - ١٨٠٥ - ١٨٩٩ - رسالة دكتوراة - كلية الهندسة - جامعة القاهرة - صـ٥١٣ ، صـ٥١٤ .

٣- نقل المدافن التـى كانـت تقـع فى وسـط القـاهرة وتحويلهـا إلى ميـادين وأحيـاء للسكن.

٤- تزويد القاهرة بالماء الصالح للشرب .

٥- تجفيف الأراضي وعمل مشروع مجارى القاهرة ولم يتحقق تنفيذ الجزء الأخير منه إلا فى سنة ١٩٠٩ على يد " كاركت جيمس " .

٦- رصف الطرق وغرسها بالأشجار ووقايتها من القاذورات .

٧- تزويد القاهرة بالحدائق العامة التى تعد بمثابة رئتى التنفس للمدينة .

٨- تعمير الأحياء الفقيرة وإصلاحها وتزويدها بمياه الشرب والغسيل .

٩- إصلاح مداخل القاهرة وإزالة ما يشوهها من ضرائب .

١٠- إعداد طرق النقل والمواصلات داخل المدينة ورصف الشوارع بعد تجفيفها .

وتعرف الطريقة التى اتبعها اسماعيل فى تخطيط القاهرة باسم " الطريقة الاشعاعية " حيث أقام ميادين واسعة تتصدرها أبنية مهمة كالقصور وتتفرع من هذه الميادين الشوارع الرئيسية التى تحصر بينها خطط أو أحياء، خططت شوارعها بحيث تكون متعامدة (شبكية) أو حدائقية كجاردن سيتي.[١]

لقد خلق اسماعيل القاهرة الجديدة، كما خلق نابليون الثالث باريس الجديدة، وأن التغييرات التى أدخلها عليها خلال مدة حكمه تعد أكثر من تلك التغييرات التى أدخلت عليها خلال قرن سابق . ويشعر الاجنبى وهو فى القاهرة وكأنه فى أى بلد أوروبى، ويمكنه أن يقيم فى الفنادق المزودة بوسائل الترفيه كمثيلاتها التى فى برلين وفيينا ولندن أو باريس . ويقول "**Fraser Rae**" فى كتابه "**Egypt today**" :

(١) محمود محمد فتحي الألفي : المرجع السابق ، صـ٥١٩

(إننى فى الحقيقة أشك إذا كان يوجد في إحدى تلك العواصم فندقاً به وسائل الراحة ووسائل التسلية كتلك التى فى فندق شبرد).(١)

ويقول بعض الرحالة " أن القاهرة فى عصر إسماعيل كانت مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة باريز، وأنها كانت فى جمال أبدع من أحياء باس وغابة بولونيا، وأن القسطنطينية كانت تتضاءل بجوارها، وأن الأزبكية كانت أزهى حدائق العالم، وأن دار الأوبرا فيها كانت من أكثر دور الموسيقي والتمثيل سعة وفخامة ".(٢)

وفى كل هذا ترجمة لناحية هامة من نواحى سياسة إسماعيل وآماله وهى توجيه مصر نحو المدنية العالمية، وإلباسها مظاهر النهضة الحديثة . وقد تحققت آمال إسماعيل، فالقاهرة اليوم تدين له بأحيائها العصرية : أحياء الأوبرا والأزبكية وقصر النيل والجزيرة والزمالك .(٣)

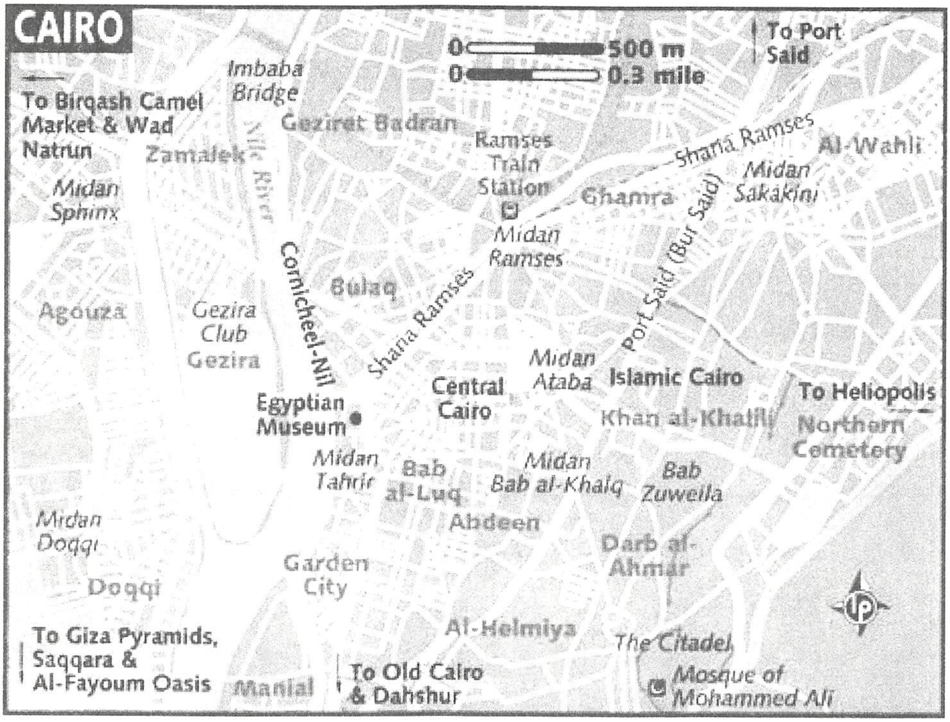
---

(١) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٠ - صـ٥ .

(٢) أحمد فكرى : القاهرة فى عهد إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته صـ٣٨٢

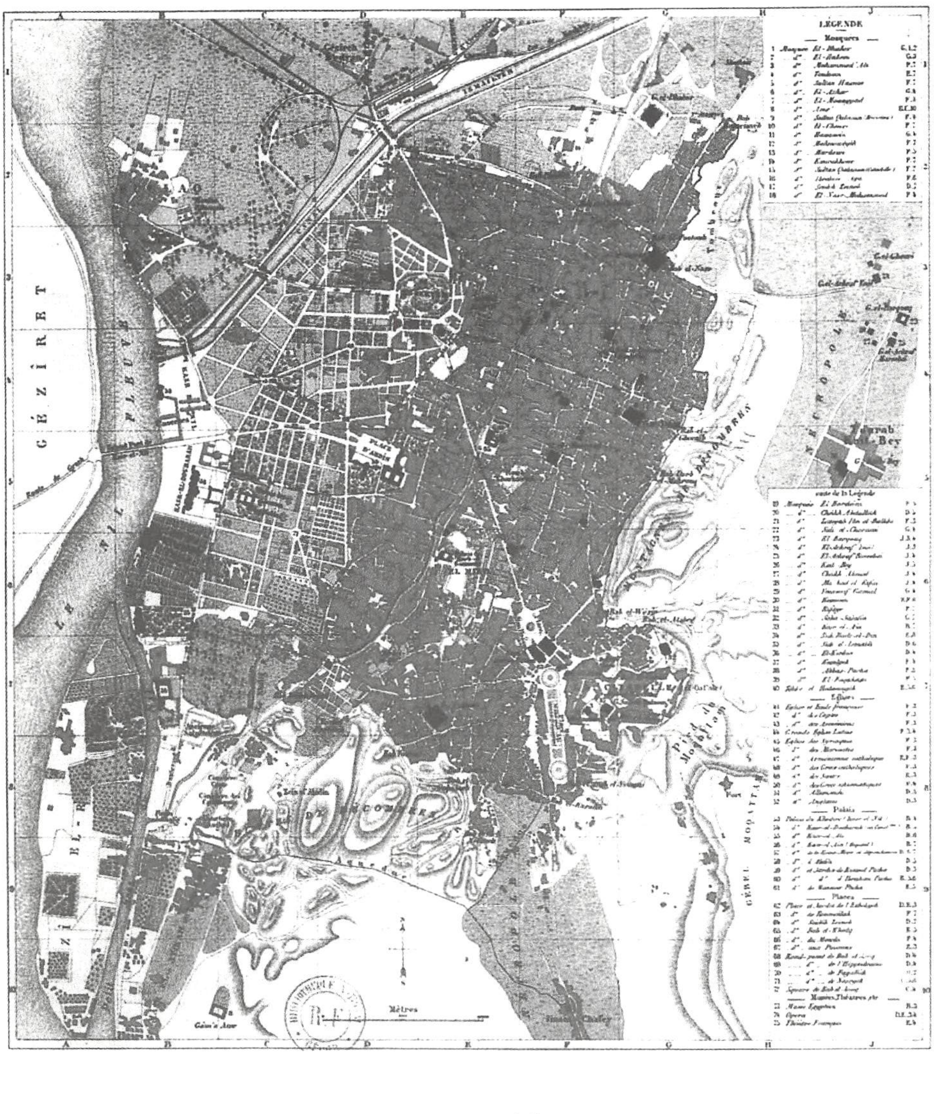
(٣) احمد فكرى : نفس المرجع ونفس الصفحة .

شكل رقم (٣٣)



خريطة القاهرة

شكل رقم (٣٤)



القاهرة ١٨٧٤

شكل رقم (٣٥)



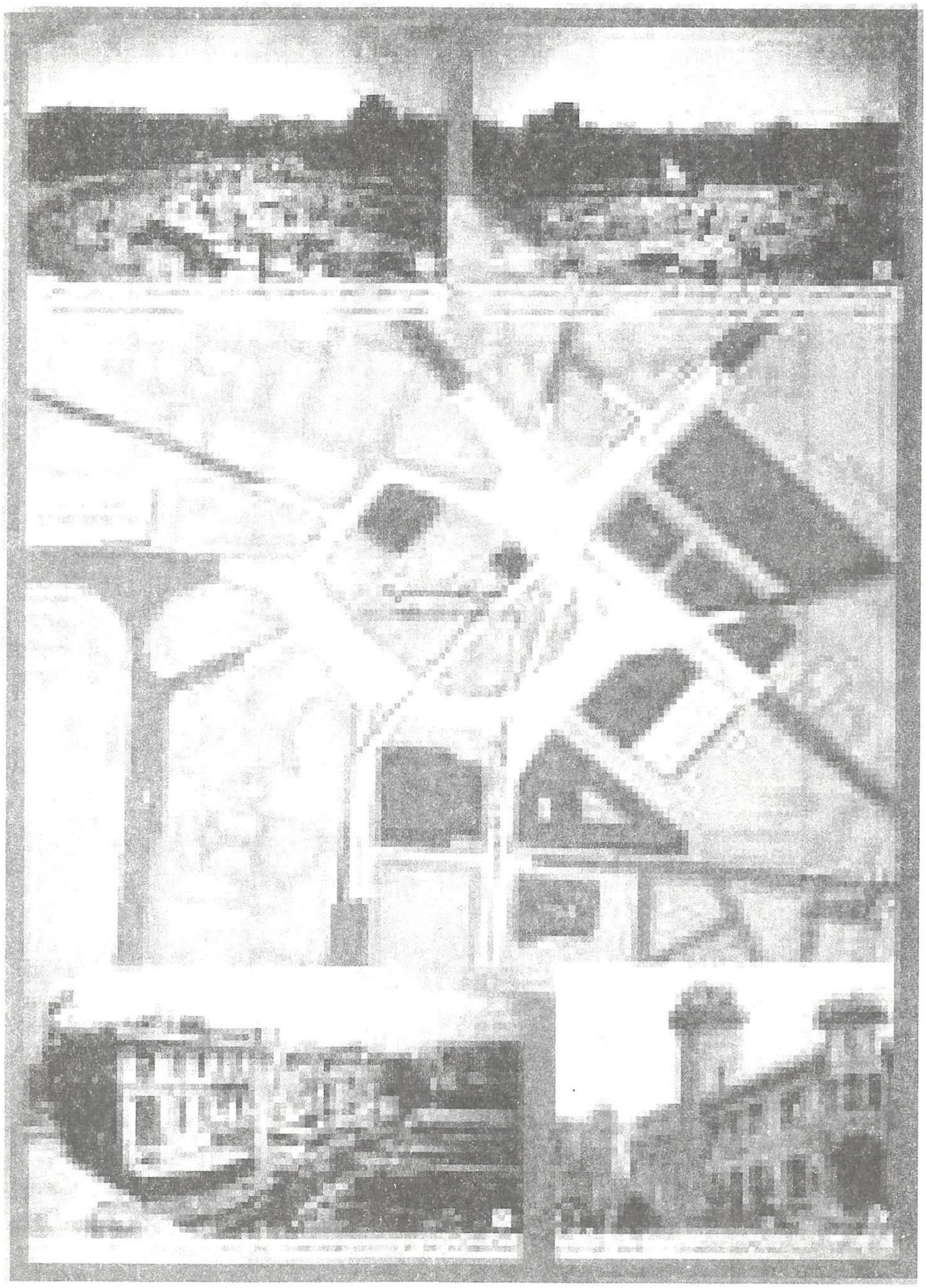
خريطة القاهرة

شكل رقم (٣٦)



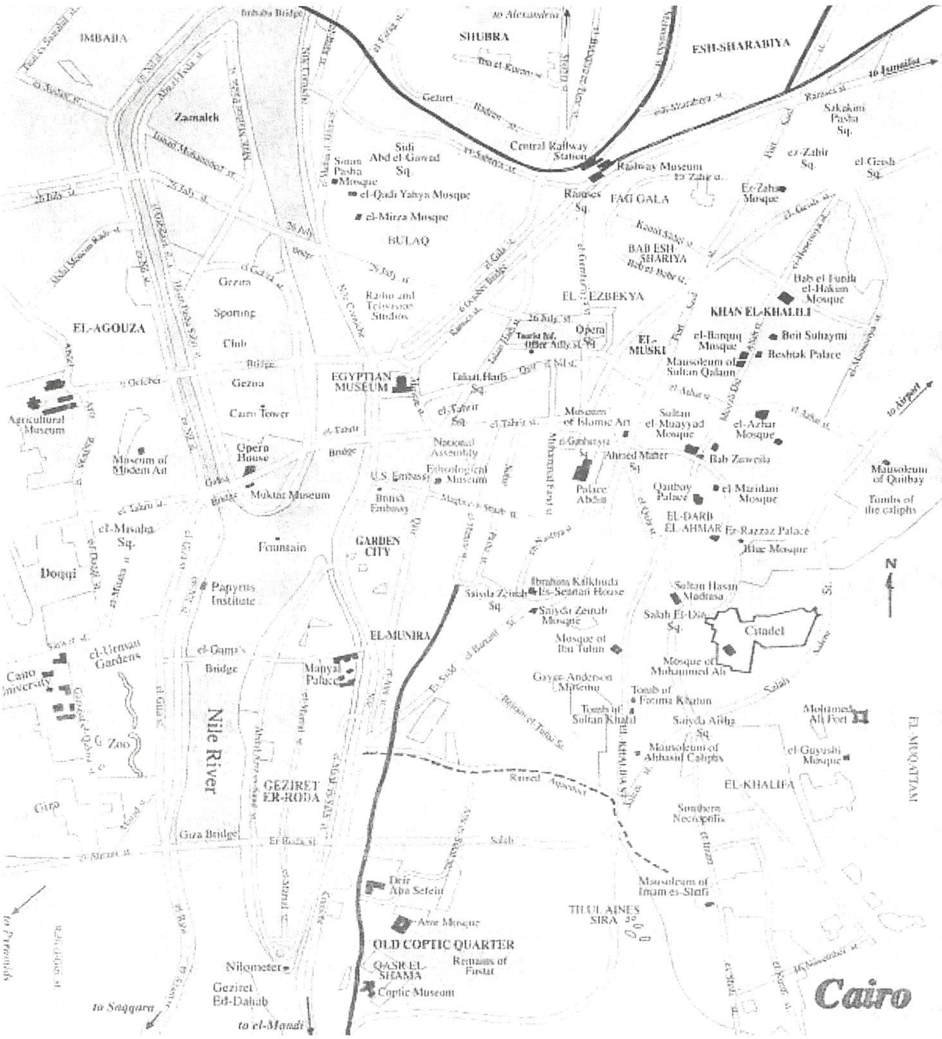
القاهرة فى القرن ١٩

شــكــل رقم (٣٧)



القاهــرة

شكل رقم (٣٨)



خريطة القاهرة

٢ـ الإسكندرية

ازداد عمران الإسكندرية فى عهد إبراهيم باشا، وعباس باشا، ثم فى عهد محمد سعيد باشا الذى كان يحب الإقامة بها ويؤثرها على عاصمة البلاد . وقد جدد بها مسجد البوصيرى بالميناء الشرقى، وبلغ عدد سكانها فى عهده نحو مائة ألف من السكان .(١)

وازداد عمرانها فى عهد إسماعيل بالرغم من أن إسماعيل لم يكن يحب الإسكندرية بعد أن قال له منجم بأنه سيلقى حتفه بها . لكنه اعتنى بها، وإذا السائح الذى زار تلك المدينة فى أوائل سنة ١٨٦٣ يكاد لا يعرفها لدى عودته إليها فى سنة ١٨٦٩ أو إذا عاد إليها من جديد سنة ١٨٧٨ .(٢)

فشوارعها وسعت بالتدريج توسيعاً مستمراً وانتزعت منها أكوام الأقذار والأتربة ومهدت تمهيداً حسناً وبلطت بلاطاً جيداً أتى به من " تريستى " بمصاريف كبيرة وغرس بعضها على جانبيه بالأشجار الباسقة وكذلك الحال بالنسبة للحارات والأزقة ، وسعت بالمثل ونظفت وأبعد عنها مسببات الأمراض والأوبئة وفصلت أحياؤها بعضها عن بعض بقواعد تنظيمية .(٣)

وأنشأ أحياء جديدة أهمها " حى العمال " بنى على الأرض الواقعة بجوار عامود الصوارى وكانت ملكاً للمسيو برافييه فاشتراها إسماعيل منه ووهبها للحكومة .(٤)

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، الجزء الثانى ، صـ ٢٧ .

(٢) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى النصف الثانى من القرن ١٩ - رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ ٣ .

(٣) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا - المجلد الأول - صـ ١٣٩ .

(٤) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ ٣ .

وأصدر إسماعيل أوامره بفتح عدة شوارع جديدة أهمها " شارع إبراهيم " الممتد من مدرسة البنات على ترعة المحموديه وطوله ١٠٠٠ متر فى عرض ٢٤ متر وجعل جانبيه طريقان للمشاة وترك وسطه للعربات والحيوانات، ثم شارع الجمرك، وشارع المحمودية ، وفتح ستة شوارع جديدة ممتدة بين سكة باب شرق وسكة العسكرية المارة حول سور المدينة وطول كل واحد منها ٦٠٠ متر .[١]

ومن أهم المبانى العامة التى قام إسماعيل بتخطيطها بورصة القطن وتخطيط ميدان محمد على (ميدان المنشية حالياً) الذى يتوسطه تمثال محمد على باشا .[٢] ووضع التمثال على قاعدة من الرخام . وكان تمثالاً نحاسياً تجلى فيه محمد على فارساً مهيباً يشرف على الساحة الفسيحة ويده الثابتة على خاصرته القوية تدل على أن النصر بات طوع بنانه .[٣] وتكلف حوالى ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك .[٤]

ومن الأمور الهامة أيضاً التى تنسب إلى إسماعيل، إحياء قوة مصر الحربية، وتجديد الأسطول المصرى . فأعاد فتح دار الصناعة، وبدأت الحياة تدب فيها من جديد ونشطت فى بناء السفن ، هذا بالإضافة إلى صيانة السفن، الحربية الأخرى المشتراه من الدول الأوروبية مثل شيرجهاد ومحمد على والخرطوم ومصر المحروسة وغيرها، ورغم أن عدد الأسطول المصرى فى عهد إسماعيل لم يزد عن ٢١ سفينة حربية، فقد لعب دوراً كبيراً فى حملة كريت وفى حرب البلقان .[٥]

وكان للمحافظة على الصحة العامة وتنظيم عمليات الذبح فى إطار صحى وقانونى، فتم بناء السلخانة . وقد بلغت التكاليف فى هذه الأمور حوالى ٤٦٠ ألف جنيه تقريباً .[٦]

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية (عن طبعة بولاق - جـ ٧) صـ ٦٦ .

(٢) حسين كفافى: الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر _صـ ١٥٤

(٣) إلياس الأيوبى: المرجع السابق ، صـ ١٤١ .

(٤) على مبارك المرجع السابق ، صـ ٦٧ .

(٥) محافظة الإسكندرية : تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور ، صـ ٣٨١ .

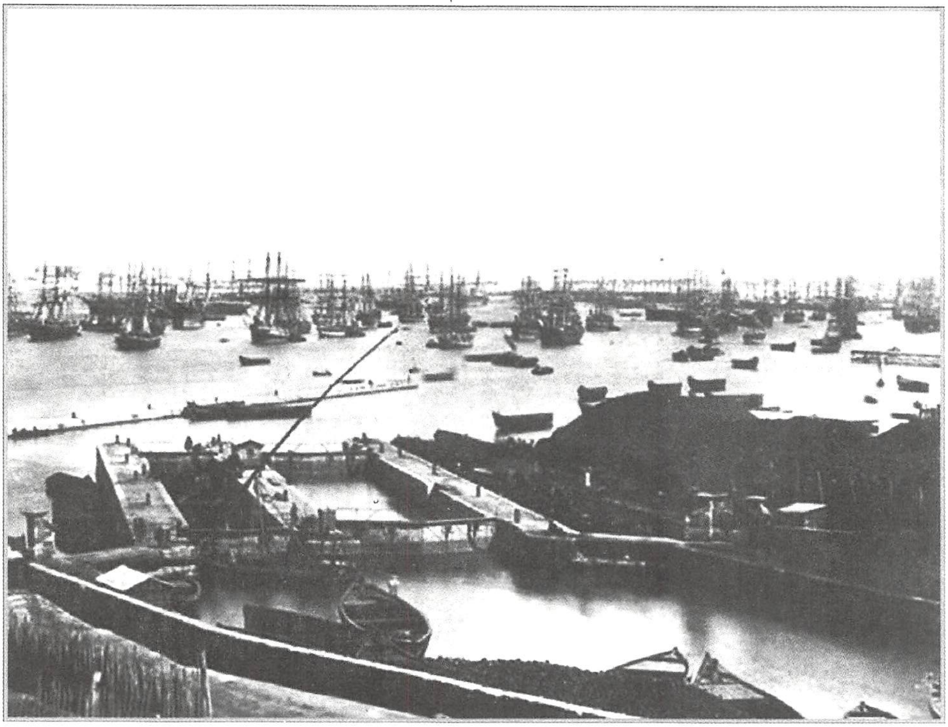
(٦) حسين كفافى : المرجع السابق ، صـ ٦٥٤ .

ونلاحظ أن امتداد العمران فى الإسكندرية فى هذه المرحلة قد اتخذ ثلاثة اتجاهات، هى الاتجاه الجنوبى والاتجاه الشرقى والاتجاه الغربى . أما فى الشمال فكانت المدينة قد شغلت جزيرة فاروس القديمة عن آخرها تقريباً قبل سنة ١٨٥٥ . وكان أسبق الاتجاهات التى امتد إليها العمران خلال هذه المرحلة هو الاتجاه الجنوبى أى فى منطقة كوم الشقافة وغربى كرموز وباب سدره ولم يصل العمران الكثيف جنوباً إلى ترعة المحموديه .

أما الاتجاه الغربى فلم يمتد العمران لمسافة كبيرة خلال هذه الفترة إذ لم يتعد غرباً حى القبارى والمفروزة، أى أنه لم يصل إلى حى الورديان أما الاتجاه الشرقى أى تجاه الرمل، فإن الحد الشرقى للعمران كان يمثله خط يمتد من رأس السلسلة تقريباً نحو الجنوب ويسير مع ترعة الغرفة حتى خروجها من ترعة المحمودية . ومعنى هذا أن العمران لم يكن يتعدى حى الأزاريطة وإن كانت المبانى تتاخم مدافن الطوائف المسيحية المختلفة والإسرائيليين الموجودة بالشاطبى ولكن لا تتعداها إلى الشرق .(١)

(١) محمد صبحى عبد الحكيم : مدينة الإسكندرية ، صـ ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

شـــكل رقم (٣٩)



ميناء الإسكندرية سنة ١٨٧٢

تعد الإسكندرية أولى مدن القطر التى أدخلت نظام المجارى بها ففى سنة ١٨٧٨ مدت الشبكة الأولى من شبكات المجارى .[١]

أما عن الإضاءة، فإن نمو المدينة وكثرة ما بها . من شوارع ودروب قد دفع المسئولين على منح امتياز الإنارة بالمدينة وضواحيها إلى " شركة ليبون " وشركاه سنة ١٨٦٥ . فأقامت لهذا الغرض وابور الغاز والكهرباء على ترعة المحمودية بحى كرموز لإمداد المدينة بكل ما تحتاج إليه من غاز الاستصباح والتيار الكهربائى .[٢]

(١) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، صـ ٣٨٤ .

(٢) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

ولما كانت حاجة سكان المدينة إلى الماء النقى لا تقل عن حاجتهم إلى الكهرباء فقد أنشئت شركة للقيام بهذا العمل فى سنة ١٨٧٩ باسم " شركة مياه الإسكندرية ". فأخذت على عاتقها بناء وابور المياه بمنطقة باب شرق لتكرير المياه التى تؤخذ من ترعة المحمودية قبيل وصولها إلى محرم بك عن طريق ترعة الغرفة . وبعد إتمام عملية التكرير تدفع المياه إلى الخزان الموجود بأعلى مرتفع كوم الدكة.[١]

وقد تنازلت شركة المياه عن حقوقها للحكومة المصرية نظير مبلغ ٥٣٦٠٧٧ جنيه .[٢] وأنشأت بلدية للاعتناء بأمور التنظيم والصيانة والنظافة ، فأبطل الذبح داخل البيوت والحوانيت، وأبطل دفن الأموات فى المدافن الخاصة بجوار المنازل وداخل المساجد، وأقيمت الوقايات الصحية على يد الإدارة الصحية المعروفة باسم " الانتنداس سانيتير " فخفت وطأة الأمراض والأوبئة .[٣]

سكك حديد الرمل

لا شك أن خطوط المواصلات هى شرايين الحياة بالنسبة لنمو المدن وامتداد العمران . فحى الرمل الذى يعتبر الآن من أعظم أحياء الإسكندرية من ناحية الأناقة والفخامة والتنظيم مدين إلى حد كبير الي خط سكة حديد الرمل .[٤] ففى ٦ أغسطس ١٨٦٠ أعلنت الحكومة المصرية امتيازاً لبريطانى بإنشاء خط حديدى يربط الإسكندرية بضاحية الرمل[٥]، ويدعى السير " إدوارد سان جون فيرمان " . واحتفظت الحكومة لنفسها بحق سحب الامتياز منه فى أى وقت تشاء على أن تقوم بدفع قيمة موجودات الخط المذكور . وفى سبتمبر ١٨٦٢ وضعت أول قضبان

(١) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، صـ ١٨٧ .

(٣) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ ١٤٠ .

(٤) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، صـ ٣٨٢ .

(٥) محمد صبحى عبد الحكيم : المرجع السابق ، صـ ١٥٥ .

حديدية بجهة (مسلة كليوباترا) – محطة الرمل حالياً – وكان يعمل على الخط ١٢٠٠ عامل ، وفى ٨ يناير ١٨٦٣ افتتح الخط لنقل الجماهير بقطار واحد من الإسكندرية إلى جهة منزل الشيخ إسماعيل (محطة بولكلى حالياً) عن طريق جامع سيدى جابر، وكان القطار يتكون من عربة واحدة درجة أولى وعربتين درجة ثانية وعربة واحدة درجة ثالثة يجرها أربعة خيول .(١)

وفى ٢٢ أغسطس ١٨٦٣ استعملت قاطرة بخارية فى جر القطار بدلاً من الخيول .(٢)

وقد بلغت الإيرادات فى السنة الأولى ٤٤٢١ جنيهاً، والمصروفات ٣٠٣٣ جنيهاً.(٣) وقد ساعد هذا الخط على عمران منطقة الرمل، فأنشأ بها الخديوى عدة قصور له ولذويه للإقامة فى الصيف وإليه يرجع الفضل فى جعلها مصيف القطر المصرى، وفتح شارعاً عظيماً يبدأ من باب رشيد وينتهى إلى حدود الملاحة بزمام المندرة ماراً بالسراى الخديوية بالرمل، طوله من باب شرق إلى السراى ٤٠٠ متر × عرض ١٢ متر، ومن السراى إلى الملاحة ٤٠٠٠ متر × عرض ١٨ متر، ومد طريقً من الملاحة إلى ترعة المحمودية .(٤)

الحياة الثقافية والاجتماعية فى الإسكندرية

من أهم المؤسسات الثقافية التى أنشئت بالإسكندرية " الجمعية الخيرية الإسلامية "، والتي أنشأها عبد الله النديم فى سنة ١٨٧٨ بمؤازرة سعد الله بك حلابو من أغنياء المدينة . وكانت رسالتها تتلخص فى وقف زحف انتشار النفوذ

(١) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ - صـ١٠٧ ، صـ١٠٨.

(٢) محمد صبحى عبد الحكيم : المرجع السابق ، صـ ١٥٥ .

(٣) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ١٠٨ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل – جـ ٢ ، صـ ٢٧ .

الأجنبى وتسلطه على مرافق البلاد وثرواتها عن طريق بث الوعى فى نفوس النشئ بالتعليم والتثقيف، فقامت الجمعية بفتح مدارس الحرة لتعليم البنين والبنات .[1]

ومن الناحية الفكرية فقد صدرت بالإسكندرية عدة جرائد ومجلات كان لها دور كبير فى إيقاظ الوعى القومى . ومن هذه الجرائد جريدة كوكب الشرق التى أصدرها سليم الحموى فى سنة ١٨٧٥ ولكنها لم تعمر طويلاً ، وفى سنة ١٨٧٥ أصدر سليم وبشارة تقلا جريدة الأهرام أسبوعية ثم أصبحت جريدة يومية وبعد فترة انتقلت إلى القاهرة . وفى سنة ١٨٧٨ أصدر سليم حموى جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم جريدة الإسكندرية . ومن الجرائد الوطنية جريدة التجارة التى أصدرها أديب اسحق بمعاونة سليم نقاش فى سنة ١٨٧٨ وإلى جانب هذه الجرائد ظهرت جرائد أخرى أوروبية مثل جريدة البروجريه ايجيبسيان وجريدة الريفورم .[2]

ومن ناحية أخري، فقد أنشئت بالمدينة فى عهد إسماعيل عدة مستشفيات أهمها المستشفى الأميري وبه من الأسرة ٣٥٠ سريراً، والمستشفى الأوروبي ويستوعب ١٥٠ سريراً، والمستشفى اليونانى ويضم ٦٠ سريراً، ومستشفى الدياكونيس ويحتوى على ٨٠ سريراً .[3]

كذلك أنشئت مصلحة البريد بالإسكندرية فى سنة ١٨٦٥، وحديقة النزهة على ترعة المحمودية وجعلها متنزهاً عاماً، وبنى سراى الحقانية التى أنشئت بها المحكمة المختلطة فى سنة ١٨٧٦، وأصلح ميناء الإسكندرية .[4]

وزادت مساحة المدينة حتى أصبحت أربعة أضعاف ما كانت عليه فى عهد سعيد، وزاد عدد سكانها حتى أصبح يزيد على ٢٤٠ ألف نسمة منها ٤٨ ألف

---

(١) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق صـ ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٢) محافظة الإسكندرية : نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) محافظة الإسكندرية : المرجع السابق ، صـ ٣٨٦ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل – جـ ٢ ، صـ ٢٧ .

غربيون بعد أن كانوا سبعة آلاف فقط عند ممات محمد على . وإزداد قدوم الأجانب عموماً إلى هذا الثغر إزدياداً ظاهراً .[1]

وهكذا نجد أن الاهتمام بمدينة الإسكندرية ومشروعاتها كان موازياً للاهتمام بالمشروعات وتطوير مدينة القاهرة . فتم تسوية شوارعها حتى ترعة المحمودية، والاهتمام بكنسها ورشها وتنظيفها أول بأول، وترتيب الخدمة اللازمة لهذه الأشغال وتنظيم الأنفار والعمال اللازمين لذلك .[2]

وفى هذا الصدد يقول الأمر الكريم الصادر من الخديوى إلى محافظ الإسكندرية فى ٢ فبراير ١٨٦٣ :-

" تسوية شوارع الإسكندرية لحد المحمودية والاهتمام بكنسها ورشها وتنظيفها وترتيب الخدمة اللازمة لهذه الأشغال وتنظيم الأنفار اللازم ترتيبها للظبطية علاوة على الموجود حسب الأمر الصادر بتاريخ ٦ شعبان سنة ١٢٧٩ وبنمرة ١١ والحضور إلى الديوان الخديوى باستصحاب الترتيبين المذكورين ".[3] فى ١٢ شعبان سنة ١٢٧٩ – ٢ فبراير ١٨٦٣ (سجل ٥٢٥ معية تركى) .

(١) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ ٣ ، يذكر الرافعى أن عدد السكان كان ٢١٢،٠٠٠ نسمة حسب كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ – صـ ٢٠ .

(٢) حسين كفافى : الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر ، صـ ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية – صـ ١٩٠ .

ثانياً : المـــدن الحديثـــة

١ ـ بــورســـعيد

الموقـــع

كانت المنطقة التي نشأت فيها بورسعيد[١] فى شمال شرق الدلتا وقطاع علي البحر المتوسط قد عرفت قبل عدة قرون باسم مدينة الفرما . فهي تقع بين منطقة زراعية فى الغرب وتواجه فى الشرق الجهات الرعوية . ولهذا الموقع أثر فى حياة هذا الجزء، فإن الإقليم المحصور بين النيل من ناحية وبين البحرين من ناحية ثانية وبين الصحراء الشرقية من ناحية ثالثة، فإن طبيعة الموقع قد سهلت أمر الاتصال بين البحرين وذلك بطريق النيل والبحيرات.[٢] ويذكر أن بورسعيد قبل حفر القناة لم يكن يوجد بها أى نوع من الحياة فيما عدا نقاط محدودة صغيرة حيث يعيش بعض السكان علي صيد الأسماك .[٣]

ونلاحظ أن الموقع الذي بدأت فيه بورسعيد لم يكن سوى شريط ساحلي يتراوح عرضه بين الأربعين والخمسين متراً من بحيرة المنزلة والبحر المتوسط . وكانت مياه البحر تغطيه أحياناً اثناء هبوب العواصف من ناحية، ومن ناحية أخرى مياه بحيرة المنزلة . ويلاحظ أيضاً أن هذا الموقع يبعد عن مدينة بيلوز القديمة، ولذلك يمكن القول أن نشأة بورسعيد لا يمكن اعتبارها امتداداً لهذه المدينة أو بديلاً لها.[٤]

---

(١) بورسعيد : اسم مركب من كلمة بورت الفرنسية ومعناها ميناء وكلمة سعيد والي مصر ومعناها ميناء سعيد : زين العابدين شمس الدين – بورسعيد تاريخها وتطورها ١٨٥٩ – ١٨٨٢ صـ١٤ نقلاً عن الخطط التوقيفية لعلي مبارك ، جـ١٠ ، صـ٢٦ .

(٢) محمود جلال الدين الجمل : بور سعيد ملتقي الشرق بالغرب – صـ٣٦ .

(٣) حلمي أحمد شلبي : فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ – ١٩١٤ صـ٤٨

(٤) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ١٩

وبالنظر إلي فرمان الامتياز الأول الذي منحه سعيد باشا لدلسبس فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤، خلا من تحديد موقع الميناء فى مدخل القناة الشمالي، حيث ترك للشركة انشاء مدخلين كافيين للقناة أحدهما فى الشمال والأخر فى الجنوب . وهكذا لم يظهر اسم بورسعيد بعد .

أما الامتياز الثاني الذي جاء عقب تقرير اللجنة الدولية فى ٥ يناير ١٨٥٦ قد حدد فى البند الثالث طرفي القناة حيث أن حفر القناة، يكون من ميناء السويس إلي البحر المتوسط عند نقطة من خليج الفرما يصير تحديدها فى المشروعات النهائية التي يضعها مهندسو الشركة .(١)

وقد قام دلسبس بتشكيل المجلس الأعلي لأعمال واشغال القناة فى ٢٢ نوفمبر ١٨٥٨ . وذلك لدراسة المشروع بالتفصيل ودراسة خطة سير العمل وطريقة تحقيقه.(٢) وقد تم توقيع عقدين لبداية المرحلة الأولي من الأعمال مع مسيوها ردون فى ١٤ ، ٢٩ فبراير ١٨٥٩ . وكان دلسبس قد زار هذه المنطقة فى أوائل عام ١٨٥٩ ومعه ما لا يزيد على عشرة اشخاص ومعهم المأكل والمشرب فى هذه البقعة النائية والتي لم يكن بها سوي قرية الجميل على بعد ٩ كيلومترات، حيث اقتنع دلسبس أن هذا الموقع أصلح ما يكن لإنشاء مدينة جديدة تشرف على مدخل القناة .(٣)

وهكذا لا يستطيع أحد أن ينكر قيمة وأهمية الموقع الجغرافي لبورسعيد على شاطئ ذلك البحر الذي تطل عليه دول ذات نشاط بحري بوجه خاص تشترك فرنسا فى ساحلها الجنوبي بالمساهمة فى نشاط هذا الحوض البحري، وإن موقع المدينة على هذا البحر له قيمته الخاصة. نظراً لسهولة تغذية وتموين المدينة الناشئة بالمواد اللازمة عن طريق البحر وخاصة وأن البقعة التي نشأت فيها بورسعيد لم تكن تتصل

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ١٩ .

(٢) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ، صـ٥٩ .

(٣) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ٢٠ ، صـ٢١ .

بالبلاد المصرية بمواصلات سهلة . وعلي هذا فمنذ مبدأ إنشاء القناة كان لهذا الموقع قيمته حيث أن المعدات اللازمة للحفر والأعمال المتعلقة بالمدينة يمكن أن ترد عن طريق البحر من فرنسا والخارج .

ميناء بورســــعيد

كان اختيار المكان الذي نشأت عليه مدينة بورسعيد موفقاً للغاية، لأن هذا الجزء الذي بدأ منه حفر القناة يمكن أن يستخدم كميناء مؤقتة .[1]

ولما كان الساحل الذي نشأت عليه بورسعيد والواقع بين البحر والبحيرة ليس مرتفعاً عن سطح البحر، فقد تطلب ذلك القيام بعمليات ردم كثيرة لكي تنشأ أرض المدينة علي ارتفاع مناسب عن مستوى البحر .

وقد قامت الكراكات بنشاط عظيم حول حوض الميناء، فأزاحت من أعماق المياه كميات ضخمة من الرمال أضافتها إلي أراضي بورسعيد . ويلاحظ أن منشآت المدينة قد تركزت إلي جانب الميناء . مما ترتب علي امتداد بور سعيد نحو الجنوب حتي وصل إلي حوض الترسانة فى عام ١٨٦٢، حيث توجد الورش التي تم إنشاؤها فى أوائل ١٨٦٣ .[2]

كان قد تم تحديد موقع ميناء بورسعيد علي البحر المتوسط، والذي ظهرت أهميته من خلال الدور الذي لعبه الميناء منذ نشأته . إذ أن المهمات وأدوات التموين الخاصة بإنشائه وبأشغال القناة كانت ترد إليه عن طريق البحر. وبعد إقامة رصيف أوجيني وتقدم أعمال إنشاء الميناء كان لابد من إقامة حاجزين للأمواج أحدهما فى الغرب والآخر فى الشرق لحمايته من العوامل الطبيعية التي تهدده، ولكي تكون المياه هادئة، ولمواجهة الرمال والرواسب التي يدفعها التيار البحري والرياح لخطورة

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ، صـ ٧٤ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ٢٦

ذلك علي الميناء . ولم يكن من السهل إنشاء تلك الحواجز المائية التي تتطلب الكثير من الأحجار، وهى غير موجودة فى البيئة المحلية . وقد أمكن التغلب علي هذه المشكلة باستيراد الأحجار من الإسكندرية . ولكن عدل عن ذلك واتجهت الشركة بعد ذلك إلى محاولة الاعتماد علي موارد البيئة المحلية . وذلك بعمل كتل مصنوعة من المواد المحلية . وقد قامت صناعة هذه الكتل فى المدينة نفسها ومن هذه الناحية يظهر أثر المجهود البشري فى التغلب علي الظروف الطبيعية والوصول إلى غرضه عن طريق إمكانياته الخاصة .[1]

- الحاجز الغربي : ويعرف باسم رصيف دلسبس وينتهي إلي المياه التي يبلغ عمقها عشرة أمتار وكان مبدؤه من نقطة تقابل رصيف أوجيني (شارع أوجيني) برصيف فرنسوا جوزيف (شارع السلطان حسين).[2]

وبدأ العمل فى بناء الحاجز الغربي فى تمام عام ١٨٥٩ . وكان الاهتمام منذ البداية بإنشاء مرسي مؤقت لاستقبال المواد التي كانت تصل عن طريق البحر إلي بورسعيد . وكان هذا المرسي المؤقت مكوناً الجزء الجنوبي للحاجز الغربي . وفي عام ١٨٦٠ تقرر إنشاء جزيرة علي امتداد الساحل بعرض خمسة أمتار وعمق نصف متر وطول نحو ستين مترا وتمتد فى خط مستقيم نحو البحيرة لحماية السفن ولتفريغ السفن القادمة إلي بورسعيد، وقد بدأ العمل فيها فى مارس ١٨٦٣، وانتهى فى سبتمبر من نفس العام .

وقد استخدمت الحجارة من محاجر المكس بالإسكندرية فى البداية كما سبق أن أشرنا حتى تم إسناد الأمر إلى إخوان "داسو" لتصنيع هذه الأحجار فى سنة ١٨٦٣. وفى سنة ١٨٦٤ بدأ فى تأسيس مصنع الكتل الحجرية المصنوعة، وبدأ غمر هذه الكتل فى الماء فى أغسطس ١٨٦٥، واستمرت حتى ديسمبر ١٨٦٨ حيث انتهى

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق صـ٧٨ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ٢٨ .

العمل من الحاجز الغربى وقد بلغ طوله ۲.٥٠٠ متراً ويرتفع من سطح البحر بمقدار مترين .(١)

- الحاجز الشرقي : بدأ العمل فيه فى عام ١٨٦٦ وانتهي فى يناير ١٨٦٨ ويبلغ طوله ألف وتسعمائة متر وارتفاعه متر واحد عن سطح الماء .(٢) وقد استخدم فى بناء الحاجز الكتل التى تم تصنيعها فى بورسعيد وذلك لعمق ٣ أمتار وعلى بعد ٢٧٠ مترا من بدايته .(٣)

ونلاحظ أن الحاجز الشرقى أقل طولاً من الغربى، وذلك لأن مصدر الرواسب كان من الغرب وكانت المسافة بين الحاجزين ٧٠٠ متر، وتزداد كلما اتجهنا إلى الجنوب، ومن ناحية أخرى فإن الأعمال الخاصة بإنشاء الميناء لا تقتصر على عمليات الحفر ولا على إنشاء الحاجزين فحسب، فهناك منشآت أخرى لابد من إنشائها حتى يتيسر تحقيق الغرض النهائى للثغر فقد أنشئ فى أول الأمر ممر مائى ضيق بين منشآت الثغر وبحيرة المنزلة . وقد حفر هذا الممر المائى على طول الساحل الغربى للبحيرة وقد أصبح هذا الممر مدخلاً للثغر.(٤)

وقد أقامت شركة القناة أحواض الميناء الداخلية لشحن وتفريغ السفن وهى حوض التجارة وحوض الترسانة وحوض شريف وملحق به مبني ضخم . وفى ٥ أكتوبر ١٨٦٦ كانت قناة الميناء الأمامية قد بلغت أعماقها ٨ أمتار، وكذلك عمقت الأحواض فى الميناء . وفي سنة ١٨٧٠ كان بميناء بورسعيد ثلاثة أحواض : فى الشاطئ الغربى حيث خصص حوض التجارة فى الشمال للمراكب المحلية والرسو الصغير . حوض الترسانة فى الجنوب فقد خصص لأجهزة شركة القناة أمام الحوض

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق، صـ ٨٠ ، زين العابدين شمس الدين المرجع السابق أيضا صـ٢٨ ، ٢٩ .

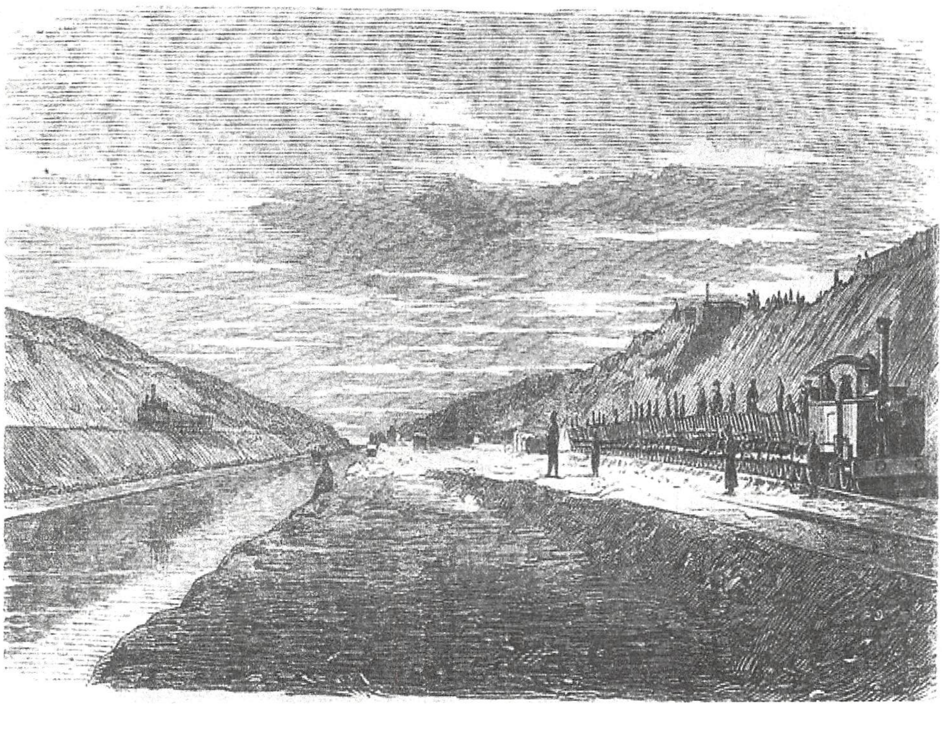
(٢) زين العابدين شمس الدين . المرجع السابق ، صـ٢٩.

(٣) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق صـ٨١ نقلاً عن Voisin، op.cit ، T.٦ ، p.١٨٥

(٤) محمود جلال الدين الجمل : نفس المرجع ، صـ٨١ ، صـ٨٢

الآخر قد خصص لرسو السفن الكبري وهى العزيزية واللوية النمساوية والمساجري امبريال الفرنسية والشركة الروسية للملاحة والتجارة وشركة مارفر فرنسية وأولاده من مارسيليا وكان ذلك فى العام الثاني لافتتاح القناة.[1]

شكل رقم (٤٠)



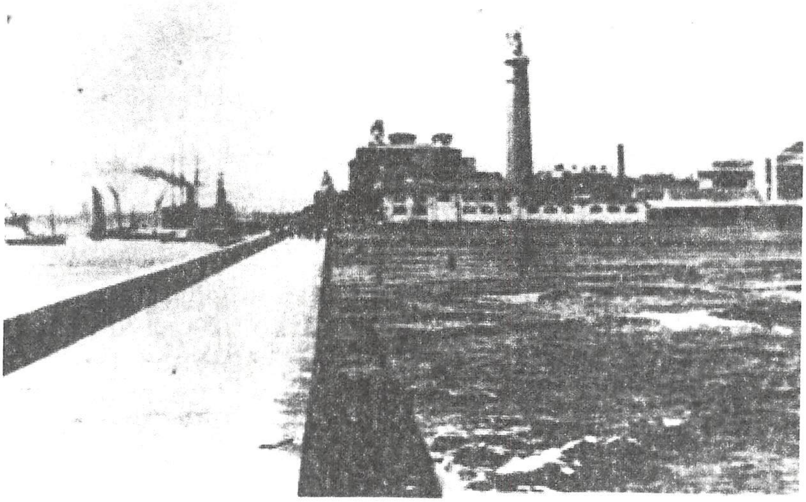
مينا بورسعيد

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ،صـ٢٩ ، نقلا عن : Remond،Paul، op. cit، p٦٩

بنــــاء الفنــــار

كان وجود الفنار أمراً هاماً لحياة الثغر ، فقد تقرر إنشاؤه منذ عام ١٨٥٩. وكان الميناء قد اضيئ بواسطة فنار مؤقت من الخشب على الساحل وكان يضئ لمسافة عشرة أميال .[١] وكان هذا الفنار علي ساحل يبعد قليلاً عن الحاجز الغربى وكان مبنياً من هيكل خشبى مرتفع وكان يضئ بالغرض المطلوب منه فى بادئ الأمر . ولكن اختلف الحال بعد اتمام بناء الحاجز الغربي الذي بلغ ارتفاعه ٢.٥٠٠ متر فلم تعد هذه الإنارة كافية . ولذلك فقد أقيم فنار جديد علي الحاجز الغربي ، وتم إنشاؤه فى مارس ١٨٧٠، وقد بني من الخرسانة وكان ذا لون رمادى ، كما أقيم عند الحاجز الشرقى فانوس صغير لإضاءة مدخل الميناء ليلاً وكان الفنار يضاء بغاز الاستصباح ويضئ لمسافة عشرين ميلاً .[٢]

شــكل رقم (٤١)



فنار بورسعيد

(١) محمود جلال الدين : المرجع السابق ، صـ ٨٣ ، زين العابدين شمس الدين المرجع السابق صـ٢٩

(٢) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها وتطورها ، صـ ٢٩ ، صـ ٣٠ .

شـــوارع بـــورسعيد :

يلاحظ من البداية أن شركة القناة قد اهتمت بالعناية بتنظيم بورسعيد، وأن تقوم المباني والمساكن والمحلات وحتى العشش فى قرية العرب على أساس من التخطيط والتنظيم بحيث لا تخرج أى منها عن خطوط التنظيم التى تم وضعها على خرائط خاصة بذلك، وكانت تتدخل لدى المحافظة بإزالة العشش التى يقيمها الأهالي إذا ما كانت خارجة عن خطوط التنظيم .[1]

وكانت الشركة مسئولة عن شوارع بورسعيد بحيث تقوم بتحصيل ستة قروش عن كل منزل فى المدينة تحته مطعم، وخمسة عن كل دكان، وقرشين ونصف قرش عن كل عشة بقرية العرب فى نظير قيامها بهذا العمل، بالإضافة إلي ما كانت تقوم بتحصيله ممن يرغب فى البناء نظير قيامها بردم أراضي بورسعيد لإعدادها للبناء .

ومنعاً لأي خروج عن حدود التنظيم، فقد قامت الشركة بالاشتراك مع المحافظة بوضع أوتاد بجميع حارات بورسعيد لمراعاتها عند البناء . وقد أعيد تنظيم قرية العرب ببورسعيد فى عام ١٨٦٩ بعد الحريق الهائل الذي وقع بها للشروع فى بنائها وعمارها حسب خطوط التنظيم التى أعدتها الشركة .[2]

وقد اتصفت شوارع بورسعيد بأنها كانت متوازية ومتقاطعة مع بعضها . كما اتصفت بالاتساع عن مثيلاتها بمدن القناة . وشوارع بورسعيد وطرقها الرئيسية تخرج من رصيف أوجيني الذي يحد مدينة بورسعيد من الشمال، وهى شوارع موازية لمحور القناة البحرية، وهى ثلاثة شوارع تحمل أسماء أجنبية فحمل الأول اسم كانبيير " Cannebiere " وأطلق عليه الأهالي اسم ميدان الميناء، والثاني اسم " Scierie " منشر خشب ويرجع تسميته بهذا الاسم إلي وجود مصنع قديم فى

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ٣٠ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، صـ٣١ .

هذا المكان ويخترق هذا الشارع ميدان دلسبس وهو النقطة المركزية للمدينة ويمتد حتى الورش .[١]

أما الاسم الثالث فهو " الأرسنال Arsenal " ومعناها الترسانة . وهو موازى للشارعين السابقين بنفس الطول والعرض، كما وجدت شوارع أخرى رئيسية عديدة أقل أهمية يزيد عرضها عن خمسة عشر مترا وتخترق المدينة بنفس الاتجاه من الشمال إلى الجنوب .

ويعتقد أن إطلاق الأسماء الأجنبية على الشوارع ببورسعيد وكذلك الميادين كان بمبادرة من شركة القناة للقيام بها وحدها دون مشاركة الإدارة المصرية . وكان دلسبس يقيم احتفالات خاصة بهذه المناسبات، وقد سمح له الخديوى بذلك، وأمر محافظ بورسعيد بعدم الاعتراض على ذلك، وأن يعين مندوباً من المحافظة ليثبت اللوحات الخاصة بهذه الأسماء . وجدير بالذكر أن الخديوى إسماعيل رفض إطلاق اسمه على ميدان دلسبس – كرغبة دلسبس نفسه – وأمر باستمرار اسم الميدان على ما كان عليه . وقد شارك الجنود فى هذه الاحتفالات بعزف الموسيقي وإطلاق مدفعية سفينته " سير الجهاد " .[٢]

ويمكن القول أن مدينة بورسعيد كان لها شخصيتها المتفردة ومظهرها الفريد، بفضل تخطيطها المنظم الذى كان على نسق المدن الأوروبية وبخاصة الفرنسية، وظهور المبانى الضخمة ذات الأسقف المائلة والشرفات الأنيقة الساحرة المريحة والشائقة . وقد أضيف إلي جمال بورسعيد وبهجتها وتحضرها إنارتها بالغاز لتحل محل الفوانيس التى كانت تنير شوارع وميادين المدينة .[٣]

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق صـ٣٣

(٢) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق صـ٣٥ ، نقلا عن الأرشيف الأوروبي محافظ قناة السويس .

(٣) زين العابدين شمس الدين ، المرجع السابق ، صـ٣٥

وفى هذا الصدد فقد عقد مسيو " مونورى " مع الحكومة المصرية عقداً يتعهد فيه بإنارة المدينة بالغاز، ورخصت له الحكومة بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر لإقامة هذا المشروع، وتقرر أن يبدأ العمل فى ٢٣ إبريل ١٨٧٥. ولكن المشروع لم يبدأ بالفعل إلا فى ٢٧ أكتوبر ١٨٧٦ حيث تم إنارة المدنية بواسطة ٢٠١ فانوس فى الميادين والشوارع الرئيسية بها، كما تم انارة ديوان المحافظة وبعض الأماكن الهامة التابعة للحكومة مثل الجمرك فيما خلا قرية العرب .

ويلاحظ أن الطريقة التى تمت بها إنارة مدينة بورسعيد تختلف كثيرا عن مثيلاتها فى كل من مدينتى القاهرة والأسكندرية . وذلك لأن المبانى ببورسعيد تختلف عن مثيلاتها بالقاهرة والاسكندرية حيث أن مبانيها خفيفة فأكثر مبانيها من الأخشاب وأقلها من مواد البناء، لذا تعذر تركيب الأعمدة والكوابيل على حوائط هذه المبانى أو على أعمدة حديدية. ولذلك أقامت شركة الغاز أعمدة خشبية فى الشوارع الكبرى بمدينة بورسعيد .[1]

ميـــاه الشـــرب :

عندما بدأت أعمال حفر قناة السويس فى بورسعيد كانت مشكلة الامداد بالمياه العذبة إحدى المشكلات التى واجهة القائمين على المشروع .[2] الأمر الذي تسبب فى موت بعض العمال .[3] ففى البداية اتجهت الشركة إلى جلب الماء لشرب العمال من دمياط فى مراكب عبر بحيرة المنزلة على ظهور الجمال والحمير، كما كان يتم إحضار الماء أيضاً من الأسكندرية عن طريق مركب مجهز لهذا الغرض وكانت تحصل بذلك على نحو ٨٠٠٠ لتر من الماء .[4] وفى سنة ١٨٥٩ مع بدأ العمل استحضرت الشركة

(١) زين العابدين شمس الدين ، نفس المرجع ، صـ١٢٣ .
(٢) زين العابدين شمس الدين ، المرجع السابق ،صـ٣٩ .
(٣) محمود جلال الدين الجمل : بورسعيد ملتقي الشرق بالغرب ، صـ ١١٠
(٤) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، صـ ٣٩

جهازيي تقطير كان فى استطاعتهما ان ينتجا ٥٠٠٠ لتر يومياً من المياه العذبة أحدهما بدأ العمل يونيو والآخر فى يوليو، وهنا يظهر أن فترة الإنشاء الأولى ما بين إبريل حتى يونيو كان الاعتماد فيها قاصراً على الموارد المائية التى يحضرها الأهالي، وهذا المورد من الماء لم يشفع فى بعض الفترات فى سد الحاجة فكان الحل فى جهازى التقطير .(١)

ولكن مع زيادة عدد المشتغلين تزايدت الحاجة إلي الماء العذب، فقد تم إنشاء جهاز تقطير ثالث وصل إلي بورسعيد سنة ١٨٦٠، وبدأ العمل فى السنة التالية . فكان فى استطاعة الأجهزة الثلاثة إنتاج ٩٠٠٠ لتر من الماء يومياً . وفى سنة ١٨٦١ عقدت الشركة عقدا مع مصطفي عنانى بك أحد كبار المصريين المشتغلين بصيد الأسماك فى منطقة بحيرة المنزلة لإرسال كميات من الماء العذب لا تقل عن ستة أمتار مكعبة من الماء يومياً فى براميل قدمتها له الشركة مقابل ستة فرنكات للمتر المكعب . وكان يتم توزيعها على المنازل بواسطة السقايين وفى يونيه ١٨٦١ توصلت الشركة إلي اتفاق مشابه مع أحد ملاك السفن فى بحيرة المنزلة ويسمي محمد الجيار .

وفى سنة ١٨٦٤ وصلت المياه من الاسماعيلية عن طريق امبوبة (ماسورة). وكانت الماسورة الممتدة من الإسماعيلية حتى بورسعيد لا تكفي . فتم انشاء أخرى فى يوليو ١٨٦٦، وكانت فى مبدأ إنشاءها تصل إلى الكاب ثم امتدت بعد ذلك إلى بورسعيد .(٢)

وكان يوجد ماسورة فى كل شارع لبورسعيد يختلف قطرها حسب أهمية الشارع والأغراض المخصصة لها، وتوجد حنفيات عامة موزعة فى الميادين وهى مفتوحة ليلاً ونهاراً .

(١) محمود جلال الدين الجمل : المرجع السابق ، صـ ١٠١ .

(٢) محمود جلال الدين المرجع السابق ، صـ ١٠٣ .

وفى عام ١٨٧٥ كان يوجد ببورسعيد ستة حنفيات نصفها بمدينة بورسعيد، اثنتان بقرية العرب والسادسة ببر الإنجليز بالإضافة إلي سبع حنفيات أخرى أربعة منها بالمدينة واثنتان بالقرية والسابعة ببر الإنجليز .[١]

وفى عام ١٨٦٩ أنشأت شركة القناة شركة لتقسيم المياه ببورسعيد . وكان على الشركة توفير المياه اللازمة إلى المحافظة وفروعها . وفى عام ١٨٧١ تم توصيل الماء العذب إلى ديوان المحافظة مقابل سداد قيمة تكاليف توصيلها إلى مصلحة المياه، بالإضافة إلى دفع ثمن الماء وذلك بواقع نصف الثمن عن كل ما يتم استهلاكه من ماء فى فروع المحافظة المختلفة مثل المستشفي والصحة والجمرك ومكتب التلغراف وحديقة المنشية والسفن الحربية الموجودة ببورسعيد . وكان ديوان المرور يقوم بسداد تكاليف المياه التى يستهلكها مكتب التلغراف ببورسعيد .[٢]

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بورسعيد

تميز الأجانب المقيمون فى بورسعيد بإحتفالهم بجميع المناسبات، وإقامة الاحتفالات والتمتع بأوقات الراحة وسماع الموسيقي والرقص وخاصة فى أعيادهم، وكانت تقام حفلات (بالو) كما كانت الشركة تقيم الاحتفالات عند إنجاز مراحل هامة من مراحل العمل بمشروع القناة، منها الاحتفال بإلقاء آخر حجر فى الحاجز الغربي لميناء بورسعيد .

وعندما ظهر الخديوي اسماعيل بورسعيد استقبله الأجانب أحسن استقبال . فأقاموا الزينات الفخمة، وعند حلول المساء أضأوا المدينة بالمصابيح الساطعة، وأطلقوا الصواريخ النارية، وأقامت شركة القناة حفلاً (بالو) رائعا .[٣]

(١) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ ٤١ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، صـ ٤٣ .

(٣) زين العابدين شمس الدين : المرجع السابق ، صـ٧٢ نقلا عن الوقائع المصرية عدد ٢٨٢ فى ١٩ مارس ١٨٦٩ .

أما المناسبات الدينية فكانوا يحتفلون بها فى كنائسهم ويطلقون النار فى أعيادهم.

أما بالنسبة للمصريين فكانوا يقيموا الحفلات الدينية فى المناسبات الدينية، وكانت تتلي فيها آيات القرآن والأذكار ودلائل الخير . وقد أمر الخديوى إسماعيل بإقامة احتفال للدعاء ببورسعيد فى غرة شهر رجب ١٢٨٥ هـ على نفقة الحكومة.(١)

ولما كان سكان بورسعيد يحسون بشئ من الرتابة والملل لأن هذه المدينة نشأت على بقعة من الصحراء، وقد تغلبوا على ذلك بإنشاء الحدائق، وكان من أكبر الحدائق التى وجدت فى بورسعيد حديقة المنشية وكانت تتوسط مدينة بورسعيد وقد حظيت باهتمام كبير من المحافظة، وقدج تم شراء عدد من أشجار الفواكه والأزهار وغيرها من الأشجار من محافظة الإسماعيلية ومن تفاتيش الشرقية مثل الرمان والبرتقال واليوسفي والتوت والزيتون والعنب والجميز واللبخ والورد البلدى . وفى سنة ١٨٧٣ قامت الشركة بإصلاح فسقيتها وطرقها وإقامة كشك لعزف الموسيقي بها مرتين أسبوعيا، كما جري بها توسيع أخر فى ١٨٧٥ بإضافة مساحة أخري إليها وأضيئت بالفوانيس التى أحضرت إليها من الأسكندرية ووضع بها الدكك الخشبية لراحة روادها .

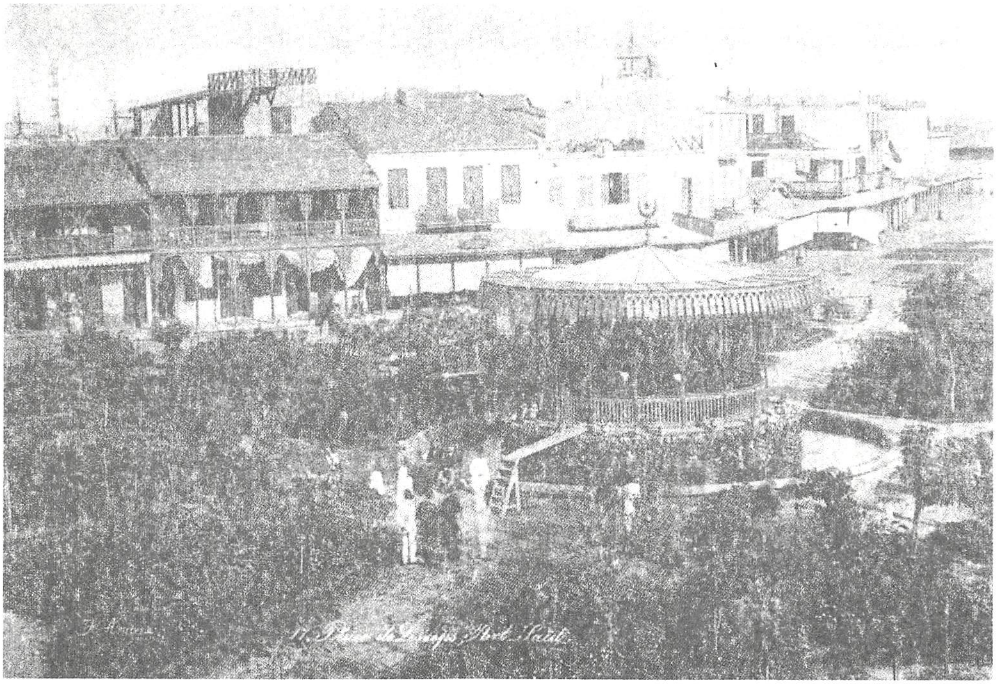
وظهرت الفنادق فى بورسعيد فى وقت مبكر من تاريخ المدينة . ففى أوائل عام ١٨٦٥ كان يوجد بها فندق " مدام بانيو " وكان فندق ضخم يضم العديد من المبانى السكنية، وأقام أحد الفرنسيين فندق أخر أطلق عليه اسم " اللوفر "، كما أقام أحد الهولنديين فندقا آخر بالمدينة . وظهرت عدة فنادق أخرى فيها بعد وكانت هذه الفنادق فخمة ومريحة ونظيفة مما يدل على مدى العناية بها وكان أصحابها يبعثون بالمترجمين والمندوبين عند وصول السفن لجذب النزلاء إليها .

(١) زين العابدين شمس الدين : نفس المرجع ، صـ ٩٣

واختتم حديثى عن بورسعيد بما قاله (بيرتون) أحد الرحالة البريطانيين الذي عبر عن سعادته لوصوله إليها وهى من وجهة نظره " مدينة جميلة صحية، موقعها ممتاز على البحر وتنقسم المدينة إلى قسمين، القسم الأوربي يتسم بالجمال به عديد من الأشجار والورود، وتم بناء كشك موسيقي يعزف أجمال الألحان فى المساء وقد شيدت فيه المحلات والفنادق أشهرها فندق اللوفر، كما يوجد بالمدينة كنيسة يونانية وأخرى فرنسية وتتسم منازل الأوروبيين بالفخامة والأناقة تشبه منازل سويسرا وهى مصنوعة من الأخشاب أما الحي العربي فيختلف كثيرا فمنازله متواضعة يبدو عليها علامات الفقر وشوارعه ضيقه ". (1)

(1) الهام محمد علي زهني : مصر فى كتابات الرحالة البريطانيين فى القرن التاسع عشر ، صـ131

شـكـل رقم (٤٢)



بورسعيد

٢ـ الإســـــماعيليــة

النشـأة والتسـمية

تم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدينة التمساح (الإسماعيلية) فى ٢٧ أبريل ١٨٦٢ فى عهد محمد سعيد باشا . لتكون نقطة من نقاط حفر قناة السويس، ولتصبح مركز لأعمال شركة القناة، ومقر إقامة مهندس الشركة المقيم " سيد فوزان بك " . فقام المهندس الفرنسى " جومار " بوضع تخطيط المدينة الذى يخدم فى المقام الأول مرفق القناة . وعلى ضوء هذا التخطيط تم تقسيم المنطقة إلى قسمين أحدهما خاص بالأجانب يسمى " حى الإفرنج "، والثانى خاص بالمصريين أطلق عليه " حى العرب "، ونظراً للموقع الفريد الذى تتميز به الإسماعيلية فقد جاء تصميمها على شكل شريط ممتد على الطرف الشمالى من بحيرة التمساح لتصبح واجهة المدينة على هذا الأساس عكس اتجاه الريح وعلى أن تكون متعامدة مع مسار الشمس، الأمر الذى جعلها مشتى للأجانب .[(١)]

أما بالنسبة للتسمية، فبعد أن تولى إسماعيل باشا حكم مصر، رأت شركة القناة أن تستغل هذه الفرصة وتطلق اسمه على هذه المدينة الجديدة اعتقاداً منها أن هذا العمل سوف يساعد على خلق جو ودى بينها وبين إسماعيل فيسير على سياسة سلفه فى تأييد المشروع . وفى هذا الصدد أقامت الشركة فى ٤ مارس ١٨٦٣ حفلاً كبيراً وألقى دلسبس خطاباً جاء فيه :-

" إن اسم سعيد قد أطلق على مدينة بورسعيد عند مدخل القناة، ألا يجدر بنا أن نطلق اسم الوالى الحالى على مدينة التمساح اعترافاً بفضله " .[(٢)]

---

(١) محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية ، صـ ١٥ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى الديمقراطى بالإسماعيلية : الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية ، صـ ٢٧٨

وحينما قدم إسماعيل من رحلة الأستانة، طلب إليه دلسبس أن يقر إطلاق اسم الإسماعيلية على مدينة التمساح . وقال له " لقد كرست بورسعيد لتخليد اسم الأمير الذى بدأ إنشاء القناة والإسماعيلية سوف تخلد اسم الأمير الذى يتابع ويتم مشروعنا الكبير، ولما كان هذا الطلب موافقاً لرغبة إسماعيل فقد وافق بالفعل على إطلاق اسمه على مدينة التمساح .(١)

وحرصاً من إسماعيل على سيادة المنطقة قام إسماعيل بإنشاء الإدارة المصرية فى منطقة قناة السويس فى مارس ١٨٦٣ (الإسماعيلية وبورسعيد) . حين أصدر أمراً بإنشاء محافظة القناة ومقرها مدينة الإسماعيلية، وقام بتعيين إسماعيل باشا حمدى محافظاً لها .(٢)

لاشك أن إسماعيل تفنن فى جعل الإسماعيلية تضارع المدن الحديثة فى التنسيق والتنظيم إذ أنها كانت ممتلئة بحدائقها العامة وسط المدينة والخضرة منتشرة بها دائماً أبداً، ونافورات المياه تعطيها منظراً وكأنها قطعة من أوروبا نقلت إلى داخل مصر .(٣)

وكان من الطبيعى أن يكون للخديوى إسماعيل مقراً فى الإسماعيلية . ولما كانت مرتفعات تلال الجسر الواقعة إلى الشمال الشرقى من مدينة الإسماعيلية هى أعلى نقطة فى هذه الجهة، فقد أقيمت فوقها مقصورة للخديوى إسماعيل وكانت تشرف على بحيرة التمساح . وقد استبدلت هذه المقصورة بعد ذلك ببناء سراى للخديوى إسماعيل تلك السراى التى استقبل فيها ملوك ورؤساء وأمراء أوروبا فى إحتفالات افتتاح قناة السويس.(٤)

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق ، صـ ٢٧٩ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٢٧٩ .

(٣) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل- رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - صـ٦ .

(٤) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٣٠٣ .

ومضى الناس فى بناء العشش فى حى العرب، ومضت الشركة فى إقامة الفيلات للأجانب وكبار المصريين فى الإسماعيلية . كما وجد شاليه فرديناد دلسبس وآخرون والتى تحيط بها الحدائق المليئة بالأزهار والفواكه، وحوانيتها الصغيرة المليئة بالبضائع الباريسية أعطتها طابع المدن الصغيرة التى تحيط بباريس . يضاف إلى ذلك انتشار اللغة الفرنسية على الشفاه العربية بالإضافة إلى الأجانب الذين يكونون معظم سكانها ويضفون على المدينة طابعاً أوروبياً .(١)

وكما أشرنا كانت الإسماعيلية مركزاً لإدارة قناة السويس . ويرجع ذلك إلى قرب الإسماعيلية من الأقاليم المصرية والقاهرة وربطها بالقاهرة بخط حديدى مما جعل الاتصال بينها وبين الإسماعيلية ومدن الدلتا ميسوراً . وكذلك توافر الماء العذب والغذاء بالإسماعيلية جعل أرضها صالحة لزراعة أنواع عديدة من الخضراوات والفواكه .(٢)

ومن أهم الأحداث البارزة فى تاريخ الإسماعيلية هو إنشاء خط السكة الحديد من الزقازيق إلى الإسماعيلية فى سنة ١٨٦٨ . وكان الهدف من إنشاء هذا الخط هو أنه يساعد على تقليل طول الرحلة من القاهرة إلى الإسماعيلية والتى كانت تقطع من قبل بواسطة النقل النهرى وقبل ذلك بالسير فى الصحراء، وكان يهدف أيضاً إلى خدمة الأهالى، وتسهيل عمليات النقل، واستخدامه أثناء تنفيذ المشاريع العامة فى منطقة الإسماعيلية فى نقل العمال بالمجان .(٣)

هكذا ترتب على إنشاء هذا الخط زيادة العمران فى منطقة الإسماعيلية . وخدمة الزراعة والتجارة فى الأجزاء التى كان يمر بها الخط . وأدرك الأهالى أهمية هذا الخط فى تسهيل نقل مزروعاتهم وتجارتهم وخلق نشاطات مختلفة بما خلقه من فرص عمل جديدة .

---

(١) صالح رمضان محمود : المرجع السابق ، صـ ٦ .

(٢) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ، صـ ٤٩ .

(٣) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٣١٠ .

كذلك اهتمت الحكومة فى عهد إسماعيل باشا بأرصفة المحطات فى هذا الخط وغيره من أجل سهولة استخدام الركاب ونقل البضائع . وكان الاهتمام بنظافة محطات هذا الخط وصيانته وإجراء الترميمات فيه واضحاً حتى تبدو صورتها أمام الزائرين كمثيلاتها فى الدول الأوروبية، كما تم الاهتمام بإنارة تلك المحطات .[1] واهتم أيضاً بإنشاء المظلات والسقائف التى تحمى الركاب والبضائع من التأثيرات الجوية كحرارة الصيف أو أمطار الشتاء .

كانت محطة السكة الحديد فى عصر إسماعيل من أظرف المبانى فى مدينة الإسماعيلية . فقد كان من حول المبنى من جهاته الأربعة مظلة ذات أعمدة حديدية مثبتة فى قواعد من المبانى . ولم يكن حول شريط السكة الحديد أى سور أو خلافه، وعلى هذا الأساس كانت بائعات البرتقال وراكبى الحمير يشغلون الشريط غير عابئين بزمارات القطار وهى ترسل صوتها القوى فى أرجاء المحطة بل فى المدينة حتى يصبح القطار على بعد أمتار فيفرون .[2]

وبانتهاء عام ١٨٦٩ كان بمدينة الإسماعيلية خمسة أو ستة مقاهى ومدرسة وكنيسة ومسجد ومكتب للتلغراف . وبعد انتهاء أعمال الحفر فى القناة وبمقتضى اتفاق أبريل ١٨٦٩ آلت إدارة مكاتب البريد والتلغراف التابعة للشركة إلى الحكومة المصرية .

أضحت الإسماعيلية بعد افتتاح قناة السويس مدينة حدائق هائلة تغص بالفيلات الضخمة ينمو بجوارها شجر الكافور الضارب إلى السماء وشجر الجميز الضخم وشجر المانوليا زكى الرائحة وشجرة الميموذة الأنيقة وشجر النخيل البديع الذى يصل إرتفاعه إلى عشرين متراً والأشجار المجلوبة من جزيرة مدغشقر التى ينعكس

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق ، صـ ٣١١ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٣١٢ .

ظلها على بحيرة التمساح وأشجار الفواكه الأوروبية وأشجار المانجو والجوافة وشجيرات البن الأفريقية .[1]

ومن الملاحظ ان محطة السكة الحديد بالإسماعيلية جعلت المدينة أشبه بالمستطيل. عرف القسم الغربى منه بالحى الغربى مشتملاً داخله على ما عرف بالمربعات وهى مربعات سكنيه متساوية وأحياناً مستطيلات متوازية قائمة الزوايا .

أما القسم الشرقى – الأفرنجى – فقد تميز بمبانيه الفاخرة من الفيلات والشوارع العريقة الظليلة التى أعطت طابع مدن الحدائق Gron City التى شاعت فى فرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وعند الخروج من محطة سكة حديد الإسماعيلية فى ذلك الوقت، كان أمام المحطة شارع متسع منظم سمى شارع الإمبراطورة وعند نهايته ميدان الكونت دى سيريون الذى عرف فيما بعد باسم ميدان الخلافة ومنه إلى الهويس المقام على ترعة الإسماعيلية، وبعد اجتياز الهويس نجد امتداد شارع الإمبراطورة المسمى شارع جيشار ويتقابل شارع الإمبراطورة مع شارع محمد على، وتقوم حدائق مدينة الإسماعيلية المشهورة على جانبى الشارع وتبلغ مساحتها ٤ أفدنة .[2]

ومما يجدر الإشارة إليه أنه بعد افتتاح قناة السويس صارت بحيرة التمساح ميناءاً لمدينة الإسماعيلية، وأقيمت بها على هذا الأساس الأحواض الواسعة وأرصفة وورش وأوناش قوية وكل ما يلزم لاحتياجات الملاحة .

وعندما كان مراد بك حاكماً للإسماعيلية، وكان الخديوى إسماعيل قد بدأ تنظيم القضاء فى مصر فأمر بإنشاء محاكم ابتدائية منها واحدة فى الإسماعيلية . ونظراً لتعدد الأجانب فى الإسماعيلية أمر الخديوى بتكوين قوه بوليسية لحفظ الأمن والنظام فى

(١) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٣٣١ .
(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : نفس المرجع ، صـ ٣٣٢ .

الإسماعيلية، كما أوجد مجموعة من عساكر الجهادية لحراسة السجون والمرافق الحكومية .[1]

أما عن الناحية التعليمية فى مدينة الإسماعيلية، ففى سنة ١٨٧٨ تقدم أهالى الإسماعيلية بطلبات يرغبون فيها بفتح مدارس لأبنائهم . فقد كان التعليم الوطنى فى الإسماعيلية كما كان فى كثير من أنحاء القطر المصرى يقتصر على الكتاتيب وانحصر فى حى العرب . أما الجاليات الأجنبية فقد كانت لها مدارسها الخاصة بها.[2]

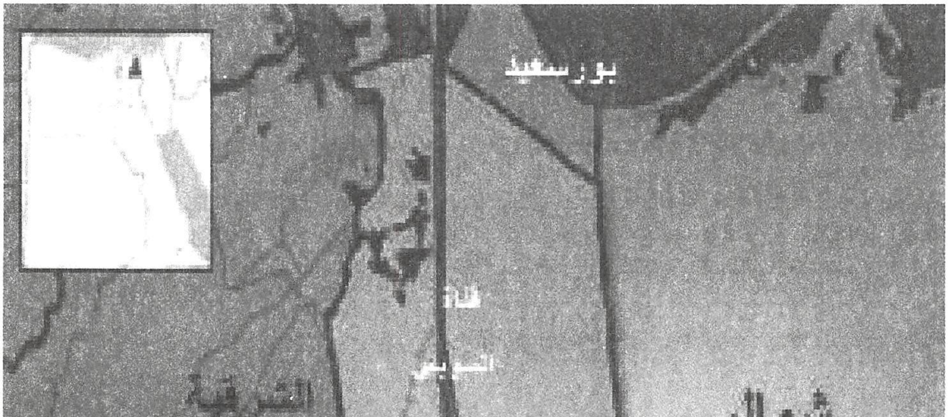
وأختتم كلامى عن الإسماعيلية بوصف أحد الرحالة البريطانيين وهو " بيرتون " حيث يقول " أنها من أجمل الموانى، بها مبنى مخصص للخديوى تم بنائه لاستقبال ضيوفه عند افتتاح القناة . كما تتسم منازل المدينة بالفخامة والأناقة، فتبدو كالقصور، ونظراً لأهمية المدينة فقد تم ربطها بخط حديدى يصلها بالسويس. " هذا وقد أرجع " بيرتون " الفضل فى العناية بنظافة المدينة لفرديناند دلسبس الذى أراد أن يجعل منها إسكندرية ثانية .[3]

(١) محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية ، صـ ٢٠ .

(٢) لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى : المرجع السابق ، صـ ٣٤٧ .

(٣) إلهام محمد على ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة البريطانيين فى القرن التاسع عشر ، صـ ١٣١ .

شكل رقم (٤٣)



الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية

الفصل الثاني

مشروعات النقل والمواصلات

- أولاً : السكك الحديدية
- ثانيًا : البرق (التلغراف)
- ثالثًا : البريد
- رابعًا : المواصلات النهرية
- خامسًا : قناة السويس

أولاً : السكك الحديدية

يعتبر عصر إسماعيل من أزهى العهود فى تاريخ السكك الحديدية المصرية، والتي كونت حلقة اتصال بين المدن الرئيسية فى الوجهين البحرى والقبلى حتى انتعشت التجارة وحركة العمران وازدادت الحركة الاقتصادية رخاءً.(١) لقد كانت بداية عهده هي البداية الفعلية للتطور الذي تتمتع به مصر الآن في وسائل النقل المواصلاتأ حتى يمكن القول بأن ما أنشأه من سكك حديدية كانت الأساس التى بنيت عليها الخطوط في العهود التالية خاصة فى عهد الاحتلال البريطانى التي كانت غالبيتها تفرعات من خطوط إسماعيل .(٢)

فعمل إسماعيل على ترتيب مواعيد سفر القطارات ووصولها، وأنشأ مجلس للإشراف على شؤون السكك الحديدية فى مصر، وكان أول رئيس لهذا المجلس هو " عبد الرحمن رشدى بك ".(٣) ويتضح ذلك من الأمر الصادر فى ٩ رجب ١٢٨١ هـ لنوبار باشا ناظر الأشغال العمومية " حيث أن مصلحة السكك الحديدية من أعظم أسباب وبواعث تمدن وعمران البلاد وتقدمها، فبناء عليه قد اقتضت إرادتى ضم هذه المصلحة إلى مأموريتكم وجعلها من فروع الديوان المذكور ".(٤)

ومما يدل أيضاً على اهتمام إسماعيل بالسكك الحديدية ما جاء فى رسالة إسماعيل إلى وفد من شركة الشرق (بينانسيو لاراند أورينتال كومباني) :

---

(١) محمد أمين حسونه : مصر والطرق الحديدية ، صـ ١٥٥ .

(٢) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ ، صـ ٤.

(٣) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل - رسالة ماجيستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ ١٧ .

(٤) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل - المجلد الثانى ، صـ ٥٨١ .

" إن وسائل النقل فرع من فروع الإدارة ما فتئت أوجه إليه عناية فائقة، وسينتهى عما قريب إنشاء خطوط جديدة للسكك الحديدية مما يقصر المسافات تقصيراً آخر، ونأمل أن البلاد ستجنى من فوائدها ما يعوض عن التضحيات التى تحملتها وهى تضحيات تعلمها الشركة كل العلم ".[1]

فلما ارتقى إسماعيل العرش لم يكن فى القطر المصرى سوى الخط الحديدي الواصل بين الإسكندرية و مصر بطول ١٣٠ ميلاً والخط الواصل بين بنها والزقازيق وطوله ٢٤ ميلاً، والخط الواصل ما بين مصر والسويس عن طريق بلبيس وطوله ٩٠ ميلاً (أى ما كان مجموعه ٢٢٤ ميلاً) فزاد هو على أكثر من ألف ومائة ميل.[2]

أهم الخطوط التى أنجزت فى عهد إسماعيل

(١) خط السويس : بعد أن شقت قناة السويس، قصر الطريق البرى عن أداء الغرض الذى أنشأ من أجله وهو أن يكون طريق للاتصال بين انجلترا والهند . فرأى في سنة ١٨٨٦ أن يمتد خط الزقازيق بطول ٧٦ كم مخترقاً وادى الطميلات . وأنشأت وصلة طولها ٨٨ كم على بعد ٤كم من الإسماعيلية إلى نفيشة، ثم اتجهت إلى الجنوب نحو السويس على شاطئ الترعة الإسماعيلية. فبلغ طول الخط من القاهرة إلى السويس عن طريق الزقازيق ٢٤٧ كم بدلاً من ١٤٤ كم وهو الخط القديم (خط الصحراء) الذي تم إزالته نهائياً سنة ١٨٧٩ . وكان عدد المحطات فى بداية إنشاء الخط ١٢ محطة ومدة السفر المقررة عشر ساعات .[3] وكان من أهم النتائج التى ترتبت على إنشاء هذا الخط هو عمران جزء من مديرية الشرقية.[4]

(١) جورج حندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية، صـ ١٩١

(٢) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر في عصر الخديوى إسماعيل باشا – ١٨٦٣ – ١٨٧٩ – المجلد الأول ، صـ ٣٥ .

(٣)- محمد أمين حسونة : المرجع السابق ، صـ ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٤) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ ٤٨ .

(٢) خط قليوب القناطر : أنشئ هذا الخط فى سنة ١٨٦٥ وطوله ١٢ كم يبدأ من قليوب إلى القناطر ويمر بقلعة السعيدية .

(٣) خط قليوب الزقازيق (عن طريق بلبيس) : أنشئ هذا الخط في سنة ١٨٦٥ وطوله ٦٢كم ، ويبدأ من قليوب إلى شبين القناطر فبلبيس فالزقازيق ، ثم من الزقازيق إلى المنصورة بطول ٦٩ كم عن طريق السنبلاوين . الأمر الذي أدى في شرق الدلتا إلى قيام شبكة كبيرة من خطوط السكك الحديدية خدمت إلى حد كبير التجارة والزراعة فى هذه المنطقة.[١]

(٤) الخط الفرعى بين القاهرة وطنطا : أنشئ هذا الخط على دفعات فى المدة الواقعة بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٩١١ . بدأها الخديوى إسماعيل بالخط بين طنطا إلى شبين الكوم وطوله ٢٨ كم وتم مد ١٣كم حتى منوف .[٢] وفى سنة ١٨٩٣ مد الخط حتى أشمون، وأخيراً فى سنة ١٩١١ وصل من أشمون للقناطر بطول ٢١كم . وتبلغ المسافة من القاهرة إلى طنطا على هذا الخط ١٠٧ كم على حين أنها لا تتجاوز ٨٧كم على الخط الرئيسى .

(٥) خط دمياط : وهو عبارة عن امتداد للخط السابق، وقد بدأه سعيد باشا من طنطا إلى سمنود بطول ٣٥ كم . وفى سنة ١٨٦٣ مده إسماعيل باشا إلى طلخا بطول ١٧ كم باتجاه المنصورة . هكذا اتصل الخطان ولم يفصلهما إلا النيل فشيد كوبري فى عام ١٨٩٥ ومرت عليه السكك الحديدية، وكان قد أنشئ قبل ذلك خط طوله ٤٠ كم من شربين إلى دمياط على بعد ١١٨ كم، وافتتح للاستغلال فى سنة ١٨٦٩.

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ٤٨ .

(٢) محمد أمين حسونة : المرجع السابق ، صـ ١٦١ .

(٦) خط دسوق – زفتى : افتتح فى سنة ١٨٦٧ وطوله ٨٣ كم . وهو يصل فرع رشيد بفرع دمياط ويجتاز مناطق زراعية خصبة ويلتقى بخط دمياط عند محلة روح.

(٧) ضواحى القاهرة : كالخط من ميدان الإسماعيلية إلى قصر النيل فالقبة فالعباسية، وبعض الخطوط المؤقتة والنهائية التى أنشأت لاستغلال المحاجر . وفى سنة ١٨٧٢ أنشئ خط من القلعة إلى حلوان .

(٨) ضواحى الإسكندرية : أنشئت خطوط بضواحى الإسكندرية أسوة بالقاهرة ورغبة فى استغلال موارد المدينة . ومن هذه الخطوط : خط سيدى جابر رشيد بطول ٧١ وقد بدأ مده فى مارس ١٨٧٥، ووصلة أبوقير بطول ٣ كم وقد أنشئت فى سنة ١٨٧٦ .

(٩) خط الخطاطبة : فى سنة ١٨٧٢ مد الخط من بولاق الدكرور إلى بشتيل ومنها إلى إيتاى البارود . وفى سنة ١٨٦٩ أنشئت مواصلة إلى محاجر الخطاطبة، وأخيراً فى سنة ١٨٩٨ مد الخط من إمبابة إلى بشتيل بطول ١٢٠ كم.[١]

وبالنسبة للوجه القبلى : حيث الأراضي الآهلة بالسكان جنوب القاهرة عبارة عن وادى ضيق تقع معظم أراضيه على الضفة الغربية من النيل، تم إنشاء خط واحد يمتد من بولاق الدكرور ليصل المنيا فى ١٨٦٧ ، وعام ١٨٧٠ إلى ملوى، وعام ١٨٧٤ إلى أسيوط حيث استوقف الخط نتيجة للأزمة المالية ثم استأنف العمل عام ١٨٩٣ فى عهد الاحتلال البريطانى . وقد تفرع من خط الوجه القبلى فى عهد إسماعيل خط الواسطي – الفيوم والذى أمتد إلى أبو كساه[٢] عام ١٨٦٩ .

(١) محمد أمين حسونة : المرجع السابق، صـ ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) فاطمة علم الدين : المرجع السابق صـ ٤٩ .

جـــدول (٢)

الخطوط الحديدية التي مدت في عصر إسماعيل

السـنة	مـــن	إلـــي	طول الخط بالكيلومتر
١٨٦٣	سمنود	طلخا	١٧
١٨٦٤	دمنهور	القبارى	١٤
١٨٦٥	بنها	طنطا	٤١
١٨٦٥	كفر الزيات	دمنهور	٤٣
١٨٦٥	القاهرة	سراي القبة	٧
١٨٦٥	القاهرة	المحطة	١٣
١٨٦٥	قليوب	القناطر الخيرية	١٠
١٨٦٥	محلة روح	دسوق	٥٢
١٨٦٥	قليوب	الزقازيق	٦٣
١٨٦٥	محلة روح	زفتي	٣٢
١٨٦٦	قليوب	بنها	٣١
١٨٦٦	شبين الكوم	طنطا	٢٨
١٨٦٧	بولاق الدكرور	المنيا	٢٣٨
١٨٦٨	الزقازيق	الإسماعيلية	٧٨
١٨٦٨	نفيشة	السويس	٩١
١٨٦٨	الواسطي	الفيوم	٣٨
١٨٦٩	الفيوم	أبو كساه	٢٤
١٨٦٩	طلخا	دمياط	٦٦
١٨٦٩	أبو كبير	الصالحية	٣٤
١٨٧٠	المنيا	ملوى	٤٨
١٨٧٠	الزقازيق	بنها	٣٩
١٨٧٠	المكس	محاجر الدخيلة	١٦
١٨٧٢	بشتيل	ايتاى البارود	١١٦
١٨٧٢	بولاق الدكرور	بشتيل	٤
١٨٧٢	باب اللوق	حمامات حلوان	٢٥
١٨٧٤	ملوى	أسيوط	٨٢
١٨٧٥	قلين	كفر الشيخ	١٧
١٨٧٦	سيدى جابر	رشيد	٦٦
١٨٧٦	المعمورة	أبو قير	٣

المصدر : " محمد فهمي لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة – صـ٢١٥ ، صـ٢١٦ .

ومن خلال ما سبق يوضح لنا الجدول أن الموانئ البحرية : الإسكندرية، دمياط، رشيد، البرلس، على ساحل البحر المتوسط قد وصلتها الخطوط الحديدية التى تربطها بمنطقة الدلتا والقاهرة، وذات الطريق يتصل بصعيد مصر ونفس الشئ بالنسبة للسويس . وإن كان اتصاله المباشر يجيء بالإسماعيلية ثم الزقازيق ثم القاهرة حيث تجتمع محطات السكك الحديدية التى تصله بالدلتا والصعيد . وبوجود السكك الحديدية أصبح التغلب على مشكلة انحصار المياه التى تعوق الملاحة مطلباً متاحاً ومن خلالها توفر عامل السرعة فى نقل الركاب أو البضاعة سريعة التلف والبريد، وأصبحت تشكل مع الملاحة النيلية عنصرى التكامل.[1]

ومن نتائج التوسع فى إنشاء السكك الحديدية فى عهد إسماعيل أن ارتبطت المدن الرئيسية فى الوجه البحرى بشبكة من السكك الحديدية واتسعت صناعة السكر فى الوجه القبلى بسبب الخط الحديدى من بولاق الدكرور إلى أسيوط . ولا شك أن التوسع فى السكك الحديدية فى عهد إسماعيل كان سبباً من أسباب النهضة الاقتصادية والاجتماعية، كما ساعد علي إتساع زراعة القطن بإيجاد وسيلة سريعة لنقل محصول القطن إلى السوق فى الأسكندرية حيث يصدر للخارج .[2]

ويذكر إلياس الأيوبي " إن ما صرف علي إنشاء هذه الخطوط قد تجاوز ١٣ مليوناً من الجنيهات ".[3]

ثانياً : البرق (التلغراف)

فى الواقع أنه يمكن اعتبار عام ١٨٥٦ بداية لتعميم إنشاء الخطوط السلكية للاتصالات التلغرافية فى جميع أنحاء القطر المصرى والسودان بما منحته الحكومة المصرية من امتيازات لشركات أجنبية بغرض إنشاء وإدارة بعضها . ففى ٢٧ فبراير

(١) خلف عبد العظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ، ١٨٥٤ - ١٨٧٩ ، صـ١٢٥ .

(٢) احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادي فى القرن التاسع عشر ، صـ ٢٣٤ .

(٣) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ٩٦ .

سنة ١٨٥٦ ، و ٧ فبراير ١٨٦٢ ، و ٨ مارس ١٨٧٠، قامت الحكومة المصرية بالترخيص لشركة (British India submarine telegraph) وشركة (Anglo Mediterranean Telegraph) لإقامة خطوط تلغرافية داخل القطر المصرى . ثم نقل امتياز هاتين الشركتين إلى شركة التلغرافات الشرقية (Eastern telegraph).[١]

ولما استلم إسماعيل زمام الحكم بيده أقبل على هذا الفرع أيضاً من طرق المواصلات العمومية حتى بلغ طولها فى مدة وجيزة ٥٥٠٠ ميلاً فيها من الأسلاك ١٠٥٠٠ ميل، وبلغ نفقات ما تم إنشاؤه من هذه الخطوط مليوناً من الجنيهات.[٢]

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ ١٠١ .

جـــدول (٣)

الخطوط البرقية التي أنشئت في عهد إسماعيل

مــن	إلــي	عدد الأسلاك	طول الخط بالكيلومتر
القاهرة	قليوب والقناطر الخيرية	٢	٢٨
القاهرة	غزه (فلسطين)	٢	٤٥٥
القاهرة	بنها والسويس	١	٢٤٢
القاهرة	قليوب والمنصورة	٢	١٥٤
بنها	ميت بره	٢	١٤
بنها	الزقازيق والسويس	٢	١٩٧
طنطا	طلخا ودمياط	٢	١١٥
طنطا	زفتي	٢	٥٣
طنطا	دسوق	٢	٧٤
طنطا	شبين الكوم	٢	٣٠
الإسماعيلية	بور سعيد	١	٧٤
القنطرة	بورسعيد	١	٤١
القاهرة	المنيا	٢	٢٧٦
المنيا	أسيوط	٢	١٤٤
أسيوط	قنا	٢	٢٢٥
قنا	أسوان	٢	٢٧٥
قنا	القصير	٢	١٨٨
أسوان	وادي حلفا	٢	٣٣٧

المصدر : محمد فهمي لهيطة " تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة – صـ٢١٦ ، صـ٢١٧ .

من الجدول يتضح لنا امتداد المواصلات التلغرافية إلى كل المدن المصرية الهامة وكذلك أغلب القرى الهامة والمراكز التجارية الرئيسية والمحطات التجارية من أسوان إلى حدود مصر الجنوبية .[1]

وقد قام إسماعيل بإنشاء مكاتب لهذه الأسلاك البرقية على طول مسافات امتدادها، و قسمها إلى أكثر من قسم أ القسم الأول ويشمل كل محطات الوجه البحرى، القسم الثانى كان بين القاهرة وأسيوط ، والقسم الثالث بين أسيوط وإسنا والرابع بين إسنا ووادي حلفا .[2] ويذكر " إلياس الأيوبي " : " أنه كان هناك ٤ أقسام أخرى وهى ما بين دنقلا وبربر، ما بين بربر والخرطوم ، ما بين الخرطوم ومصوع، ما بين مصر وسوريا " .[3]

وحدد أجر التلغراف ذات العشرين كلمة (غير العنوان) بمقدار عشرة قروش، واتفق أن تكون لغة التراسل جنوبي القاهرة بالعربية فقط، أما شمالها فتكون بالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو التليانية أو التركية .[4]

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مصر السفلى كان بها أكبر تجمع من الجنسيات المختلفة . ومن ناحية أخرى كانت خطوطها متصلة اتصالاً مباشراً بالخط الرئيسى (القاهرة - الإسكندرية) في نفس الوقت الذي كانت تمثل فيه الإسكندرية مركز الاتصال التلغرافي بالخارج .

ويذكر " عبد الرحمن الرافعى " أن عدد مكاتب التلغراف فى مصر والسودان بلغ فى سنة ١٨٧٨ (١٥١ مكتب)، منها (٨٦ مكتب بالوجه البحرى) و (٤٤ مكتب بالوجه القبلى) و (٢١ مكتب بالسودان) .[5]

---

(١) أحمد الشربينى : التجارة المصرية ١٨٤٠ - ١٩١٤ - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٨٥ - صـ ٢١٦ .

(٢) أحمد الشربينى : المرجع السابق ، صـ ٢١٦ .

(٣) السيد فهمى : طرق المواصلات : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ ١٥٩ .

(٤) أحمد الشربينى : المرجع السابق ، صـ ٢١٦ .

(٥) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، الجزء الثانى ، صـ ١٩ .

وإلى جانب الخطوط الحكومية كانت هناك الخطوط الخاصة ببعض الشركات، فسمحت الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية بإقامة خطين بين الإسكندرية والسويس لخدمة أغراضها فى البحر الأحمر، أحدهما عن طريق القاهرة وطريق الصحراء القديم وطوله ٢٣٣ ميلاً والآخر عن طريق بنها والزقازيق وطوله ٢٢٩ ميلاً. وكذلك أقامت شركة قناة السويس خطاً على طول القناة بطول ٩٦ ميلاً لخدمة أغراضها، وكذلك الخطوط التلغرافية الخاصة بشركة سكة حديد الدلتا .(١)

ولعل أهم ما تم إنشاؤه فى عهد إسماعيل، الخط التلغرافى البحرى بين الإسكندرية ومالطة فصقلية فأوروبا، والخط التلغرافى الواصل من الإسكندرية إلى السويس فعدن فالهند حيث يتصل بخط الشرق الأقصى واستراليا . وهكذا تحقق الاتصال بين الإسكندرية وأوروبا والشرق الأقصى واستراليا . وقامت بإنشاء هذا الخط الشركة الشرقية .(٢)

وأصبح الاتصال بأوروبا والقارات الأخرى ميسورا إما عن طريق غزة وإما بواسطة الشركة الشرقية كالآتي (٣) :-

- من الإسكندرية إلى الآستانة عن طريق كريت ورودس وأزمير.
- من الإسكندرية إلى اوترنتو عن طريق كريت وزانتى.
- من الإسكندرية إلى ايطاليا عن طريق مالطة وصقلية.
- من الإسكندرية إلى انجلترا عن طريق مالطة وجبل طارق ولشبونة.
- من الإسكندرية إلى فرنسا عن طريق مالطة وبونا ومرسيليا.
- أما الاتصال بين القطب المصرى والشرق الأقصى ونيوزيلاندا فعن طريق البحر الأحمر .

(١) أحمد الشربينى : نفس المرجع ، صـ ٢١٧ .

(٢) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ ١٦٥ .

(٣) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ ١٠٣ ، ١٠٤ .

- وهكذا اتصلت المدن والقرى المصرية الهامة بالخطوط التلغرافية وفوق ذلك اتصلت مصر بالعالم الخارجى بشبكة لا بأس بها من ذات الخطوط وقد ساعد ذلك على تنشيط الحركة التجارية ، فكانت أخبار الأسواق المالية وأسواق القطن فى الخارج (على سبيل المثال بورصة هول وليفربول وباريس) تنتقل إلى مصر فور إعلانها والتى سرعان ما تنتشر فى أنحاء القطر المصرى . ومن الجدير بالذكر أن هذه التلغرافات كانت تزداد فى موسم القطن .[(١)]

ومن ناحية أخرى تم إنشاء مصلحة التلغرافات وجعلت تابعة للسكة الحديد . وفى ٤ أغسطس ١٨٦٦ تم افتتاح قسم تعليمي بالمدارس لهندسة هذا النوع من التعليم سميت " مدرسة التلغرافات " حول إليها التلاميذ المقرر تعليمهم فن التلغراف، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٥ – ١٨ سنة، وجعل لكل منهم راتب شهرى مدة تعليمه، وكثيراً ما طلب ناظر الأشغال من من ناظر الجهادية تحويل عدد من طلاب المدارس الحربية إلى ديوان الأشغال ليلحقوا بمدرسة التلغراف لإعدادهم لمراكز التلغراف المزمع تأسيسها.[(٢)]

وفى ١٦ يناير ١٨٧١، صدرت لائحة منظمة لأعمال التلغرافات مكونة من ١٠٦ بند، مرتبة فى ستة فصول .

ثالثاً : البريد

يعتبر محمد على هو أول من رتب بريداً رسمياً يحمل على أيدي السعاة براً وفى السفن بحراً واستمر الوضع كما هو فى عهد عباس وسعيد فلم يزيدوا عليه شئ .[(٣)] ولولا إقدام الدول الأجنبية وبعض أفراد من الجاليات الغربية على إنشاء مكاتب

(١) أحمد الشربيني : المرجع السابق ، صـ٢١٧

(٢) حامد على دسوقى : النظام الإدارى فى مصر فى عهد إسماعيل – رسالة ماجيستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٧٩ م ؛ صـ٧٩

(٣) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ٢ ، صـ٢٠

بريدية فى الإسكندرية والقاهرة لاستمرت مصر محرومة من التواصل البريدى كما كانت فى عهد المماليك .[1]

ومن أهم اللذين عملوا فى هذا المجال " ميراتى "، وبعد وفاته عهدت الأعمال إلى حفيده المدعو " شيني " وكان لهذه الإدارة امتيازات داخل القطر مثل نقل ما يتعلق بها بالسكك الحديدية بلا مقابل، وكانت أعمالها منظمة ولكن أجرة نقل الخطابات كانت عالية .

ثم جاء بعد ذلك السنيور " موتسي " الايطالى وكان حتى سنة ١٨٦٥ قائماً لحسابه الخاص بأعمال بريدية عامة فى العاصمتين، يساعده جملة مستخدمين بأجور يدفعها إليهم على استلام الخطابات والمراسلات.[2]

فرأى إسماعيل عدم استمرار وسيلة كهذه فى يد إدارة فردية، فاشترى مصلحة البريد من ذلك الإيطالي وجعلها مصلحة حكومية سميت " بالبوستة الخديوية " وعين موتسي مديراً عاماً عليها .[3] وبدأت أولى خطوات تقدم البريد فى مصر .

وتذكر الوثائق الرسمية أنه تم توقيع العقد في ٢٩ أكتوبر ١٨٦٤ بمبلغ (٤٦.٠٠٠)، وسلمت هذه المكاتب في ٢ يناير ١٨٦٥ .[4] فأبقي موتسي مستخدميه القدماء فيها وكان معظمهم من الإيطاليين وخليطاً من السوريين والفرنسيين واليونانيين والنمساويين والروس والمصريين . واجتهد فى إنماء عدد المكاتب وحركة التراسل .

(١) الياس اليوبى : المرجع السابق ، صـ١٠٥

(٢) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ١٢

(٣) أحمد الشربيني : المرجع السابق ، صـ٢١١

(٤) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية : صـ١٩٦ (تم توقيع العقد بين موتسي من جهة ومصرف ديرفيو وشركاه الذى اشترى بمقتضاه لحساب الحكومة المصرية)

وألحقت مصلحة البريد فى أول الأمر بوزارة الأشغال، وفى ديسمبر ١٨٦٥ تبعت وزارة المالية، وفى ٢٨ سبتمبر ١٨٦٧ وضعت تحت إشراف وزير مصر الأول وقتئذ " شريف باشا "، ثم ألحقت فى ١٩ مايو ١٨٧٥ بوزارة الحقانية والتجارة، واتبعت فى سنة ١٨٧٦ وزارة الزراعة والتجارة، وفى ١٠ ديسمبر ١٨٧٨ ألحقت بوزارة المالية.(١)

وفى عام ١٨٧٦ طلب " موتسي " إقالته من مصلحة البريد، فأعفى وعين بدلاً منه المستر " كاليار " الانجليزى (*) الذى استغني عن ¼ موظفى المصلحة تقريباً لزيادتهم عن حاجاتها ، ونظم أقلام المصلحة ، وأقبل ينشئ مكاتب جديدة فى القطر المصرى حتى وصل عددها إلى ٢١٠ مكتب .(٢) وجعل توزيع المراسلات يومياً بين مصر والإسكندرية وجميع الجهات المهمة . ونتيجة لاستمرار التحسن فى إدارة المصلحة صار التوزيع أربع وخمس مرات فى النهار على محطات السكك الحديدية الكبرى . كما أنشئت فى العاصمتين (القاهرة والإسكندرية) صناديق خاصة لمراسلات من أراد الإشتراك فيها من التجار والأعيان .(٣)

ومن التحسينات التى أدخلت على مصلحة البريد فى عهد إسماعيل استعمال طوابع البريد لأول مرة . فأخذت هذه الطوابع تحل محل النقود كما هو الحال فى أوروبا.(٤) وفى عام ١٨٦٦ صدرت أول طوابع للبريد فى مصر حيث صنعت بمدينة جنوة وكانت فئاتها ٥ ، ١٠ ، ٢٠ بارة و ١ ، ٢ ، ٥ قروش وبعد ذلك تم تمصير طوابع البريد وذلك بطبعها فى البلاد . وفى سنة ١٨٦٧ طبعت الطبعة الثانية فى

(١) حسن الحطيم : تقدم البريد – إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ١٦٥ ، صـ١٦٦ .

(*) الذى أصبح فيها بعد كليار باشا ، وعين مديرا عاما للجمارك المصرية

(٢) الياس الايوبي : المرجع السابق صـ١٠٦ ، جـ١

(٣) حامد علي دسوقي : المرجع السابق ، صـ ٢٠

(٤) صالح رمضان : المرجع السابق صـ١٣ .

مطبعة برناسون الحجرية بثغر الإسكندرية، ثم صدرت الطبعة الثالثة فى عام ١٨٧٢ حيث طبعتها المطبعة الأميرية ببولاق .(١)

فبلغ عدد المراسلات فى سنة ١٨٧٨ مليونين ونصف معظمها تجارى، وبلغت قيمة النقود التى تصدرت من عموم المكاتب عشرة ملايين من الجنيهات .(٢)

وبازدياد نشاط مصلحة البريد المصرية ألغيت مكاتب البريد الأوروبي فى مصر على الوجه التالي: (٣)

مكتب بريد مسكوب	ألغي فى أول نوفمبر ١٨٧٥
مكتب بريد إنجلترا	ألغي فى أول إبريل ١٨٧٨
مكتب بريد اليونان	ألغي فى أول يناير ١٨٨٢
مكتب بريد إيطاليا	ألغي فى أول فبراير ١٨٨٤
مكتب بريد النمسا	ألغي فى أول أكتوبر ١٨٨٩
مكتب بريد فرنسا فى القاهرة	ألغي فى أول مارس ١٨٧٥
مكتب بريد فرنسا فى السويس	ألغي فى أول ديسمبر ١٨٨٨

وفى عهد إسماعيل وضعت أول صناديق للبريد بالقاهرة . وكان محددا عليها مواعيد تفريغها، وكانت الرسائل الخارجية يخلص عليها بطوابع مصرية إلى الإسكندرية ثم بطوابع أجنبية من نوع طوابع الجهة المرسل إليها .(٤)

وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ البريد المصري وهى الدخول إلى العالمية . وبدأ ذلك فى سنة ١٨٧٤ بانضمامه إلى اتحاد البوستة العام واشتراكه فى جميع مؤتمرات

(١) حسن الحطيم : المرجع السابق ، صـ١٦٦

(٢) الياس الأيوبي : المرجع السابق ، صـ١٠٦

(٣) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل ، المجلد الثالث من الجزء الثالث ، صـ١٢٨٨ .

(٤) حامد على دسوقى : المرجع السابق ، صـ ٧١ .

البريد التى انعقدت مع تنفيذ قرارات تلك المؤتمرات بدقة . ويمكن تلخيص هذه المؤتمرات وقراراتها فيما يلي: [1]

المؤتمر الدولى الأول للبريد فى عام ١٨٧٤ ببرن :

تقرر فى هذا المؤتمر تأسيس إتحاد البوستة العام . وقد انضمت إليه مصر منذ تأسيسه وتقرر فيه إلغاء الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لأن المتحصل عن المراسلات غير خالصة الأجرة كان حقاً للبلد الصادر منه تلك المراسلات. كما تقرر إلغاء الرسوم العالية التى تفرضها البلاد المختلفة والإتفاق على وضع رسوم متساوية لجميع البلاد المنضمة للإتحاد وذلك عن المراسلات التى ترد غير خالصة الأجرة أو غير مستكملتها .

مؤتمر باريس عام ١٨٧٨ :

فى هذا المؤتمر قبلت الحكومة المصرية أحكام النظام الخاص بتبادل الحوالات الخارجية . وفى الواقع كانت مصلحة البوستة المصرية قد سبق لها عقد اتفاقيات ثنائية مع بعض الدول فيما يتعلق بهذا الموضوع منها اتفاقاً مع البوستة الإيطالية ١٨٧٢، والبوستة البريطانية ١٨٧٤ .

مؤتمر باريس ١٨٨٠ :

تقرر فى هذا المؤتمر تبادل طرود البريد داخل البلاد ومع البلدان الأجنبية .

وفى هذا الصدد تم فتح مكتب مصري للبريد فى اسطنبول فى سنة ١٨٦٥ وفى السودان ١٨٧٧ وفتحت مكاتب مصرية للبريد فى جدة وأزمير سنة ١٨٦٦ ، وفى غاليبولي وبيروت، وكذلك فى قولة وسالونيك وطرابلس الشام ١٨٧٠ . [2]

---

(١) فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ – ١٩١٤ ، صـ١٧٨

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، صـ١٩٧ .

تقدير الدول الأوروبية للبريد المصري :

تذكر لنا الوثائق الرسمية من خلال مراسلات قناصل الدول الأجنبية لحكوماتهم مدي تقدير هذه الدول لمصلحة البريد المصري ويتجلي ذلك من خلال :
(١)

الخطاب الذى أرسله " بردسلي " قنصل الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية الأمريكية جاء فيه " ترغب الحكومة المصرية أن تأخذ على عاتقها خدمة البريد وتأمل أن تحمل الدول الأجنبية على إلغاء مكاتبها البريدية الموزعة فى مصر وأظننا نستطيع إجابة هذا الطلب وخدمة البريد فى مصر – ولو أنها لم تبلغ درجة الكمال – منظمة تنظيماً حسناً، أنها تلائم حاجات الوقت الراهن ومكاتب البريد اليوم موزعة توزيعاً حسناً ومهيأة تهيئة طيبة وقد شيدت فى العام الماضى عمارة كبيرة تستخدم الآن مكتباً مركزياً للبريد "

القاهرة فى ٤ فبراير ١٨٧٥ .

والرسالة الأخرى من " جون تيلي " إلى " الأنورابل روبرت بورك " (مصلحة البريد الإنجليزية) " يقر المدير العام للبريد بأن مصلحة البريد المصرية تدار إدارة حسنة وأنها فوق ذلك مستعدة لإتباع كل وسيلة من شأنها تحسين نظام البريد " .

أما خطاب " السير هنرى اليوت " سفير إنجلترا إلى وزارة خارجيته يذكر فيه " إن إدارة البريد الإنجليزية لم تتلق تقريباً أية شكوى عن التأخر أو عدم انتظام فى توزيع البريد فى القاهرة أو فى المدن الداخلية فى مصر " .

وإلى إسماعيل أيضاً يرجع الفضل فى تخفيض الرسوم التى كانت تتقاضاها عن الرسائل إلى قرش عن كل سبعة جرامات ونصف ، ثم إلى قرش عن كل عشرة جرامات ، ثم إلى قرش عن كل خمسة عشر جراما سنة ١٨٧٨ .

(١) جورج جندى وجاك تاجر : المرجع السابق ، صـ ١٩٩ ، صـ ٢٠٠ .

وكان تخفيض الرسوم تتبعه زيادة فى عدد الرسائل وبالتالي زيادة فى هذا المظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي بل التقدم العمراني الذى تناول البلاد . فقد كان عدد الطوابع فى عام ١٨٦٦ ٣ ملايين ، وصعد إلى ٨.٧٠٠.٠٠٠ فى عام ١٨٦٧ ثم إلى ٢٠ مليون فى عام ١٨٧٢ . وكل هذا ينطق بما لإسماعيل من فضل فى وضع أحدث النظم البريدية فى مصر كأثر من أثاره الخالدة فى شتى النواحي العمرانية للبلاد .(١)

رابعاً: المواصلات النهرية

للنقل النهرى أهمتيه الخاصة فى مصر إذ أن المدن الهامة فيها يقع معظمها أو كلها تقريبا على ضفتي النهر أو فرعيه أو على الترع الملاحية المتفرعة منه ، وكثير منها ملاحى طول السنة وإن يكن انخفاض منسوب مياهها فى فصل الشتاء مما يحول دون شحن المراكب بكامل حمولتها . ومما يساعد على نشاط الملاحة النهرية عاملان هما: (٢)

١- أن اتجاه النهر من الجنوب إلى الشمال مما يساعد الملاحة على القيام بوظيفتها فى هذا الاتجاه نازلة فى النهر .

٢- أن الرياح السائدة فى معظم السنة رياح شمالية تساعد المراكب فى حركتها صاعدة فى النهر ضد التيار .

وعلى الرغم من قيام الحكومة بإصلاحات للملاحة النيلية فى عهد سعيد باشا إلا أنها لم تجن ثمار هذا الاصلاح ولكن قطفها الأجانب . ولما اعتلى إسماعيل باشا عرش مصر كان يتمتع بنظرة ثاقبة، ففي عهده تم التوسع فى الأدوات الملاحية المملوكة للإنجرارية وخاصة السفن التى تستخدم البخار ، وقد قدر البعض أعدادها بنحو ٥٨ سفينة، منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن إصلاحات الملاحة الداخلية التى تمت فى عهد إسماعيل من حيث شق الترع كان يفي بأغراض الملاحة والرى معاً .(٣)

(١) حسن الحطيم : تقدم البريد ، صـ١٦٧ .

(٢) محمد محمود الصياد : النقل فى البلاد العربية صـ٢٥ .

(٣) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ،صـ١١٧

ورغم قيام السكك الحديدية ، والتى أخذت تؤثر بشكل كبير على النقل النهرى نتيجة لتحول جزء كبير من ذلك النقل إلى السكك الحديدية، إلا أنه كانت هناك عدة سفن تجارة وشراعية تعمل فى وسائل النقل والمواصلات النهرية بلغت (٩٥٦٣) سفينة شراعية حمولتها (١١٧٢٨٦) طناً و(٥٣) سفينة تجارية عام ١٨٧٢ . وكان بعض هذه السفن ملكاً للشركة العزيزية التى تحولت فيما بعد إلى مصلحة وابورات البوستة الخديوية . وبالتالى كان لتلك المصلحة العديد من السفن للنقل والمواصلات النهرية تحطمت معظمها أثناء الثورة المهدية التى نشبت عام ١٨٨١ .[١]

ومن الإصلاحات التى تمت فى عهد إسماعيل أيضاً أنه أصلح مجرى النيل جنوب وادي حلفا إذ نسفت الصخور والعقبات التى كانت تعترى سير السفن فأصبح المجرى فى تلك المنطقة صالحاً للملاحة ومرور السفن الشراعية والبواخر. وبذلك سهلت المواصلات بين مصر والسودان . وفضلاً عن ذلك أزيل جزء من السدود على النيل الأعلى وأصلح ترسانة الخرطوم التى أنشئت فى عهد محمد على وكثرت بها البواخر النيلية .[٢] وفى مارس ١٨٧٥ أصدر أوامره لتطهير ترعة المحمودية بالكراكات بعد أن لوحظ توقف ملاحة السفن بها لعدة أيام لضحالة مياهها واستغرقت عملية التطهير نحو الشهر .[٣]

ومن النتائج التى ترتبت على تلك الاصلاحات أن أحيت ترعة الإسماعيلية الملاحة النيلية إلى منطقة القناة حيث يسرت نقل منتجات مصر الوسطي والعليا، والفحم بين بولاق والإسماعيلية.

وأدى ذلك أيضاً إلى إهتمام الحكومة بالملاحة النيلية حيث تم إعداد وتجهيز ورش تصنيعها وصيانتها فى ترسانة بولاق ، كذلك تخصيص مخازن خاصة بها ،

(١) فاطمة علم الدين : المرجع السابق ، صـ١٧

(٢) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادي فى القرن التاسع عشر ، صـ٢٢٩

(٣) خلف عبدالعظيم الميرى : المرجع السابق صـ١١٨

بالإضافة إلى وجود محطات الخدمات الخاصة بسفن الإنجرارية . وكذلك اشترطت الحكومة وجود آلات التطهير وفوانيس لإضاءة الشواطئ .

ومن مزايا النقل النهرى مقارنةً بالسكك الحديدية، أنها لعبت دوراً هاماً فى أوقات الفيضانات المدمرة التى كانت تتعرض لها مصر مثلما حدث سنة ١٨٦٣ ، الذى حطم الجسور بين القاهرة والدلتا وانقطعت السكك الحديدية مع الإسكندرية لعدة أشهر، وكذلك فيضانات عامى ١٨٧٤ ، ١٨٧٨ .

كذلك أيضاً عدم اتصال السكك الحديدية فى بعض المواقع، ولذا كانت تستخدم المعديات البخارية .[1] وعلى الرغم من ذلك واجهت الملاحة النيلية عقبات استطاعت السكك الحديدية التغلب عليها فى مقدمتها السرعة والانتظام وأيضاً انخفاض منسوب المياه.

خامساً: قناة السويس

- **نبذه تاريخية عن المشروع**

أولاً: فى عهد الفراعنة والفتح الإسلامي

كانت ترعة الفراعنة القديمة تخرج من فرع النيل البيلوزى القديم وتسير بمحازاة وادي الطميلات ثم تنثني جنوباً فتخترق البحيرات المرة ثم تصب فى البحر الأحمر.[2] وفى عام ٦١٠ ق . م أعاد الفرعون نخاو الثانى من الأسرة السادسة والعشرين شق هذه القناة فنجح فى إعادة وصل النيل بالبحيرة المرة غير أنه لم يوفق فى وصل البحيرة المرة بالبحر الأحمر .

وفى عام ٥١٠ ق . م ازدهر برزخ السويس فى عهد الفرس باعتباره الطريق الموصل إلى فارس ماراً بوادى الطميلات . فاهتم ملك الفرس بإعادة الملاحة للقناة

(١) خلف عبدالعظيم الميرى : المرجع السابق ، صـ١٢١

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل– جـ١ ، صـ٥٧

فأدخل عليها تحسينات كبيرة ، وأعاد ربط النيل بالبحيرة المرة ولم ينجح فى وصلها بالبحر الأحمر .(١)

وفى عهد الفتح الإسلامي أنشأ عمرو بن العاص الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ . وكان يصل النيل بالبحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ومنها إلى المطرية ومنها إلى العباسية ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة .(٢)

ثانياً: فى عهد الحملة الفرنسية

كان شق برزخ السويس من أهم أهداف الحملة الفرنسية ، لذا فقد كلف الجنرال نابليون بونابرت كبير مهندسيه " لوبير" بدراسة مشروع قناة تصل البحرين المتوسط والأحمر وبعد سنة كاملة اعتقد خطأً أن البحر الأحمر يعلو سطح البحر المتوسط بحوالى ٩ أمتار .

ثالثاً: فى عهد محمد على

جاء المسيو دلسبس إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ على عهد محمد على باشا متولياً منصب مساعد للقنصل الفرنسي . وكان محمد على باشا على صلة صداقة قديمة بوالد دلسبس، واتصل بالأمير محمد سعيد وصارت بينهما صداقة . وأثناء وجوده فى الإسكندرية قرأ بحث المهندس لوبير واهتم بدراسته وبدأ يفكر فى تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية. ثم انتقل من منصبه بالقطر المصري وطوحت به المناصب السياسية إلى مختلف الأقطار على أنه كان لا يتوقف عن التفكير فى أمر هذا المشروع .

- وفى سنة ١٨٤١ اهتم المهندس لينان بتحقيق المشروع، وكان يساوره نفس اعتقاد لوبير فى وجود فارق بين منسوب سطحى البحرين المتوسط والأحمر، وكان فى

(١) جورج حليم كيرلس : قناة السويس أهم قنوات العالم – تقديم مشهور أحمد مشهور صـ٨٢

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ،صـ٥٨

اعتقاده أنه يستطيع معالجة هذا الفارق بتزويدها عند السويس بمنشآت لإحكام تصريف المياه من شأنها إحالة القناة إلى نهر ذى تيار خفيف قد يسهل فى نفس الوقت حفر قاعها . وقد أرسل لينان هذه الدراسة إلى قنصل فرنسا بالأسكندرية واطلع عليها دلسبس واحتفظ بها فى ملف المشروع.[1]

- وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٤٦ اشترك أتباع سان سيمون فى تأسيس جمعية للدراسات الخاصة بقناة السويس فى باريس ، وتكونت من ٣ مجموعات من المهندسين الفرنسيين والأجانب . المجموعة الفرنسية وعلى رأسها " تالابوت "، والمجموعة الإنجليزية يرأسها " ستيفنسون "، والمجموعة الألمانية ويديرها النمساوى " بخريللي " .
- وفى سنة ١٨٤٨ قامت لجنة مختلطة وكان من بينها " روبرت ستيفنسون " بمعاينة البرزخ مع لينان وأقرت أنه لا فرق بين مستوى البحرين الأحمر والمتوسط .[2] أو أن الفارق يكاد يكون طفيف لا يذكر . ولما عرض اقتراح تنفيذ المشروع على محمد على رفض قائلاً " لا أريد فى مصر بسفورا آخر " أى أنه لا يريد أن يفتح للأجانب باب الإغارة على مصر .[3]
- أما عباس فقد أعرض هو الآخر عن مشروع القناة وساير السياسة الإنجليزية ، وبدأ فى إنشاء الخط الحديدى من الإسكندرية إلى القاهرة ، واهتم بالطريق البرى بين القاهرة والسويس وقد حاول دلسبس إقناع عباس بفائدة المشروع فأرسل إليه تقرير عن طريق قنصل هولندا العام بمصر، ولكن عباس رفض المشروع .

ولما تولى سعيد الحكم ، عزم دلسبس على استغلال صداقته لتنفيذ المشروع فحضر إلى الأسكندرية فى نوفمبر ١٨٥٤ لتقديم التهنئة ، وفى اليوم التالى عرض

(١) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، صـ٨٩

(٢) Cameron D.A : Egypt in the 19 th century ، P 236،

(٣) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، صـ٩١

مشروع القناة على سعيد فقبل سعيد المشروع . ولما عاد إلى القاهرة منح دلسبس عقد امتياز تأسيس شركة عامة لحفر قناة السويس واستثمارها ٩٩ سنة ابتداءً من فتح القناة للملاحة، وبعد أن أعطى سعيد الامتياز لدلسبس أمر " لينان بك " و" موجيل بك " بمرافقة دلسبس إلى برزخ السويس لدراسة المشروع وتقديم تقرير عن نتيجة الدراسة واتفقوا جميعاً فى أن القناة تنشأ من بلوزة على البحر المتوسط إلى السويس على البحر الأحمر. (١)

وافق الباب العالى على المشروع ، ثم فتح دلسبس باب الإشتراك فى شراء أسهم شركة القناة مقدراً رأس مال الشركة بمبلغ (٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك) وهو مكون من (٤٠٠.٠٠٠سهم) ، ثمن السهم ٥٠٠ فرنك .(٢) واستخدم المبلغ المجموع لاستقدام لجنة هندسية دولية مشكلة من سبعة من المهندسين لدراسة المشروع وتطلع على التقرير الذى وضعه " لينان وموجل بك " وبعد الدراسة أثبتت اللجنة أن سطح البحرين واحد وأن الأراضى صالحة لاجتياز القناة المالحة .(٣)

- **شروط الأمتياز (٥ يناير ١٨٥٦)** (٤)

١- قيام شركة قناة السويس بإنشاء قناة للملاحة البحرية بين خليج الفرما على البحر المتوسط والسويس على البحر الأحمر، وترعة للمياه العذبة صالحة للملاحة النهرية تصل بين النيل عند القاهرة والقناة البحرية عند بحيرة التمساح، وفرعين للرى والشرب يستمدان مياههما من هذه الترعة قبل مصبها فى بحيرة التمساح ويتجهان إلى السويس والفرما .

---

(١) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن ١٩ ، صـ ٢٤٦ ، صـ٢٤٧

(٢) عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، صـ٢١٢

(٣) الياس اليوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ،مجـ١ ، صـ٣٣٦

(٤) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن ١٩ ، ، صـ ٢٤٧ ، صـ٢٤٨ ، صـ٢٤٩

٢- تنازل الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطلوبة لإنشاء القناة المالحة وترعة المياه العذبة وتوابعها دون أن تدفع الشركة عنها ضريبة، وكذلك جميع الأراضى القابلة للزراعة لتستصلحها الشركة وترويها وتزرعها مع إعفاء هذه الأطيان من الضرائب لمدة عشرة سنوات من تاريخ استثمارها .

٣- للشركة حق انتزاع الأراضى المملوكة للأفراد مما ترى لزومها لإجراء الأعمال والانتفاع بالامتياز فى مقابل أن تدفع الشركة لأصحابها تعويضات عادلة .

٤- على أصحاب الأطيان الواقعة أملاكهم على ضفاف الترع التى تنشئها الشركة إذا أرادوا رى أراضيهم بمياهها أن يحصلوا على ترخيص بذلك من الشركة مقابل تعويض يؤدونه لها .

٥- للشركة طول مدة الامتياز الحق فى استخراج جميع المواد اللازمة لأعمال البناء والمحافظة على المبانى والمنشآت التابعة للمشروع من المناجم والمحاجر المملوكة للحكومة المصرية بدون أن تدفع أى ضريبة أو رسم أو تعويض . وكذلك أعفت الحكومة المصرية الشركة من جميع رسوم الجمارك وعوائد الدخل وغير ذلك مما تستورده الشركة من الخارج من آلات ومواد .

٦- حددت مدة الامتياز بـ ٩٩ سنة من افتتاح القناة البحرية للملاحة وبعد انتهاء هذه المدة تؤول القناة الى الحكومة المصرية .

٧- حق الشركة فى أن تفرض رسوماً وتحصلها على الملاحة وإرشاد السفن وسحبها وجرها بشرط تحصيل تلك الرسوم من جميع السفن بدون أى استثناء أو تفضيل وبشرط ألا تتعدى عشرة فرنكات عن كل طن بحرى من حمولة السفن وعن كل فرد من الركاب .

٨- فى مقابل الأراضي والامتيازات الممنوحة للشركة تحصل الحكومة المصرية على حصة قدرها ١٥ ٪ من صافى الأرباح السنوية .

٩- إقرار الحكومة المصرية بأن القناة البحرية من السويس إلى الفرما ستنفتح دائماً كطريق محايد لجميع السفن التجارية التى تعبر القناة من بحر لآخر وبدون تمييز أو تخصيص أو تفضيل للأشخاص أو الجنسيات .

١٠- يكون أربعة أخماس العمال من المصريين وتعهدت الحكومة ببذل مساعدتها للشركة وتكليف جميع موظفيها وعمالها فى جميع دوائر المصالح أن يمدوا الشركة بمساعداتهم لها .

- ويذكر " عبدالرحمن الرافعى " أن عقد الامتياز الأول كان يخول الحكومة حق تعيين مديري الشركة ولكن هذا لم يظهر فى عقد الامتياز الثانى، واقتصرت المادة (٢٠) من العقد أنه " يرأس الشركة " المسيو فردناند دلسبس " التى تستغرقها الأعمال ومدة أخرى مدتها عشر سنوات تبدأ من تاريخ استغلال الامتياز، وحفظ للحكومة المصرية الحق فى تعيين مندوب عنها لدى الشركة يمثل حقوق الحكومة ومصالحها.(١)

١١- إلغاء جميع النصوص الواردة فى عقد الامتياز الأول بتاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ والتى تتعارض مع نصوص هذا العقد .

- هذا هو ملخص لشروط الامتياز، وهى شروط فيها روح من التساهل والإسراف من جانب سعيد باشا . وليس من العجب أن يحوى عقد الامتياز تلك الشروط الفادحة، فإن دلسبس هو الذى تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من النصوص والأحكام .(٢)

- **مقاومة انجلترا لمشروع قناة السويس :**

اشترط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثمانى . فذهب دلسبس إلى الاستانة يلتمس فرمان التصديق . فلقى مناهضة من السفير البريطاني

(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، صـ٦٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، صـ ٦٦

لدى البلاط العثماني " ستراتفورد " بإيعاذ من " اللورد بالمرستون " وزير خارجية إنجلترا، وأوضح للباب العالى أن كل ما تريده فرنسا من وراء هذا المشروع هو فصل مصر عن الدولة العثمانية بممر مائى يصلح لأن يكون خطاً دفاعياً حربياً، وإنشاء مستعمرة فرنسية فى شرق مصر ثم السيطرة على مصر كلها .[1]

وكانت وجهة نظر انجلترا فى المشروع تتلخص فيما يلي :

١- نظراً لأن تنفيذ المشروع يستلزم نفقات كثيرة فالغرض الواضح منه سياسي .

٢- المشروع يؤخر إتمام مشروع السكك الحديدية من الإسكندرية للسويس .

٣- المشروع وليد سياسة عدائية بالنسبة لمصر من ناحية فرنسا .

- ولكن دلسبس طلب من الإمبراطور نابليون الثالث حماية المشروع الذى أسهمت فيه رؤوس الأموال الفرنسية فتدخل الإمبراطور رسمياً وطلب من سفير فرنسا فى العاصمة التركية أن يطلب من الباب العالي أن يوافق على المشروع .[2] وعلى الرغم من موقف إنجلترا وتركيا من المشروع، فإن شركة القناة تألفت فى ١٥ ديسمبر ١٨٥٨ برأس مال قدره (٨.٠٠٠.٠٠٠) جنيه (٢٠٠ مليون فرنك موزعة على ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠) سهم، ثم قسم السهم إلى نصفين فصار عدد الأسهم (٨٠٠.٠٠٠)، واكتتب سعيد باشا بـ (١٧٧.٦٤٢) سهماً أى ما يقرب من نصف مجموع الأسهم، ودفع جزء من ثمنها وقسط الباقى على سنوات .[3]

وفى ٢٥ إبريل ١٨٥٩ بدأ حفر قناة السويس على الرغم من أن السلطان العثمانى لم يكن قد صدق على عقد الامتياز. فسعت إنجلترا إلى تركيا لوقف العمل حتى أرسلت الحكومة العثمانية إلى سعيد أمراً بوقف الحفر فى القناة، ولكن نابليون

(١) محمد مصطفي صفوت : انجلترا وقناة السويس – ١٨٥٤ – ١٩٥١ – صـ٢١

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥٨ – صـ١٣

(٣) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، جـ١ صـ٧٦

الثالث سعى لدى تركيا لإبطال هذا الأمر. وقد بلغ عدد المشتغلين في القناة في أواخر عهد سعيد ٢٥.٠٠٠ عامل .

وفي ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ وصلت مياه البحر المتوسط في قناة السويس حتى بحيرة التمساح .[١]

ولما اعتلى إسماعيل عرش مصر في سنة ١٨٦٣ كان له اعتراض على بعض النقاط من شروط الامتياز وهي:- [٢]

١ - تعهد الحكومة بتقديم العمال الذين تحتاج إليهم الشركة حتى عشرين ألفاً ومطالبة الحكومة بتعويض في حالة تقصيرها وعجزها عن تقديم هذا العدد .

٢- ملكية الشركة لترعة المياه العذبة .

٣- ملكية الشركة لجميع الأراضي التي ترى أنها في حاجة إليها لحفر القناة وإعفاؤها من الرسوم الأميرية عنها على الدوام .

٤ - اضطرار الحكومة إلى نزع ملكية الأطيان للأفراد إذا احتاجت إليها الشركة .

وفي هذا الشأن أرسل إسماعيل وزيره نوبار إلى فرنسا للمفاوضة في إلغاء تلك الشروط ووافق الخديوي على تحكيم نابليون الثالث للفصل في هذا النزاع وكان بذلك يمثل الخصم والحكم بسبب عطفه على دلسبس الذى يمت بصلة قرابة إلى " أوجيني " زوجة نابليون الثالث.

- **وفي ٦ يوليو سنة ١٨٦٤ أصدر نابليون الثالث حكمه كالآتي** : [٣]

١ - إبطال حق الشركة مطالبة الحكمة بتقديم العمال المصريين وإلزام الحكومة مقابل ذلك بتعويض مالي للشركة ومقداره ١٨.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

---

(١) أحمد أحمد الحتة : المرجع السابق ، صـ٢٥١ .

(٢) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الخديوى إسماعيل رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ٥٧

(٣) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ،صـ٩٦

٢- تنازل الشركة للحكومة عن كل حق فى ترعة المياه العذبة مع احتفاظ الشركة بحق الانتفاع بها وإلزام الحكومة مقابل هذا التنازل بأن تدفع للشركة تعويضاً قدره ١٦.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

٣- جعل الأراضي المملوكة للشركة واللازمة للمشروع ٢٣.٠٠٠ هكتار منها ١٠.٢٦٤ هكتار على جانبى القناة البحرية وملحقاتها ، ٩.٦٠٠ هكتار للترعة العذبة وثلاثة آلاف هكتار لمبانى الشركة .

٤- إعادة الأراضي الأخرى التى اتضح عدم لزومها للمشروع ومساحتها ٦٠.٠٠٠ هكتار مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

٥- إلزام الحكومة المصرية مقابل ذلك جميعاً بدفع تعويض ٨٤.٠٠.٠٠٠ فرنك (٣.٣٦٠.٠٠٠ جنيه)[١]

ويعد هذا الحكم من الأحكام الجائرة فى التاريخ ، وقد وضعه دلسبس قائلاً بأن هذا التحكيم هو السند الأساسي للشركة ووثيقة الكفالة والاطمئنان .[٢]

والخلاصة خرجت مصر من هذا التحكيم بصفقة ورطت إسماعيل فى اتفاق جر على مصر الخسائر الجسيمة . ولو أن إسماعيل تمسك بشروطه ولم يقبل التحكيم لما استطاعت الشركة أن تخطو خطوة واحدة فى العمل ، لأن كل شئ كان معلقاً على الأيدى العاملة المصرية ، ولكن شاء حظ مصر العاثر أن يركن إسماعيل إلى العدالة الأوروبية فوقع على يدها ما رأينا من الظلم والتعسف .[٣]

---

(١)

١.٥٢٠.٠٠٠ جنيه	مقابل إعفاء الحكومة عن تقديم العمال لحفر القناة .
٦٤٠.٠٠ جنيه	مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء الترعة العذبة
١.٢٠٠.٠٠٠ جنيه	مقابل تنازل الشركة عن وعدها فى ملكية الأراضي
٣.٣٦٠.٠٠٠ جنيه	المجموع

(٢) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ٥٩ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ٩٨ .

- وفى ٢٢ فبراير ١٨٦٦ عقد إسماعيل اتفاقاً مع الشركة يتضمن الشروط الواردة فى عقد الامتياز وما طرأ عليها من تعديلات .[1] وفى ١٩ مارس ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان العثمانى بالتصديق على اتفاق ٢٢ فبراير ١٨٦٦ . وعقد إسماعيل والشركة اتفاقاً آخر فى ٢٣ إبريل ١٨٦٩ ألغي فيه الشرط الخاص بإعفاء مستوردات الشركة من الخارج من الرسوم الجمركية وأعطاها مقابل ذلك تعويضاً قدره عشرون مليون فرنك وتنازلت الشركة للحكومة عن المبانى والمستشفيات مقابل عشرة ملايين فرنك [2] وهى كالأتي :-

١ - المستشفيات المبنية فى البرزخ ومعداتها

٢- البيوت والمبانى المملوكة للشركة فى رأس العش والكيلو ٣٤ والقنطرة وبحيرة البلاح والفردان والجسر والشونة رقم ٦ وجبل مريم وطوسون وسرابيوم وجنيفا والشلوفة والكيلو ٤٨ من بر السويس .

٣- محاجر المكس ومفياؤها وجميع أدوات الاستغلال .

٤- مخازن ومحلات بولاق ودمياط .

وهنا أستطيع أن أقول أن هذا الاتفاق قضي على آمال إنجلترا فى القضاء على المشروع .[3]

وفى ١٨ أغسطس ١٨٦٩ انتهت أعمال حفر القناة حيث تلاقت مياه البحرين بعد عشر سنوات من الجهد والعرق بطول ١٤٦ كم ، وأنشئت على شاطئها مدينتي بور سعيد والإسماعيلية .

(١) أحمد أحمد الحتة : المرجع السابق صـ٢٥٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : نفس المرجع صـ٩٩ (نقلاً عن كتاب برزخ السويس للمسيو شارل رو جـ١ ، نص ٥٠١) .

(٣) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، صـ٣٧ .

• انتهاء العمل وافتتاح القناة ١٧ نوفمبر ١٨٦٩

بعد انتهاء العمل وافتتاح القناة، أقام إسماعيل لهذه المناسبة الحفلات الفخمة التى لم يعرف التاريخ مثلها فى الإسراف والتبذير، ويكفيك دليلاً على ذلك الإسراف أن تعرف أن نفقات الحفلات قد بلغت على أصح تقدير ١.٤٠٠.٠٠٠ جنيه .[١]

وكان غرض إسماعيل هو تجميع أكبر عدد من الرموز فى حفل افتتاح قناة السويس ليس فقط الملوك والحكام وإنما أيضاً كل مشاهير العالم المتحضر فى العلوم، الفنون، الآداب ، الصحافة، التجارة، الاقتصاد والسياسة . وقد أصدرت الدعوات باسم شركة قناة السويس، لذا كان من المنطقى أن يكون معظم الزوار من الفرنسيين.[٢]

ومن أجل هذه الحفلات استحضر الخديوى ٥٠٠ طاه وخادم من فرنسا وإيطاليا علاوة على الطهاة والخدم من المصريين والأتراك .[٣]

وقد أصدر إسماعيل أوامره بإعداد وتجهيز ديوان محافظة القنال لأجل إقامة " أوجيني "، وأشرف بنفسه على تأثيث وفرش الديوان، كذلك عمل على استئجار قصور الأغنياء لكي يقيم بها ضيوفه أثناء تلك الاحتفالات . كما أصدر أوامره بوضع مواسير المياه وتركيب الحنفيات على الطريق الممتد من الجيزة إلى الأهرام ، وإنشاء طريق جديد من محطة البدرشين إلى سقارة، وبناء فندقين فى نهاية الطريقين على ألا تزيد نفقاتها على ٣ آلاف جنيه وأن يكون بناء الفندقين على الطراز الإفرنجي.[٤]

---

(١) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ٩٩.

(٢) Dicay, E.,: The story of the khedivate p 74

(٣) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، صـ٩٩ .

(٤) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ٦٠ .

وقد أقيم من أجل هذه المناسبة أيضاً قصراً فخماً على شاطئ بحيرة التمساح و ١٢٠٠ خيمة لإقامتهم . وقد أقيمت فى هذه الحفلة ثلاث منصات – خصصت المنصة الكبرى للملوك والأمراء وكبار المدعوين ، والثانية لرجال الدين الإسلامي، والثالثة لرجال الأكليروس .(١)

وافتتحت القناة رسمياً للملاحة بعبور السفينة " إيجل " حاملة على ظهرها ملوك وعظماء العالم تتبعها ٧٧ سفينة منها ٥٠ سفينة حربية .(٢)

جـــدول (٤)

حركة الملاحة فى قناة السويس منذ افتتاحها حتى سنة ١٨٧٧ :

السنة	عدد السفن	الحمولة بالطن	الإيرادات من مرور السفن والمسافرين	المصروفات
			دولار	دولار
١٨٧٠	٤٨٦	٤٣٥.٩١١	٩٩٥.٧٥٢	محذوفة
١٨٧١	٧٦٥	٧٦١.٤٦٧	١.٧٣٥.٧٩٠	محذوفة
١٨٧٢	١.٠٨٢	١.٤٣٩.١٦٩	٣.١٧٦.٦٦٥	محذوفة
١٨٧٣	١.١٧٣	٢.٠٨٥.٠٧٢	٤.٤١٨.١٨٢	٣.٣٤٦.٦٢٠
١٨٧٤	١.٢٦٤	٢.٤٢٣.٦٧٢	٤.٧٩٧.٨٦١	٣.٦٠٣.٨٤٠
١٨٧٥	١.٤٩٤	٣.٩٤٠.٧٠٨	٥.٥٧٥.٠٥٦	٣.٤٢٥.٠٩٢
١٨٧٦	١.٤٥٧	٣.٠٧٢.١٠٧	٥.٧٨٥.١٧٤	٣.٣٢٨.٢١٩
١٨٧٧	١.٦٦٣	٣.٤١٨.٩٤٩	٦.٣٢٥.٤٤٨	٣.٣٦٩.٣٨٨

المصدر : أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادي فى القرن ١٩

النتائج التى ترتبت على حفر قناة السويس :

- يعتبر مشروع حفر قناة السويس علامة بارزة فى إطار التطوير الملاحى والتى استطاعت أن تضع مصر فى دور الذروة . فبعملية جراحية جغرافية اختزلت قارة برمتها وهى قارة أفريقيا بدلاً من إتباع طريق رأس الرجاء الصالح .(٣)

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، جـ١ ، صـ١٠٠ .

(٢) جورج حليم كيرلس : المرجع السابق ، صـ١٠٠ .

(٣) خلف عبدالعظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ، صـ١٠١ .

- ومن ناحية أخرى فقد سهلت المواصلات بين أوروبا والشرق وقربت المسافة بينهما مما أدى إلى قلة النفقات واتساع حركة التبادل بين الدول . فعاد ذلك على التجارة بالفوائد الكبيرة ، كما أنها خدمت الدول الصناعية فى أوروبا وخاصة إنجلترا إذا ربطت تلك الدول بمستعمراتها وأسواقها التى تصرف فيها مصنوعاتها وتستمد منها المواد الخام اللازمة لمصانعها .[(١)]

- تعمير منطقة القناة حيث أدى حفر القناة إلى إنشاء مدن فى منطقة مثل بورسعيد والإسماعيلية والقنطرة، وساعدت على تقدم السويس، كما أن بعض الأراضي فى تلك المنطقة استغلت في الزراعة مما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعى . وكذلك اشتغل بعض المصريين فى منطقة القناة وزيادة عددهم مع مرور الزمن .

- ساعدت على بروز مينائى بورسعيد والسويس وانزواء ميناء القصير بالنسبة للبحر الأحمر، ثم انتعاش مينائي سواكن ومصوع كحلقة اتصلت بالحركة البحرية الوافدة والمتجهة بينها وبين الموانى المصرية .

- خسارة مصر المالية

تعتبر إحدى النتائج التى ترتبت على افتتاح قناة السويس، حيث حول ذلك حركة نقل المسافرين والبريد والبضائع بين الشرق والغرب من السكك الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة والسويس إلى القناة . وبذلك فقدت مصر الأرباح التى كانت تحصل عليها من تلك العملية لأن رسوم المرور فى القناة ملك للشركة مدة ٩٩ سنة – حسب شروط الامتياز .[(٢)]

---

(١) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، صـ٢٥٧

(٢) أحمد أحمد الحتة : المرجع السابق ، صـ٢٥٨ .

أما ما أنفقته مصر فى إنشاء القناة فكان كالآتى : [1]

٣.٥٠٠.٠٠٠ جنيه	قيمة الاسهم التى اشتراها سعيد باشا .
٣.٠٠٠.٠٠٠ جنيه	قيمة التعويض الذى قدره نابليون الثالث عند الحكم
٤٠٠.٠٠٠ جنيه	ثمن أراضي ومباني الوادى التى أخذتها الحكومة من الشركة
٤٠٠.٠٠٠ جنيه	تعويض عن أعمال ادعت الشركة إجرائها فى ترعة الإسماعيلية
٨٠٠.٠٠٠ جنيه	صرفت للمقاولين الفرنسيين نظير إتمام الترعة
٤٠٠.٠٠٠ جنيه	أنفقتها الحكومة فى إنشاء الترعة الحلوة .
١.٠٠٠.٠٠٠ جنيه	نفقات احتفالات القناة .
٧.٠٠٠.٠٠٠ جنيه	فائدة هذا المال التام استهلاكه .
١٦.٥٠٠.٠٠٠	المجموع (ستة عشر مليوناً وخمسمائة ألف جنيها) .

وفى نهاية حديثنا عن قناة السويس كان لزاماً علينا أن نكون منصفين فى حكمنا على إسماعيل وأن نذكر له:[2]

١- استبقاؤه ستين ألف هكتار من الأراضي من الشركة العامة الفرنسية .

٢- استعادة امتياز ترعة المياه العذبة

٣- احتفاظه بحصة الخمسة عشرة فى المائة من صافى أرباح الشركة .

٤- أما من الناحية الأدبية والمبادئ :-

(أ) أبطل السخرة .

(ب) حفظ لمصر سيادتها على أرضها وأبعد عنها الاستعمار الأجنبي .

(جـ) حافظ على مرافق مصر العامة بحرمانه شركة قناة السويس امتيازاً هو الآن من حق الدولة .

(١) صالح رمضان : المرجع السابق ، صـ٦١ (نقلاً عن أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل المجلد الثالث ، جـ٣ ، صـ١٣٣٦) .

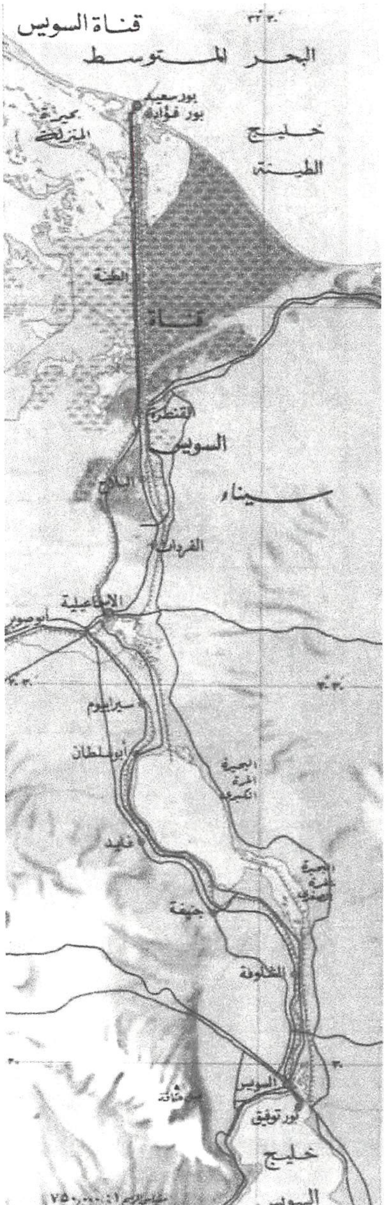
(٢) بيركرابتيس : إسماعيل المفترى عليه ، صـ٦٨ ، صـ٦٩ .

شـــكل رقم (٤٤)



الخديوى اسماعيل و الامبراطورة اوجينى

شـــكل رقم (٤٥)



خريطة قناة السويس

الفصل الثالث

مشــــروعات الــرى

١ ـ مقـــــــــدمـــة

٢ ـ الترعة الإبراهيمية

٣ ـ قناطـــــر التقسيم

٤ ـ الترعة الإسماعيلية

٥ ـ الـــترع الأخـــــرى

٦ ـ إصلاح القناطر الخيرية

مقـــــدمة

كان سعيد باشا قد اهتم بصيانة وسائل الرى ، وتمت فى عهده ترعة المحمودية، وانشئت محطة للطلمبات عند العطف لتغذيتها بالمياه، كما أصلح غيرها من الترع التى امتدت إليها يد الإهمال فى عهد عباس الأول، وأنشئ فى عهده رياح المنوفية . كما أن إسماعيل لم يغفل ما للرى من أثر فى توسيع الرقعة الزراعية وزيادة الإنتاج القومى.[1]

فكان أول ما وجه إليه إسماعيل همته هو العمل على إنماء ثروة مصر الزراعية بتوفير وسائل الرى فكان لهذه الوسائل الفضل فى زيادة إنتاج الأراضي المزروعة وإحياء الأراضي القابلة للزراعة .[2]

ومن الجهود التى بذلها إسماعيل لتحسين نظام الرى فى مصر :

- **الترع** : حفر فى عهد إسماعيل الكثير من الترع، وقد بلغ عدد ما حفر وما أصلح نحو ١١٢ ترعة .[3] أهمها بلا شك الترعة الإبراهيمية والتى بفضلها تحول نظام الرى فى مديريات أسيوط والمنيا وبنى سويف إلى الرى الصيفي وبهذا أمكن زراعة القطن وقصب السكر فى هذه المديريات ورى الأراضي الواقعة على ضفافها فى غير أوقات الفضيان .[4]

والترعة الإسماعيلية والتى تروى أطيان مديرتي القليوبية والشرقية وجهات قناة السويس . ومن أهم أعمال الرى فى عهد إسماعيل أيضا إصلاح رياح المنوفية

(١) رؤوف عباس حامد : مصرف القرن التاسع عشر ، صـ١٤٧

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل – الجزء الثانى – صـ٥

(٣) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الإقتصادى فى القرن التاسع عشر – صـ ٦٢

(٤) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى في العصور الحديثة ، صـ ٢٠٤

وتعميقه وبناء قناطر، فصار أهم مصدر للرى فى مديريتي المنوفية والغربية، وكذلك تحويل كثير من الترع النيلية إلى ترع صيفية .

- القناطر : بلغ ما أنشئ فى هذا العهد من قناطر الترع والرياحات ٤٢٦ قنطرة منها ٢٧٦ فى الوجه البحري، و١٥٠ فى الوجه القبلى .

وقد تم إصلاح القناطر الخيرية مما طرأ عليها من خلل فى بعض عيوبها بسبب ضغط المياه .

- آلات الرى : كان عدد آلات الرى فى سنة ١٨٧٣ كالآتى :

٣٠.٠٨٠٤ ساقية ، ٦.٩٢٦ تابوت ، ٧٠.٥٠٨ شادوف و ٤٧٦ آلة بخارية

وبالنسبة للآلات البخارية فيذكر " الياس الأيوبى " : أنه استقدم من أوروبا عدداً عظيما من ماكينات الرى البخارية، وكان استعمالها قد شاع هناك، وحلت محل معظم الآلات الرافعة وأقامها فى أطيانه الخاصة . فاقتدى به كبار الملاك وصغارهم من الباشا والبك إلى العمدة والشيخ ."[1]

وأدى هذا الإصلاح فى نظام الرى إلى زيادة الأراضى المزروعة من ٤.٠٢٥ فدان فى آخر سنة من سنى سعيد إلى ٥.٤٢٥ فدان فى آخر سنة من حكم إسماعيل أى زيادة ١.٣٧٣ فدان فى ١٦ عام . وكان نتيجة إلى ذلك أن زادت الكميات الناتجة من جميع المحاصيل وزاد محصول القطن، فقد كانت الكمية التى صدرت فيه فى سنة ١٨٦١ (٥٩٦.٢٠٠ قنطاراً)، وبلغت فى سنة ١٨٦٥ (٢.٠٠١.١٦٩) قنطاراً أى حوالى أربعة أضعاف ."[2]

وعلى الرغم من هذا التقدم . كان نظام الرى لا يزال معيباً فمستوى المياه فى الصيف منخفض عن الأراضي الزراعية بعدة أمتار، مما استلزم رفع المياه إلى الأطيان

(١) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ، المجلد الأول ، صـ٨٨ .

(٢) حامد سليم: بعض نواحى تاريخ الزراعة - اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته صـ١٣٦ .

بآلات الرى . والترع يرتفع قاعها كل سنة فى أثناء الفضيان مما استلزم تطهيرها سنوياً، وبذلك ضاع جزء من العمل فى رفع المياه فى الصيف وتطهير الترع فى الربيع.(١)

١ـ الترعة الإبراهيمية

هى أعظم الترع التى أنشئت فى عهد إسماعيل . وتعد من أعظم منشآت الرى فى العالم، تأخذ مياهها من النيل عند أسيوط، وتنتهى عند اشمنت بمديرية بنى سويف، ويبلغ طولها ٢٦٧ كيلومتراً، وتروى مديريات أسيوط والمنيا وبنى سويف.(٢)

وقد تم شق الترعة على فترتين زمنيتين كل سنة. الأولى تقع فى يناير وفبراير والثانية فى مايو ويونيو، وذلك فى الفترة من عام ١٨٦٧ وحتى عام ١٨٧٣ . وقام بإنجازه مائة ألف عامل .(٣) وسميت هذه الترعة بالإبراهيمية باسم والد الخديوى إسماعيل باشا آثاراً وتذكاراً لحياته .(٤) وتبلغ مجموع مساحات الأراضى التى تروى منها ما يقرب على مليون من الأفدنة منها ٧٠٠ ألف فدان تروى رياً صيفياً .(٥)

ويرجع السبب المباشر لإنشاء هذه الترعة إلى حدثين متتالين زمنياً، فالحدث الأول نشأ بسبب أن الخديوى إسماعيل وضع يده فى بداية ولايته عام ١٨٦٣ على أراضى الفيوم، وتم تسميتها بتفتيش الفيوم ثم ألحقت بأراضي الدائرة السنية ومن أجل أن يتم إقامة زراعات صيفية بهذه الأراضي أراد أن يزيد من تصرف المياه

(١) أحمد أحمد الحتة : المرجع السابق ، صـ ٦٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، صـ٦ .

(٣) أحمد حلمى السيد سليمان : الرى فى مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ – ١٩٢٣ رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ٢٠٠٥ ، صـ١٨١ .

(٤) الياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ٩٠ .

(٥) محمد كامل نبيه: المنشآت الهندسية العامة – إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته صـ١٦٣ .

الواردة لبحر يوسف، الذي هو فى حقيقة الأمر المنبع الوحيد الذى يمد الفيوم بالمياه. ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية فى وقت وجيز تم توصيل بحر يوسف بالترعة المنفلوطية، وترتب على هذا الأمر تعميق بحر يوسف مع تعميق الفم الجديد . وبذلك زادت كميات المياه الواردة للفيوم . ولم يكد هذا العمل يتم حتى وضع الخديوى إسماعيل يده على مساحة أخرى قدرها ٢٣٣.٣٣٣ فدان واقعة شمال مدينة أسيوط وممتدة بطول قدره ٢٩٥٥ كم وموازى للضفة الغربية للنيل وقدره ٢٩٥ كم. ومن ثم فقد أصبح من الطبيعي الاتجاه للتفكير فى عمل ترعة صيفية كبيرة لرى هذه الأراضي الشاسعة .[١]

ويرجع الفضل فى وضع تصميم الترعة الإبراهيمية إلى المهندس المصرى مصطفى بهجت، الذى كان مفتشاً لهندسة الوجه القبلى، وقد بدأ بإنشائها ١٨٦٧ . ولما انتقل للعمل فى الوجه البحرى خلفه المهندس سلامة باشا الذى تولى انشاء قناطر الترعة، ثم خلفه إسماعيل باشا محمد والذى فى عهده تم العمل .

مزايا الترعة الإبراهيمية[٢]

أولاً: أن هذه الترعة هى من أعظم ترع الدنيا، وهى تسقي بفروعها ابتداء من ملوى بمديرية أسيوط الي ناحية اشمنت بمديرية بنى سويف أى بطول حوالى ١٨٨ كم بدون وابورات وسواقى أو شواديف، بخلاف الترع الصيفية بالوجه البحرى . وبهذه الحالة يتوفر على المزارعين كلفة السقية وهى ميزة عظمى للرى .

ثانياً: لاشك أن زراعة القطن قبل إنشاء الترعة الإبراهيمية كانت محصورة فى الوجة البحرى، وكان الإنتاج من ٣ قنطار إلى ٤ قنطار على الأكثر وبعد إنشاء الترعة الإبراهيمية صارت مديريات أسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم يزرعون القطن فزاد محصول القطن فى مصر .

---

(١) أحمد حلمى السيد سليمان : نفس المرجع ، صـ١٨٢

(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للرى فى الدنيا – الترعة الإبراهيمية ، صـ٨٣ ، ٨٤

ثالثاً: محصول السكر الفضل فيه للترعة الإبراهيمية . فقد أنشأ الخديوى إسماعيل فاوريقات السكر العظيمة على الترعة الإبراهيمية، ووصل عددها إلى ١١ فاوريقة . ومن ناحية أخرى فقد زاعت شهرة الترعة الابراهيمية وأصبحت ذات شهرة عالمية . وفى هذا الصدد أذكر أن المهندس الانجليزى الشهير (السيرجون فولر) قد حضر إلى مصر فى وقت البناء وشاهد العمل بنظرة العالم والمهندس فقال (يلزم أن السائحين اللذين يحضرون إلى مصر لمشاهدة الآثارات القديمة أولى بهم أن يشاهدوا الآثارات الجديدة التى هى الترعة الإبراهيمية وقناطرها) . وفى أثناء العمل أيضا حضر إلى مصر أحد مفتشي الرى العظام من أمريكا بقصد البحث عن طرق الرى والصرف ببلاد الهند والقطر المصرى، وبعد أن تم مأموريته من الهند حضر إلى مصر فالوجه القبلى، وبمروره على الترعة الإبراهيمية وقناطرها استحسن ذلك كثيراً .

والحقيقة أن الترعة الإبراهيمية كانت نقطة تحول كبرى فى تاريخ الرى الصناعى المصرى فى القرن التاسع عشر مثلها مثل القناطر الخيرية وخزان أسوان . فهذه الترعة لها مزايا اقتصادية واجتماعية هامة نابعة من حجمها الغير مسبوق طولاً وتصرفاً وزماماً، وانعكس ذلك على سياسات مصر الزراعية وجعلها تستند إلى ظهير من الثقة . فالترعة الإبراهيمية فى سياق تاريخ الرى المصرى فى العصر الحديث هى مشروع تنموى كبير فى حجمه بسيط فى فهمه، صنع بأيد وعقول مصرية خالصة وتم تنفيذه بقناطر تامة، ايذاناً بإعلان زوال ثنائية القوة والسخرة وحلول ثلاثية المنطق ممثلة فى العلم والهندسة والتنمية . كما أنها تمت بقناعة المصرى فلاحاً ومهندساً. إنها الخير لمصر على المدى البعيد رغم أن خيرها على المدى القصير كان للخديوى وغيره من أصحاب معامل السكر .[1]

(١) أحمد حلمى سليمان : نفس المرجع صـ١٨٦ ، صـ١٨٧ .

شـــكل رقم (٤٦)



ترعة الإبراهيمية

٢ ـ قناطر التقسيم

أقيمت على الترعة الإبراهيمية خمس قناطر هى : قناطر التقسيم بديروط ، قناطر المنيا، قناطر مطاى، قناطر مغاغة، قناطر ببا.[١]

وأعظم هذه القناطر شأناً هى قناطر التقسيم، والتى أقيمت عند ديروط على بعد ٦٠ كم من فم الترعة . وهى مجموعة قناطر متصلة ببعضها البعض، ومشيدة بشكل هندسى بديع توزع كل منها المياه على فرع من الفروع الآخذة من الترعة .[٢]

ويذكر " محمد إسماعيل " (مهندس الترعة الإبراهيمية) أن جميع هذه القناطر يجمعها جميعها فرش واحد ماعدا قنطرة المصرف، وبلغ عدد العمال فيها حوالى ٨٠٢٠٠ عامل .[٣] مبنية من الحجر الدستور والطوب الأحمر .

وقناطر التقسيم هى خمس قناطر مركبة على الترعة الإبراهيمية : الأولي : قنطرة الإبراهيمية وهى على الترعة الإبراهيمية خاصة وهى بسبع عيون، والثانية : قنطرة بحر يوسف وهى بخمس عيون وهويس، الثالثة : قنطرة فم الترعة الديروطية وهى ذات ثلاث عيون، الرابعة : قنطرة فم ترعة الساحل وهى بعينين اثنين ، الخامسة : قنطرة ترعة حوض الدلجاوى وهى بعينين اثنين .[٤]

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية – جـ ١٩ ، صـ ١١٩ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل : جـ ٢ ، صـ ٨ .

(٣) محمد إسماعيل حب الرمان : المرجع السابق ، صـ ٣٤ ، صـ ٣٥ .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٩ ، صـ ١١٩

الأفمام الكائنة على قناطر التقسيم بديروط جدول رقم (٥)

أسماء القناطر	منسوب الفرش	العيون عدد	العيون عرض	منسوب سطح الأرصفة الأمامية	الأهوسة
	متر		متر	متر	
فم حوض الدلجاوى	٤٢,٧١٥	٢	٣	٤٧,٥١٥	
فم بحر يوسف	٣٩,٣١٥	٥	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض
فم ترعة الديروطية	٤٠,١١٥	٣	٣	٤٧,٥١٥	
موازنة الترعة الإبراهيمية	٣٩,٣١٥	٧	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض
فم الترعة الساحلية	٤٠,٩١٥	٢	٣	٤٧,٥١٥	
المصرف	٤٢,٩٦٥	٥	٣	٤٧,٥١٥	له هاويس طول ٣٥ متر ٨,٥٠ متر عرض ومنسوب فرشة ٤١,٣١٥

المصدر : أحمد حلمى السيد سليمان : الرى فى مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ –١٩٢٣ –رسالة ماجستير –كلية الآداب –جامعة القاهرة –٢٠٠٥

وتعد قناطر التقسيم من أعظم قناطر الرى فى الدنيا . وهى من تصميم المهندس الكبير بهجت باشا، وتناوب على بناءها هو وسلامة باشا ثم إسماعيل باشا محمد، ومن المهندسين اللذين كانوا يلاحظون أعمال الحفر والبناء فيها : محمد بك أبوالسعود، يوسف بك الحكيم، رجب بك سرى ، أحمد بك سعيد ، على بك برهان، محمد بك فهمى ، حسن بك وصفى وكان ابتداء بنائها سنة ١٨٦٩ م وتمت سنة ١٨٧١ . وقد نظم الشعراء القصائد تاريخاً لهذا العمل العمرانى الجليل، فما قاله فى هذا الصدد السيد على أبو النصر المنفلوطى أحد شعراء ذلك العصر :

أحيت عنايات الخديوى ملكه ... فسما بطالع سعده التنظيم
وأفاد بحر النيل حسن تصرف ... حتى ارتوى بالراحة الإقليم
وأراد ثروته فأحكم ترعة ... أبدى على عنوانها إبراهيم
وبنى بديروط القناطر مورداً ... تقسيمها قد زانه التصميم
فكأنها جبل بذروته بدت ... آثار مصر حادث وقديمه

وبرسم (إسماعيل) بعد (سلامة) وافى (ببهجة) شكلها التعميم
فلملك (إسماعيل) فى إنشائها فضل يدوم لربه التعظيم
عمت منافعها فقلت مؤرخاً إن القناطر نفعها التقسيم[1]
(سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م)

أما بالنسبة لباقى القناطر المركبة على الترعة الإبراهيمية فهى قناطر المنيا وهى مركبة من قنطرتين أحدهما على الترعة الإبراهيمية وهى ذات ثلاث عيون والقنطرة الثانية غرب القنطرة الأولى وهى بثلاث عيون .

قناطر مطاى : وهى القناطر الثالثة من قناطر الترعة الإبراهيمية وهى مركبة من قنطرتين أحداهما على امتداد الترعة الإبراهيمية وهى بست عيون، أما القنطرة الثانية فهى ذات ثلاث عيون .

قناطر مغاغة : هى القناطر الرابعة للإبراهيمية، وهى أيضاً مركبة من قنطرتين أحدهما على امتداد الترعة الإبراهيمية بخمس عيون وهويس، والثانية هى قنطرة فم ترعة الفشن وهى بثلاث عيون .[2]

ويذكر على مبارك أن قناطر مغاغة كان على قنطرتها الأولى كوبرى لمرور السكة الحديد الزراعية، وعرضه ٤.٥ م . والقنطرة الثانية عليها كوبرى من الخشب عرضه ٤ م لمرور السكة الحديد الزراعية أيضاً.[3]

(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل جـ١، صـ٨ ، صـ٩ منقولة عن كتاب أعظم ترعة للرى فى الدنيا (الترعة الإبراهيمية – تحفة الخديوى إسماعيل لصعيد وادى النيل) لمحمد إسماعيل حب الرمان

(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : المرجع السابق ، صـ٤٠

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ١٩ ،صـ١٢٠

جـــدول رقـــم (٦)

بيان قناطر الحجز فى الموازنة من الأعمال الصناعية الكائنة على الترعة الإبراهيمية

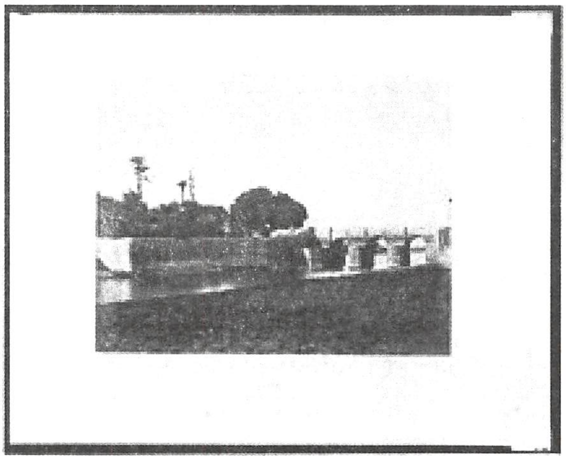
بعد قناطر التقسيم وقنطرة التسعة

اسم القنطرة	تاريخ الانتهاء من البناء	بعد موقع القنطرة عن فم البناء	العيون		منسوب الفرش	ارتفاع الأرصفة عن سطح الأرض	منسوب أرض الزراعة	الأهوســة
			عدد	متر				
		كيلو متر		متر	متر	متر	متر	
قنطرة المنيا	١٨٧١	١٢٧	٣	٣	٣٥.٢٨	٥.٣٣	٣٩.٥٠	بها هويس
قنطرة مطاى	١٨٧٣	١٦٩	٦	٢.٥	٣٢.٧٧	٤.٤٠	٣٥.٦٠	بها هويس
قنطرة مغاغة	*١٨٧٦	١٩٧	٥	٢.٥	٣٠.٨٣	٤.٠٠	٣٣.٥٠	بها هويس
قنطرة شراهنة	*١٨٧٦	٢٢١	٢	٣	٢٩.٠٠	٤.٢٦	٣٠.٦٠	لايوجد

المصدر : - أحمد حلمى السيد سليمان : الرى فى مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ - ١٩٢٣ رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥

وهكذا فإن إقامة الترعة الإبراهيمية وقناطر التقسيم اللتين كانتا حجر الأساس و محور التنمية لمنظومة الرى الصناعى بمصر الوسطى والفيوم كان بقصد استدامة الرى بهذه المناطق . ومن هنا أستطيع أن أقول أن هذا العمل العظيم قد ارتفع إلى مصاف المشروعات القومية .

شكل رقم (٤٧)



الترعة الإبراهيمية

شكل رقم (٤٨)



الترعة الإبراهيمية

٣ـ الترعة الإسماعيلية

هى ترعة يخرج فمها الأول من البحر الأعظم بجوار قصر النيل (الآن بجوار شبرا) وتنتهي عند الإسماعيلية، ثم تتفرع إلى فرعين أحدهما يسير إلى السويس والأخر إلى بور سعيد ، ويبلغ طولها ١٢٩ كم من فمها إلى نفيشة، و ٨٩ كم من نفيشة إلى السويس وعرضها ٢٨ متراً .[(١)]

وقد أنشئت هذه الترعة والتى كان اسمها فى البداية " الترعة الحلوة " بناءً على اتفاق مسبق بين سعيد باشا والى مصر وبين دلسبس، بموجب فرمان ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ والذي تضمن الفقرة التالية بخصوص الترعة .[(٢)]

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ١٩ ، صـ٤٢ .

(٢) أحمد حلمى السيد سليمان : الرى فى مصر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ١٨٠٥ – ١٩٢٣ رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ٢٠٠٥ – صـ١٧٩ .

" فى حالة ما إذا رأت الشركة أنـه مـن الملائـم وصـل النيـل مبـاشرة بـالبرزخ بواسطة مجرى ملاحى، وفى حالة ما إذا اتبعت القناة البحرية تخططا غير مباشر تصله مياه بالنيل " .

ولم يحدد فى هذا الحين الاتجاه الذي يـراد إعطـاؤه للترعـة الحلـوة ولا الغـرض منها. وبعد رحلة فى البرزخ قام بها دلسبس مـع " لينـان بـك " و " موجـل بـك "، اتفقوا على أن يضاف إلى مشروع القناة البحرية مشروع ترعة ملاحية وترعـة تغذيـة ورى تأخذ من النيل وتبدأ مـن بـولاق وتـسير فى الـوادى حتـى بحـيرة التمـساح، وتحسب أبعادها وتصميمها بطريقة تنتج تصرفات قادرة على رى (مائة) ألـف فـدان على الأقل فى وقت الفيضان .

وقد وافقت اللجنة الدولية على مشروع الترعة الحلوة التمهيدى الذى تضمن ثلاثـة شروط تهدف إلى: [١]

١ - أن تتسع الترعة لمرور القوارب والبواخر التـى كانـت تـسافر حينـذاك فى النيـل بدون الالتجاء إلى نقل حمولتها .

٢- أن تستوعب كمية كبيرة من المياه تكفى بعد استبعاد الفاقد من التبخر والتسرب فى التربة لرى مائة ألف فدان فى الموسم الشتوى وسـتون ألـف فـدان فى موسـم التحاريق الصيفي .

٣- أن يكون منسوب المياه مرتفعاً إلى درجـة تـسمح بـرى الأراضي الواسـعة التـى توجد فى البرزخ .

واستكمل اسماعيل العمـل فى هـذه الترعـة، وسـميت عـلى اسـمه إكرامـاً لـه وأصبحت الملاحة ميسورة فيها حتى للسفن التى حمولتها أربعمائة طن . [٢]

(١) أحمد حلمى السيد سليمان : المرجع السابق ، صـ١٧٩ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل – المجلد الأول – صـ٩١ .

ويذكر " على مبارك باشا " أنه بالترعة جملة قناطر أهمها الفم بست عيون ورصيف ملاصق لرصيف قصر النيل الشهير بالمحروسة وبها هويس، وقنطرة سرياقوس، وقنطرة بلبيس، وقنطرة العباسة . كذلك أشهر الضواحى الموجودة على كنارى هذه الترعة ضواحى المحروسة وبولاق والزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس وكفر حمزة وأبو زعبل وبلبيس والتل الكبير وأراضي الوادى بأكملها ومدينتي الإسماعيلية والسويس . وللترعة فم أخر يعرف باسم رياح الإسماعيلية .[1]

وهكذا كان لهذا الشريان آثر بالغ فى رى الأراضي الزراعية بجهات القليوبية والشرقية وقناة السويس، حيث أن هذه الترعة قامت بدور عمرانى رائد فى غزو الصحراء من جهة شرق الدلتا . وكذلك مد مؤسسات الشركة ومدن القناة بالماء العذب الصالح .[2]

ولكن الأهمية الكبرى لهذه الترعة هو تدعيم " التغيير الايكولوجى " الذي نشأ عن اقامة قناة السويس وظهور ثلاثة مدن : الأول مرفأ الشمال ونشأت عليه مدينة بورسعيد ومرفأ الجنوب أو ميناء السويس ومدينته القديمة السويس وكذلك عقد الوسط التى نشأت فيها مدينة الإسماعيلية .[3]

ويشير إلياس الأيوبي أنه بوصول ماء النيل العذب باستمرار إلى مدينة السويس لأول مرة منذ نشأتها أمكن هذا الثغر أن يكبر بسرعة عجيبة ويزداد سكاناً وأهمية تجارية .[4]

ولهذا فإن الترعة دعمت البعد المكانى لهذه المدن الثلاث، ونشر العمران فى محور التنمية العمرانية الذى نشأ كرد فعل مكانى لإقامة مجرى للمواصلات البحرية فى هذا المكان .

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ١٩ ، صـ٤٢ ، صـ٤٣ .
(٢) محمد محمود الصياد : النقل فى البلاد العربية – صـ٢٨ .
(٣) أحمد حلمى السيد سليمان : المرجع السابق ، صـ١٧٩ .
(٤) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، المجلد الأول ، صـ٩١ .

٤ ـ الترع الأخرى

من أهم أعمال الرى فى ذلك العهد، إصلاح رياح المنوفية الذى أنشئ فى عهد سعيد باشا وإعادة حفره وتعميقه وبناء قناطره . وقد اجتمع لهذا العمل نحو ٨٠.٠٠٠ عامل، وتم حفره سنة ١٨٦٨ م فى مدة ستين يوماً، ولما تم حفره تحولت منابع جميع الترع التى كانت تأخذ مياهها من النيل فصارت تستمد مياهها من الرياح المذكور، وصار أهم مصدر للرى فى مديريتي المنوفية والغربية .

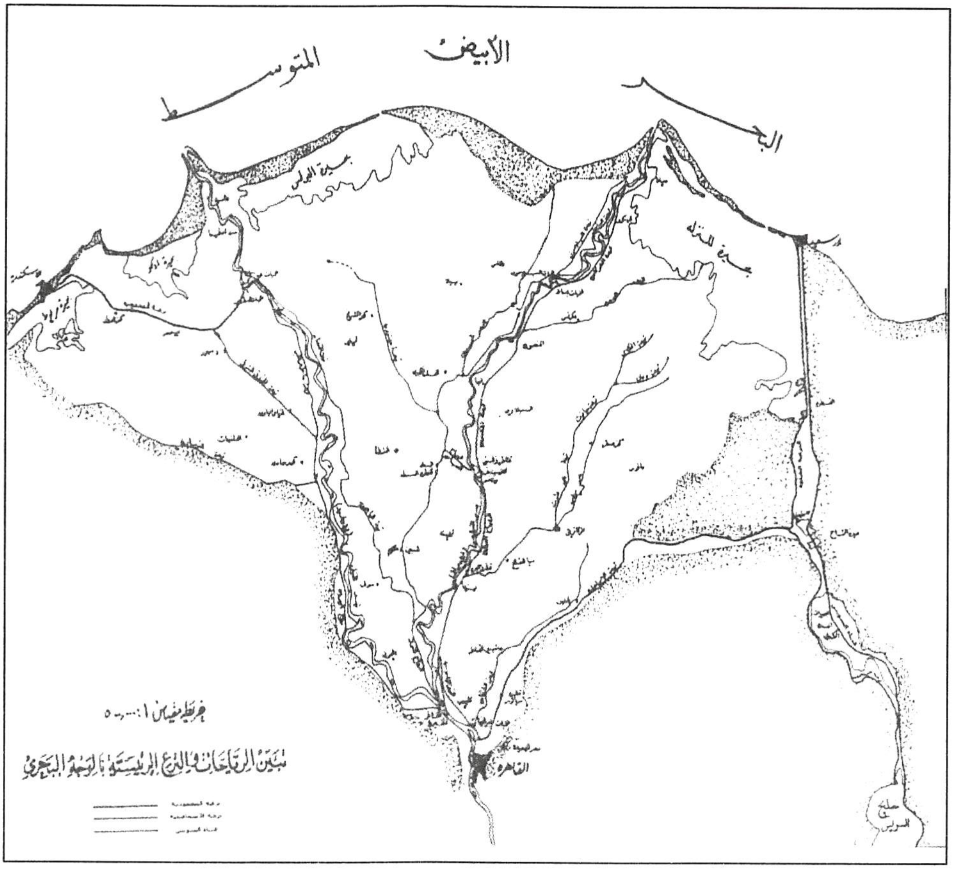
وفى سنة ١٨٧٠ أصلحت طلمبات العطف وزيدت قوتها، فصارت فى مقدورها تغذية ترعة المحمودية يومياً بثمانية ألف متر مكعب من المياه .

- وأنشئت ترع ناطورة المكسر، جنابية السكة الحديد، جنابية أبى كبير، العصلوجى (بالشرقية) .
- ترعة الحاجز الغربية وترعة الحاجر الشرقية، وتمديد مصرف النظامية (بالبحيرة) .
- وتحول كثير من الترع القديمة إلي ترع صيفية كالسرساوية، خليج عشما، السمسمية، الملوانية، الثعالب ، ترعة قطور، ترعة سبطاس، جنابية القرشية وبحر دخميش وترعة نورى أغا، ترعة الألفي، ترعة الساحل، ترعة الخط، ترعة بحيرم، ترعة قويسنا، والعطف، والخضارات، وترعة حسن، وميت خلف (جميع هذه الترع بالغربية والمنوفية) .
- ترعة القرطامية والفليفلة ومصرف العموم (بالقليوبية) .
- ترعة مصطفى أفندى وبحر الرمل (بالشرقية) .

ووسعت ترعة الساحل بالدقهلية وجرى امتدادها إلى البوهية وأعيد حفر ترعة الدنديطية والصافورية وجعلت كلتاهما صيفية ووسعت ترعة أم سلمى وصار تعميقها وتوصيلها بالبحر الصغير .

ومن الترع التى جعلت صيفية بالدقهلية ترعة جصفة والغفارة ومصرف المقدام وترعة الأفندية والخزان الجديد وترعة معاند والبزرارى وبحر طناح وميت سويد وميت يعيش .[1]

شكل رقم (٤٩)



الترع والرياحات الرئيسية فى الوجه البحرى

(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ،جـ٢ ، صـ١٠ ، صـ١١ .

٥ ـ إصلاح القناطر الخيرية

فى عام ١٨٦٧ م ظهر خلل فى بعض عيون القناطر الخيرية بسبب ضغط المياه.[١] فوجه إسماعيل عنايته إلى علاج هذا الخلل، وعهد بذلك إلى فطاحل المهندسين فى عصره وهم موجيل بك، بهجت باشا، مظهر باشا، ثم المستر فولر المهندس الانجليزى وطلب منه إسماعيل إتمام هذا العمل حتى يبلغ درجة الكمال . وألا يألوا فى ذلك جهداً حتى يفرغ منه مهما كلفته من نفقات واستدعى من عمال .

فاشتغل المسترفولر فى ذلك العمل ثلاث سنوات حتى تمكن من إنهائه فى سنة ١٨٧٨ وأبرز القناطر الخيرية فى حلتها التى أراد محمد على أن يراها فيها .

فهكذا فقد قلد إسماعيل الوجه البحرى عامة منة، وأولى البلاد خيراً .[٢]

وطالما أننا نتحدث عن مشروعات الرى فى عهد إسماعيل . لابد أن أشير إلى أنه فى عهده صدرت أول لائحة لتنظيم أعمال الرى تنص على طريقة تجهيز المقايسات وإعداد الرسوم وكيفية تحصيل ما تتطلبه هذه الأعمال من نفقات .[٣] بالإضافة إلى إنشاء مجالس تفتيش الزراعة والتى كان الغرض منها البحث فى الوسائل الكفيلة بتحسين الزراعة وإنمائها وتوزيع مياه الرى .[٤]

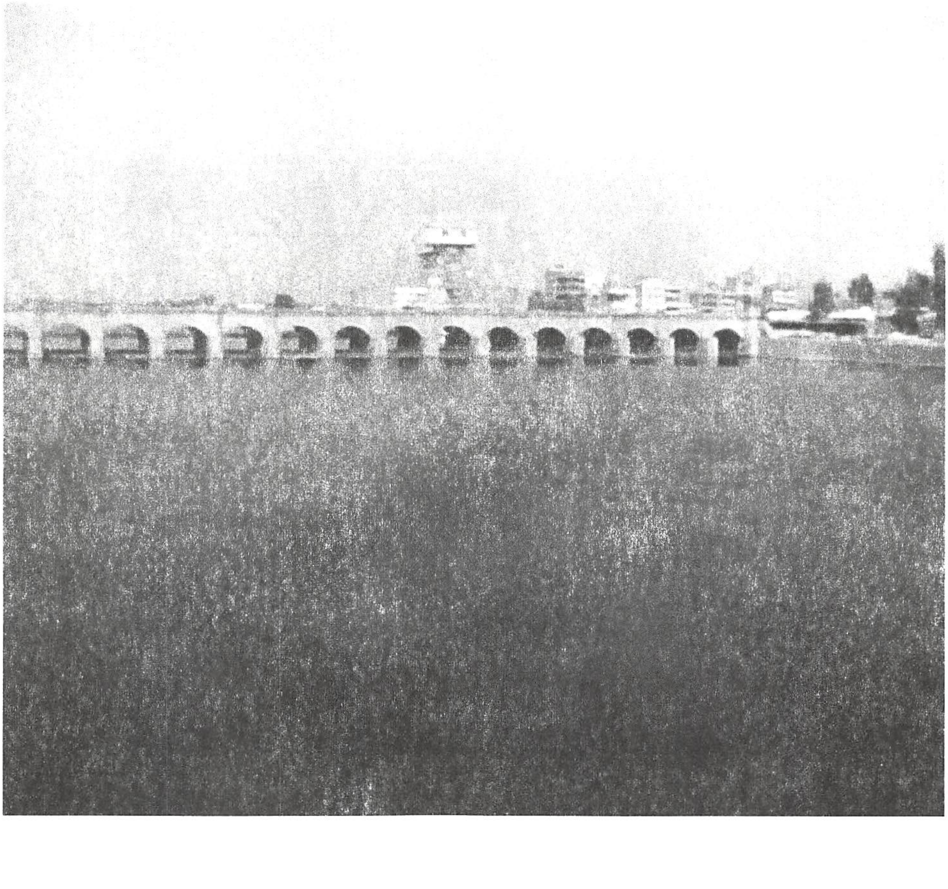
(١) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ،جـ٢ ، صـ١١ .

(٢) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، صـ٩٣ .

(٣) محمد كامل نبيه : المنشآت الهندسية العامة – إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته – صـ١٦٤ .

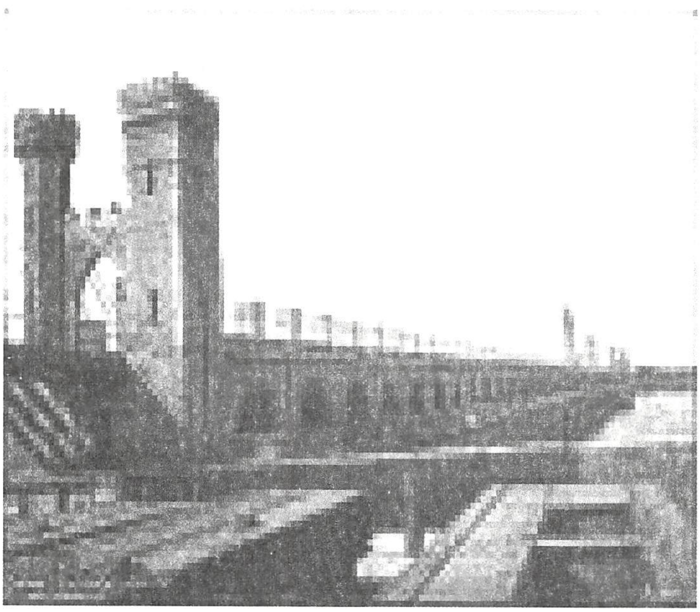
(٤) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ،جـ١٢ ، صـ١١ .

شكل رقم (٥٠)



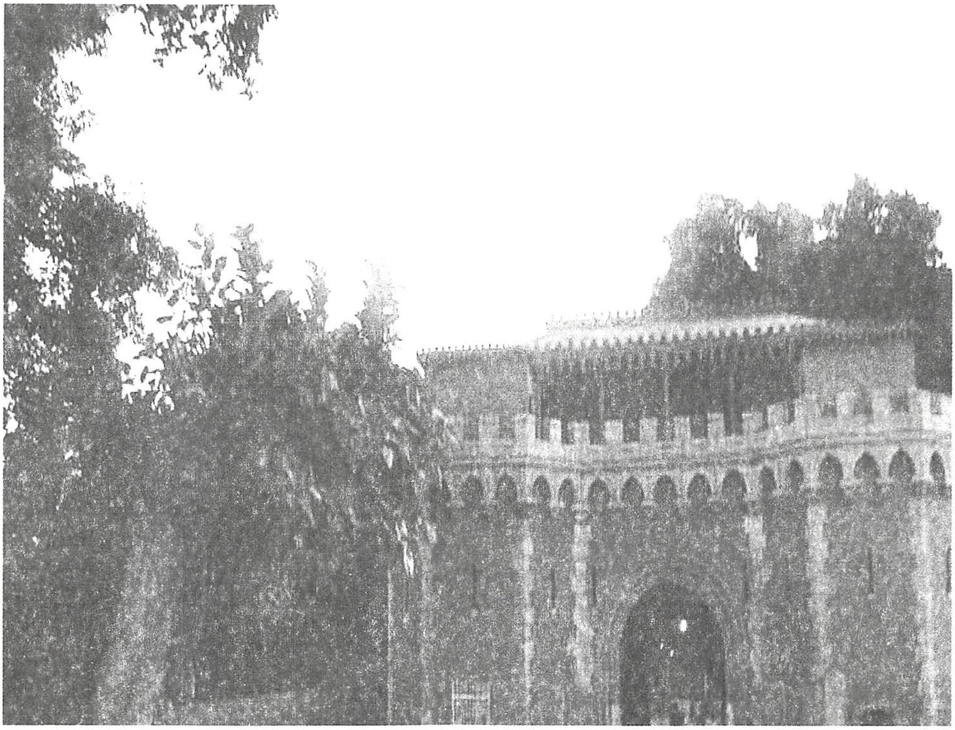
القناطر الخيرية

شكل رقم (٥١)



القناطر الخيرية

شـــــكل رقم (٥٢)



من داخل القناطر الخيرية

الفصل الرابع

مشـــروعات التعـــليم

- مقـــــــدمـــة

- تطور التعليم فى عصر إسماعيل

أولاً: مرحلة الإنشاء .

ثانيا: مرحلة التوجيه القومى .

ثالثا: حركة الإصلاح

مقـــــدمة

جاء إسماعيل إلى الولاية بعد عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، وكان عباس قد قام بإغلاق العديد من المدارس التى أنشأها محمد على، وحدد أعداد التلاميذ والقبول بالمدارس واضطهد رفاعة الطهطاوى، والذى أوكل له خطط التعليم، وأول مدير لمدرسة الألسن .

ثم جاء محمد سعيد الذى ترك الحال على ما هو عليه بدون أى فكر أو تطوير أو تقدم .

ثم جاء إسماعيل باشا حاكماً لمصر، ولم يكن باقياً من المدارس العليا إلا مدرسة الطب والصيدلة والولادة وقوامها ٦٩ طالباً، والمدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وقوامها ١١٦ طالباً فأدرك إسماعيل أن البداية الحقيقية لمستقبل هذه البلاد لا تكون إلا بالتعليم.[١]

وفى هذا الصدد يقول (دور بك) فى تقريره :

(كان محمد على قد بدأ تنظيم المدارس المصرية، ولكن عباس باشا وسعيد باشا أهملا أمرهما وفى ١٨ يناير ١٨٦٣ ، أى عند ارتقاء إسماعيل العرش، لم يكن باقيا من المدارس إلا مدرسة الطب والصيدلة والولادة، وقوامها ٦٩ طالباً، والمدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وقوامها ١١٦ طالباً. فأدرك إسماعيل ، وبقي هذا الاعتقاد السامي راسخاً فى ذهنه لا يتزعزع، أن قوى الجسم الاجتماعي لا تصان ولا تجدد إلا بنظام منطقي للتربية والتعليم).[٢]

(١) حسين كفافى : الخديوى إسماعيل ومعشوقته مصر – صـ٩١ .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية – صـ١٢٢ .

فأعاد إسماعيل افتتاح المدارس التي كانت قد أغلقت، وتوسع فى مراحل التعليم الابتدائي والأولي والكتاتيب فى القرى، وكذلك قام بإصلاح الأزهر الشريف، أعاد تأليف ديوان المدارس وعهد برئاسته إلى إبراهيم أدهم باشا الذى تولاه من قبل فى عهد محمد على.(١) وكذلك اهتم بإنشاء المدارس العليا، فأنشأ (مدرسة الإدارة والألسن) عام ١٨٦٨ والتى أصبحت تعرف بمدرسة الحقوق ١٨٧٥ ، ومدرسة الرى والعمارة والتى عرفت باسم المهندسخانة عام ١٨٦٦ ،ومدرسة دار العلوم ١٨٧٢ التى قامت بإعداد المعلمين للمدارس الابتدائية والتجهيزية، ومدرسة المساحة والمحاسبة عام ١٨٦٨ ،ومدرسة الزراعة ١٨٦٧ ،ومدرسة اللسان المصرى القديم (الآثار والمصريات)، ١٨٦٩ أضف إلى ذلك المدارس العسكرية المتخصصة.(٢)

ومن المدارس العليا التى أعيد تنظيمها فى عهد إسماعيل مدرسة الطب وبلغت هيئة التدريس فيها أربعة عشر مدرساً كلهم مصريون، ومدرسة الهندسة من الخمسة عشر مدرساً لم يكن إلى ثلاث أجانب على الرغم من أن برنامج المدرسة يشتمل على تعليم اللغات الفرنسية والإنجليزية والتركية والألمانية.(٣)

وكذلك اهتم إسماعيل بتعليم البنات، واهتم بالتعليم الأوروبي، وأدخل تعليم اللغات،وشجع الإرساليات على فتح المدارس على النظام الأوروبي مثل مدارس الفرير والجوزويت والليسيه وخصص لهم الأراضي بالمجان، وخصص مساحة للجامعة الأمريكية التى أقيمت فيما بعد .

واهتم بالبعثات وأرسل العديد من الطلبة إلى كل الدول الأوروبية فى التخصصات المختلفة لملء الفجوة واستكمال النقص والقصور الذى حدث فى ولاية كل من عباس وسعيد .(٤)

---

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل . الجزء الأول ، صـ٢٠١ .

(٢) الموقع الالكتروني لجامعة القاهرة (WWW.Cu.edu.eg) – مقالة بعنوان جذور جامعة القاهرة .

(٣) جورج جندى وجاك تاجر : المرجع السابق صـ١٢٦

(٤) حسين كفافى : المرجع السابق صـ٩٢ .

وفى هذا الصدد سوف نطالع رسالة إسماعيل إلى الصدر الأعظـم فى أغـسطس ١٨٦٩ :

" إن تقدم المدنية أدى إلى رقي العلـوم وانتـشار المعـارف، لـذلك أعـدنا فـتح المدارس التى كانت قد أغلقت، وكان بعثها مـن لـدن الحـضرة الـسلطانية، وأنـشأنا معاهد جديدة، وجميع هذه المؤسسات منظمة تماماً على تعددها وتنوعها . هـذا وقـد أوفـدنا البعثـات إلى جميـع أنحـاء أوروبـا ليـضطلع أعـضاؤها فى العلـوم والآداب والفنون والصناعة . كل ذلك مما بدأت البلاد تجنى ثماره . وتدل هـذه الأعـمال عـلى تقديرنا للتعليم، وهو أول أساس لكل تقدم ."(١)

وللحق، كما يقول " يعقوب ارتين باشا " : أنه يمكن اعتبار المدة ما بـين ١٨٤٨ و ١٨٦٣ فيما تختص بالتعليم العام والمعارف العمومية كأنها معدومة . ويقول " ماك كون " فى كتابه (مصر كما هى) : " أن ميدان العمل فى هـذه الوجهـة كـان مفتوحـاً وخالياً على سعته أمام إسماعيل باشا عندما تبوأ عرش أبيه وجـده، فـدأب يعمـل – ليس فقط لمجرد إنشاء جيش قوى يركن إليه فى الملمات، بل لمصلحة الأهـالي وترقيـة مستوى البلاد العقلي حتى حركت همته الشماء الهمم، وحق للتاريخ أن يدعو عهده " عهد إحياء العلوم والمعارف بمصر ". (٢)

تطور النظام التعليمي فى عصر إسماعيل :

مر النظام التعليمي فى عصر إسـماعيل بمراحـل متعـددة حـددتها معـالم بـارزة وارتبطت كل من هذه المعالم باسم أحد الرجال البارزين اللذين خلدوا لهم فى تاريخ التعليم فى القرن الماضى أقوى الأثر : فالمرحلة الإنشائية الأولى ترتبط باسـم " محمـد شريف باشا " ١٨٦٣ – ١٨٦٥ ومرحلة التوجيـه القـومى ١٨٦٧ – ١٨٦٨ باسـم

(١) جورج جندي وجاك تاجر : المرجع السابق صـ١٢٥ .

(٢) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ١٨٦٣ - ١٨٧٩ - المجلد الأول - صـ١٨٦ .

"على مبارك باشا"، مرحلة الإصلاح ١٨٧٣ – ١٨٧٤ ترتبط باسم " مصطفى رياض باشا ".[١]

ومن الممكن تقسيم حركة التعليم فى عصر إسماعيل إلى خمسة أقسام :

(الأول) المدارس التى أنشأتها الحكومة وقامت بالإنفاق عليها، (الثاني) : مدارس الأوقاف والمساجد والكتاتيب القديمة ، (الثالث) : ما كان منها فى مدارس أفراد من الهيئة الاجتماعية الإسلامية، (الرابع) : مدارس الطوائف الشرقية غير المسلمة، (الخامس) : مدارس الجاليات الأجنبية .[٢]

أولاً: مرحلة الإنشاء ١٨٦٣ – ١٨٦٥

لم يمض على حكم إسماعيل أيام حتى وقع اختياره على إبراهيم أدهم باشا ليكون عونه على تحقيق ما ينبغي من مشروعات تعليمية، وهو ثانى من تولى وزارة المعارف فى القطر المصرى فى عهد محمد على . فأصدر إليه إسماعيل باشا أمراً فى ٥ شعبان ١٢٧٩هـ (٢٦ يناير ١٨٦٣م) بأن يتخذ العدة لافتتاح ثلاث مدارس(منها مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة بالإسكندرية تنظم قسماً ابتدائياً وآخر تجهيزياً) ولإنشاء ديوان المدارس ليدير هذه المدارس ويشرف على الحركة التعليمية فى البلاد .[٣] فتأسست فى عام ١٨٦٤ مدرسة رأس التين بجوار السراى الخديوية بالأسكندرية ومدرسة الناصرية بمصر فى الشارع الموصل من عابدين إلى مسجد السيدة زينب .[٤]

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم محمد على إلى أوائل حكم توفيق - الجزء الثانى – عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق – الفصل الثانى صـ٢٧ .

(٢) إلياس الأيوبى : المرجع السابق صـ١٨٦ .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم : نفس المرجع ، صـ٢٨ .

(٤) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ١٨٧

وقام إبراهيم أدهم باشا فافتتح ديوان المدارس بالقلعة، ووضع أول لائحة للمدارس التى صدر بها أمر إسماعيل فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩ هـ (فبراير ١٨٦٣) وجرت الاستعدادات لافتتاح المدارس الثلاث التى سبق أن أمر بها إسماعيل ونظمت شئونها اللائحة الجديدة .

وهكذا أصبح قيام ديوان المدارس خير ضمان لتحقيق الاتساق والانسجام بين مختلف معاهد التعليم التابعة له بما يضعه من سياسات ويرسم من قواعد ويصدر من أوامر، وهو خير ضمان أيضا لأن تكن المشورة التى تقدم فى مسائل التعليم صادرة عن خبرة فنية وتجربة وروية .[1]

ولكن العمل فى إنشاء المدارس كان يقتضي جهداً ناء به إبراهيم أدهم باشا . فرأى إسماعيل أن يضع أمر التعليم بين يدى " محمد شريف باشا " (إليه يرجع الفضل في رسم الخطوات الأولي التى خطاها النظام التعليمي فى عصر إسماعيل).[2] وتم على يديه فتح المدارس الآتية : مدرسة المتبديان بالعباسية فى يوليو ١٨٦٣ وكان عدد تلاميذها ١٢٨٧ وكان ناظرها الأميرالاى إسماعيل زهدى بك . المدرسة التجهيزية بالعباسية وكان عدد تلاميذها ٥٩٤ وكان ناظرها على إبراهيم بك. وكذلك مدرسة الإسكندرية.[3] ونظمت المدرسة الحربية على أساس تقسيمها إلى ثلاث أسلحة للمشاة والفرسان والمدفعية، ثم افتتحت مدرسة لأركان الحرب فى سنة ١٨٦٥ . وافتتحت مدرسة المهندسخانة وبدأ العمل فى إنشاء الرصدخانة سنة ١٨٦٥ . وأنشئ مجلس استشاري للمعارف سنة ١٨٦٦ ووضعت مشروعات لإنشاء مدارس أخرى للبحرية والحقوق. وفى سنة ١٨٦٦ – ١٨٦٧ أنشئت مدرسة للطب البيطرى وجعلت من فروع المدارس الحربية.

---

(١) سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي فى مصر فى القرن التاسع عشر – صـ ٢٣ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق صـ٢٩ .

(٣) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل : المجلد الثانى من الجزء الثالث – صـ ٥٠٧ .

- **أهم الملاحظات على مرحلة الإنشاء :**

أولاً: أهم ما نلاحظه على التعليم فى هذا الدور أن المدارس الحربية تكاد تحتكر النشاط التعليمى فمنها أربعة مدارس قائمة : المشاة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب ثم أضيفت إليها مدرسة للطب البيطرى . أما المدارس المدنية فلا تعدو مدرسة واحدة خصوصية هى المهندسخانة ومدرسة ابتدائية أخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة ابتدائية تجهيزية بالإسكندرية .

ثانياً: المدارس التى أنشئت فى هذه المرحلة قاصرة على القاهرة والإسكندرية دون غيرها من بلاد القطر .

ثالثاً: وكذلك نلاحظ أمراً هاماً كان له أثر فى نمو النظام التعليمي واستقراره وهو أن حكومة إسماعيل بدأت عملها بإنشاء المدارس الابتدائية والتجهيزية وهذه خطوة طبيعية فى بناء النظام التعليمي. وكان من أهم نواحي النقد التى وجهت لنظام محمد على التعليمي أنه بدأ بالمدارس الخصوصية ثم المدارس التجهيزية والابتدائية، ذلك لأن محمد على كان يهمه فى المقام الأول أن يحصل على الفنيين الذين يستطيع أن يعتمد عليهم فى النهوض بالبلاد كالمهندسين والضباط والمترجمين والمعلمين . أما إسماعيل فقد بدأ وضع النظام التعليمي الحديث على أساس سليم : فبدأ بالمدارس الابتدائية والتجهيزية وفى الوقت نفسه احتفظ بالمدرستين الخصوصيتين اللتين وجدهما قائمتين حين تولى الحكم فى البلاد .

رابعاً: أهم ما نلاحظه على هذه المرحلة هو إهمال العناية بالتعليم الأولى الذي هو تعليم الشعب، ولن تستطيع مدرسة ابتدائية بالقاهرة وأخرى بالإسكندرية أن تواجه حاجات الشعب للتعليم . ولهذا ظلت الكتاتيب وحدها كما كانت هى معاهد التعليم الأولى فى البلاد واستطاعت أن توفي جانباً كبيراً من حاجة الأمة للتعليم . وهكذا نرى أن المرحلة الأولى من مراحل تطور النظام التعليمي فى عصر إسماعيل

كانت موسومة بسياسة محمد على فى التعليم، وهى قلة العناية بالتعليم الأولى وصبغ معاهد العلم بالصبغة الحربية .

خامسا: النظام التعليمي الحديث ما يزال فى السنوات الأولى من حكم إسماعيل مجهوداً (حكومياً) بحتاً لا نكاد نلحظ للجهود (الأهلية) فيه أثراً . وليس هذا مما يعينه على الاستقرار والنجاح . لذا فإن النظام التعليمي لن يفوز بهذا الاستقرار إلا إذا انتشرت معاهده فى مختلف أنحاء البلاد وأصبح ليس مجرد مجهود للحكومة وإنما تشترك معها الأمة فى توطيد أركانه. وهذا ما عمل لبلوغه " على مبارك باشا " (١٨٦٧ – ١٨٦٨).

ثانياً: مرحلة التوجيه القومى ١٨٦٧ – ١٨٦٨ م

فى المرحلة الإنشائية وضحت أوجه النقص فى سياسة التعليم ونظامه، ووضح أن أمر التعليم عامة أخطر من أن يوكل إلى بضع مدارس بالقاهرة والإسكندرية ووضح أن الحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر في سياسة التعليم التي خلفها عصر محمد على تمهيداً لرسم سياسة جديدة لا تقوم علي النظر إلي التعليم على أنه عمل حكومى لا تبغي به الحكومة سوى إعداد نفر من أبناء البلاد لوظائف الحكومة وإنما اعتباره أداة للإصلاح والنهوض القومى للأمة .

ووضح الشعور بالحاجة إلى نشر التعليم الأولي الابتدائية وهو المرحلة الأولى من مراحل التعليم وأشدها اتصالاً بالشعب . أحست حكومة إسماعيل بهذه الحاجة وراحت تدبر الوسائل للوفاء بها كما أحس بها فى الوقت نفسه مجلس شوري النواب الذى اجتمع أعضاؤه لأول مرة فى أواخر سنة ١٨٦٦ ليرسموا سياسة جديدة فى التعليم .

ومن ناحية أخرى فإن إسماعيل أدرك منذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائي لا يستقيم أمره أو يعمم أثره إلا إذا تعددت معاهده ولا تقتصر فقط على حاضره

البلاد وثغرها . ولـيكن مـن تعـدد المـدارس الابتدائيـة وسـيلة لإمـداد المـدارس التجهيزية بمجموعة منتقاة من التلاميذ المبتدئين، لذا أصدر إسماعيل أوامـره تباعـاً إلى ديوان المدارس تارة وإلى المديريات تارة أخرى بضرورة إنشاء مدارس ابتدائية فى حواضر المديريات والمحافظات وبالفعـل وضـعت الرسـوم والمواصـفات لتحويـل بعض القصور التى بناها أسلافه أو بعض المصانع المهجورة إلى مدارس غـير مـدخر فى ذلك مالاً وجهداً وكذلك وضع ترتيب لمكاتب المبتديان بالأقاليم .

على أن أكثر المدارس التى أمر الخديوى بإنشائها فى الأقـاليم كانـت فى أسـوان والمنصورة ودمنهور واسنا وقنا ودمياط وبنها وأسيوط والمنيا وبني سويف.[1]

قرارات مجلس شورى النواب – أكتوبر – نوفمبر ١٨٦٦

فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ صدرت لائحة مجلس شورى النـواب الداخليـة، وكـان اجتماع الشورى يشير بضرورة اهتمام الحكومة بالتعليم لـيس فقـط عـلى أنـه وسـيلة وأداة تعد للحكومة الموظفين لمصالحها، بل كأداة لتربية الشعب التربية السياسية التى تفهمه حقوقه وواجباته .[2]

قـرارات المجلس [3]

(١) إنشاء مدرسة بكل مديرية ويكون حجم المدرسة مقترناً بتعداد المديريـة ويقـوم ديوان المدارس بتنظيمها .

(٢) إنشاء مكاتب المديريات فى أماكن تقترب من خطوط السكة الحديـد تيسـيراً لسـبل الوصول إليها، وأشار شريف باشـا نـاظر المعـارف إلى أن تسـتخدم لهـذا الغـرض الأبنية التى تملكها الحكومة فى الأقاليم بعد إصلاحها بمعرفة ديوان المدارس .

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٣٦ ، صـ٣٧ ، صـ٣٨ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٣٩ .

(٣) سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر في القرن التاسع عشر، صـ٢٤٠ ، صـ٢٤٦

(٣) يكون الدخول في هذه المدارس من عموم الناس بالرغبة من دون استثناء مسلم أو قبطي غني أو فقير بشرط أن يكون التلميذ لغاية سنة الرابعـة عـشر ويتلقـي جميع التلاميذ دروسهم معاً وفي درس الدين يفرد محـل خـاص لأبنـاء الأقبـاط ويؤذن لأحد القسس بالتردد على المدرسة لتعليمهم أصول دينهم.[1]

(٤) يترك لديوان المدارس تحديد مدة الدراسة بهذه المدارس وخطة الدراسة بها عـلى أن يمـتحن تلاميـذها في آخـر الـسنة الدراسـية أمـام منـدوبين مـن الحكومـة وبحضور عمد البلاد .

(٥) يـترك لـديوان المـدارس تحديـد التعيينـات التـى تـصرف لتلاميـذ المـدارس، ومصروفات هذه المدارس تكون من المديريات والمحافظات القائمة بها ويجعـل لذلك باب خاص في حساب كل جهـة، وإيـرادات هـذه المـدارس تكـون مـن الأوقاف التي انقرض مستحقوها .

(٦) إيرادات هذه المدارس تكون من الأوقاف التى انقرض مستحقوها وتقـع تحـت نظر ديوان الأوقاف .

(٧) يذاع في البلاد كافة افتتاح هذه المدارس ليكون معلوماً لكل أهل الوطن ويقـدم من يشاء منهم هبة لها .

(٨) تقيد هبات الأهالي بكل محافظة أو مديرية في سجل خاص، وفي آخـر كـل سـنة يرفع بيان بإيراد المدرسة ومصروفاتها إلى ديوان المدارس .

(٩) يعين في آخر كل سنة عمدة من كل قسم وعمدة من كل مديرية لينظر كل مـنهم في جهة ما ورد من هبات الأهالي .

وهنا أعلن شريف باشا أن الحكومة تتقبل شاكرة تبرعات الأهالي ، كما أعلن أن الخديوى قد تفضل فأمر بوقف جفلك الوادي ويتألف من نحو ١٢٢ ألف فدان

(١) أحمد عزت عبدالكريم : نفس المرجع صـ٤٢ .

وقفاً مؤبداً على المدارس المقرر افتتاحها ويكون إيراده روكاً على كافة مدارس الأقاليم.[1]

- المبادئ التى وضعها مجلس شورى النواب فى تاريخ التعليم المصري لأول مرة:[2]

أولاً: التعليم الابتدائي واجب قومى لا تختص به الحكومة وحدها بل يجب أن تتضامن قوى الحكومة والأمة فى سبيل نشره وإنجاحه : الحكومة بما تملك من الوسائل الفنية فى وضع المناهج وتقديم المعلمين والمفتشين والمكاتب، والأمة بما تملك من أسباب التأييد القومى وبما يملك أغنياؤها من مال .

ثانياً: ضرورة تدبير موارد للصرف على هذا الضرب من التعليم من خارج ميزانية الدولة تخفيفاً عن هذه الميزانية من جهة وتدعيماً لصفتها الأهلية من جهة أخرى .

ثالثاً: وترتب على ذلك أن دعيت المدارس الابتدائية التى أنشئت فى ظل هذا النظام بالمدارس أو المكاتب الأهلية تأكيداً لصفتها الأهلية كمعاهد للتعليم الابتدائي الخارج عن ميزانية الحكومة.

رابعاً: وضع شورى النواب مبدأ هام وهو الاعتراف بالمكاتب أو الكتاتيب الأهلية وهما معاهد التعليم الأولى الشعبى التى عاشت دهراً طويلاً، وضرورة إصلاحها حتى تصبح تحت إشراف الحكومة وسيلة طيبة لنشر التعليم الأولى .

- **لائحة رجب ١٢٧٤ هـ (٧ نوفمبر ١٨٦٨ م)**

لا شك أن الغرض من إصدار لائحة رجب هو وضع أساس منهج قويم للتعليم فى جميع أنحاء القطر، وقد ظهرت فائدته إذ زاد عدد التلاميذ فى مدة وجيزة إلى ٥٢.٠٠٠ تلميذ يتعلمون فى ١٣٠١ معهد، وزاد بعدها عد التلاميذ إلى

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٤٣

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٤٥ ، صـ٤٦ ، صـ٤٧ .

١٤٠.٩٧٧ وعدد المدارس إلى ٤٨١٧، وكان فى القاهرة وحدها ما يزيد على ٢٩٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذها ١٠.٠٠٠ تلميذ عدا طلبة الأزهر الشريف والمعاهد الأجنبية والمعاهد التابعة للأوقاف والمدارس الحربية لتعليم الجيش الذى كان يبلغ آنذاك ثلاثين ألفاً .[١]

ولائحة رجب ذات أربعين بنداً مبنية على مبدأين أساسيين هما : تضامن جميع المدارس فى نظامها وتعليمها، مساواة المعاهد التى من درجة واحدة مساواة تماماً فى جميع الأمور، فقسمت المدارس إلى ثلاثة أقسام: ابتدائية وهى الكتاتيب ومدارس المديريات، ثانوية، عالية.[٢] وأشارت لائحة رجب إلى التفرقة بين تعليم أميرى يقوم بسد احتياجات الدولة وتعليم أهلى فى الكتاتيب، الأول يقدم علوماً عصرية، والثاني علوماً دينية، الأول تهيمن عليه الحكومة وتنفق عليه، والثاني ينفق عليه الأهالي، الأول متقدم والثانى حد أدنى غير أنه منتشر فى جميع أنحاء مصر. ومن هنا كانت أهميته كوسيلة لنشر التعليم بين أبناء البلد لكن بعد إصلاحه وتهذيبه، ولن يتحقق ذلك إلا بهيمنة الدولة عليه . أما التمويل فكان عن طريق الأوقاف التى انقرض مستحقوها، بالإضافة إلى الهبات والعون المالى من الأهالي . أما الإشراف الفنى فكان علي الحكومة توفير رجال التفكير والصحة والهندسة والبناء .[٣]

أما عن مدارس المديريات فهى مدارس ابتدائية . ونصت اللائحة على أن تكون فى عواصم المديريات وسميت بالمدارس المركزية وأدخلت عليها اللائحة نظام الخارجية والمصروفات الدراسية . ثم نظام داخلي مجانى دون تناول راتب شهرى من الحكومة . لكن منذ سنة ١٨٧٢ فرضت الحكومة رسوماً بسيطة .

(١) عمر الاسكندرى وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر - صـ٢٢٥ .
(٢) إلياس الأيوبى : المرجع السابق ، صـ١٩٠
(٣) سامى سليمان السهم : المرجع السابق ، صـ٢٤٧ .

وكانت هذه المدارس على نظام مثيلاتها فى أوروبا وكان برنامج التعليم فيها كالآتي :

القرآن ، العربى ، الفرنساوى أو الإنجليزي ، الحساب ، التاريخ ، الهندسة ، الرسم.[1]

أما المكاتب الأهلية كانت على نظام مختلف : من نظام خارجى، مصروفات شهرية، مسئولية الأسرة عن متابعة دروس أولادها خارج المدرسة . وهكذا وصلت لائحة التعليم بين المدرستين (المكاتب الأهلية والمدارس المركزية) حيث أن التلاميذ الذين ينتهون من دراستهم القروية يستطيعون الالتحاق بالمدارس المركزية تمهيداً لالتحاقهم بالمدارس الأميرية.[2] أما المدارس الثانوية فتقرر أن تكون سبعاً : ثلاثاً فى مديريات الوجه البحرى وأربعاً فى مديريات الوجه القبلى وأن تكون المجانية المطلقة هي الأصل فى التعليم . أما المدارس العليا فجعلت تسعاً : ثمان منها فى مصر، وواحدة بالإسكندرية وكانت أهمها مدرسة البوليتكنيك (المهندسخانة) ومدرسة الطب.[3]

- وقد حددت لائحة رجب المواد التى يدرسها تلاميذ كل مرحلة من مراحل السلم التعليمي، فقد جعل التعليم بالمدارس الابتدائية قاصراً على مبادئ القراءة والكتابة، وخصت المدارس التجهيزية بمن كان يريد التقدم فى مضمار التعليم، أما المدارس العالية أو الخصوصية فكان يتعلم فيها الطلاب كل العلوم الدراسية وفيها اللغات الأجنبية، حيث كان يترك لهم الحرية فى اختيار اللغة الأجنبية التى يتعلمونها بشرط أن يتعلموا اللغتين العربية والتركية . وكان طلاب المدارس العالية أو الخصوصية على قسمين :

(١) الياس الايوبى : نفس المرجع ، صـ١٩١ .

(٢) سامى سليمان السهم : المرجع السابق صـ٢٤٨ .

(٣) إلياس الايوبي : المرجع السابق صـ١٩١ .

قسم يتعلم على نفقته الخاصة والآخر على نفقة الحكومة، ولذلك كان يتحتم على هؤلاء أن يخدموا فى وظائف الحكومة مدة معينة. وكان يختار أحسن الطلاب لمدرسة المهندسخانة ومدرسة الطب، وغيرها ليذهبوا إلى المدارس الحربية وفى ذلك إجحاف بالمجتهدين لأن معظم الترقية كانت فى الجيش .[1]

وهكذا نرى أن " على مبارك " وضع فى سنة ١٨٦٧ – ١٨٦٨ الأساس الذى تقوم عليه الجهود التالية لتحقيق مشروع التعليم القومى فى مصر. ولا يقلل من قيمة عمله أن الجهود التى بذلت فى تلك السنة وفى السنوات التالية لم تحقق الإصلاح المنشود، فإن مثل هذا الإصلاح الخطير لا يتحقق فى عام أو أعوام وإنما فى جيل وأجيال. وهكذا نرى أن سنة ١٨٦٧ – ١٨٦٨ كانت من السنوات الحافلة فى تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل فقد وضع فيها الأساس الذى قام عليه تنظيم التعليم فى عصر إسماعيل وأصبحت معاهد العلم بمقتضي النظم التى وضعت فى تلك السنة أنواعاً ثلاثة وهي :

(١) المدارس الحربية : وهى تابعة لديوان الجهادية وينفق عليها من ميزانيته .

(٢) المدارس الملكية : وهى تابعة لديوان المدارس وينفق عليها من ميزانيته .

(٣) المدارس الأهلية : وهى تابعة لديوان المدارس ثم أنشئ لإدارتها ديوان المكاتب الأهلية وينفق عليها من موارد أهلية أهمها إيراد جفلك الوادى

وإذا كانت جهود على مبارك لتنفيذ القواعد التى رسمها ١٨٦٧ – ١٨٦٨ لم تثمر كلها، فإن الفضل كل الفضل يرجع إليه فى أنه وضع الأساس ورسم القواعد وأوضح معالم الطريق لمن يأتى بعده من دعاة الإصلاح والعاملين عليه.[2]

(١) رأفت غنيمي الشيخ : حضارة مصر الحديثة – صـ٨٢ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٦٦ ، صـ٦٧ .

ثالثاً: حــركة الإصلاح ١٨٧٣ – ١٨٧٤

وهى المدة التى تولى فيها " مصطفى رياض باشا " نظارة المعارف ورسم خلالها خطة إصلاحية تتضمن شقين [١] :

١- التوسع فى المنشآت التعليمية

٢- تحسين القائم منها مستفيداً فى ذلك بخبرة

" ادوار دور " الخبير السويسرى [٢] وفى إطار لائحة رجب، أثمر تعاون دور ورياض فى هذه الفترة القصيرة، وصدرت لوائح عدة تحقق الإصلاح الذى تطلع إليه الرجلان وهى :

(أ) تعديل الأساس الذى قامت عليه الحياة المدرسية .

(ب) وضع الخطط والمناهج المنظمة للتعليم فى مختلف مراحله .

(جـ) العناية بهيئة التدريس وإنشاء مدرسة لإعداد المعلمين .

واتخذ الإصلاح شكل لوائح صدرت فى أوائل سنة ١٨٧٤ وهى اللوائح الآتية:[٣]

١- ترتيب قبول التلاميذ بالمدارس الملكية فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (يناير ١٨٧٤).

٢- ترتيب الداخلية بالمدارس الملكية والمكاتب الأهلية فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤)

٣- ترتيب دار المعلمين فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

---

(١) سامى سليمان السهم : المرجع السابق صـ٢٤٨ .

(٢) (جاء إلى مصر زائراً ومستشفياً فى سنة ١٨٧٢ ولكن غريزة المعلم دفعته لأن يدرس نظام التعليم فى مصر فجاء كتابه ثمرة هذه الدراسة واجتذب الكتاب نظر حكومة إسماعيل فأسندت إليه رياسة التفتيش (انظر – أحمد عزت عبدالكريم ، صـ ٦٩) .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم محمد على الى أوائل حكم توفيق – الجزء الثانى – عصر إسماعيل – صـ٧٠ ، صـ٧١ .

٤- ترتيب المعلمين والنظار بالمكاتب الأهلية والمدارس الملكية فى ١٢ ربيع الأول ١٢٩١هـ (إبريل ١٨٧٤ م) .

٥- خطة الدراسة الابتدائية .

٦- خطة الدراسة التجهيزية

٧- خطة الدراسة بمدرسة دار العلوم .

٨- خطة الدراسة بمدرسة الإدارة (الحقوق) .

٩- خطة الدراسة بمدرسة المهندسخانة .

١٠ - خطة الدراسة بمدرسة العمليات .

١١ - خطة الدراسة بمدرسة المساحة والمحاسبة .

وبذل " رياض " و" دور " جهوداً مضنية لتحقيق خططهما فى الإصلاح، ولكن لم تمض ستة شهور حتى أبعد رياض لديوان آخر وتعطل الإصلاح الذى وضع قواعده رياض ودور، ومشروع تنفيذ مدرسة المعلمين تأخر تنفيذه حتى سنة ١٨٨٠ ، على الرغم من جهاد دور بك لإقناع الحكومة بضرورة المبادرة إلي تنفيذه . وهكذا تعطل الإصلاح الذي بدأه " رياض ودور " فى سنة (١٨٧٣ - ١٨٧٤) حتى تهيأت الأسباب بعد ست سنوات حين عاد دور إلى منصبه فى رياسة التفتيش بعد غيبة قصيرة وعين رياض باشا ناظراً للنظار وعاد الرجلان يتعاونان من جديد لتحقيق المشروع القومى للتعليم .

ميزانية التعليم

كان إسماعيل ينفق بسخاء على التعليم فقد كانت ميزانية المعارف فى عهد سعيد لا تتجاوز ستة آلاف جنيه فزادها إسماعيل إلى أربعين ألفاً، ثم بلغت كما ذكر على باشا مبارك إلى ٧٥.٠٠٠ جنيه ، منها ٤٨.٠٠٠ من وزارة المالية (الميزانية العامة)، ٢٠.٠٠٠ من إيراد تفتيش الوادى ، ٧.٠٠٠ من ديوان الأوقاف . وكان التعليم فى

معظم المدارس مجانياً، ثم نقصت ميزانية وزارة المعارف فى أواخر عهد إسماعيل بسبب الإرتباكات المالية التى سببتها قروضه فهبطت إلى ٢٠.٠٠٠ جنيه .(١)

جـــــدول (٧)

والجدول الآتي يوضح ميزانية التعليم فى الفترة من ١٨٦٨ إلى ١٨٧٩

السنة	مربوط الميزانية	عدد المدارس	عدد التلامذة: مجانا	عدد التلامذة: بمصروفات	عدد التلامذة: جملة	عدد المجانية	ما ينفق على التلميذ الواحد
	جنيه مصري						جنيه مصرى
١٨٦٨	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٦٩	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٧٠	٦٧٠٠٠	١٣			١٤٤٨		٤١
١٨٧١	٥٠٠٠٠	٩			١٣٩٤		٣٥
١٨٧٢	٥٠٠٠٠	٩			١٣٩٤		٣٥
١٨٧٣	٤٩٢٤٠	٩			١٤٣٤		٢٧
١٨٧٤	٥١٨٢٠	٩			١٠٨٣		٣٨
١٨٧٥	٦٠٠٨٣	٩	٩٥٨	٢٦٠	١٢١٨	٧٩٪	٤١
١٨٧٦	٦١٣٠٩	٩	٩١٣	٢٠٨	١١٢١	٨٢٪	٤٦
١٨٧٧	٤١٢٦٧	٨	٧٠٦	٩٢	٧٩٨	٨٨٪	٤١
١٨٧٨	٣٥٠٤٠	٨	٦٨٥	٩٠	٧٧٥	٨٩٪	٣٦
١٨٧٩	٤٥١٠٨	٩	١٣٩٦	٧٦	١٤٧٢	٩٥٪	٢٦

المصدر : يعقوب أرتين : القول التام فى التعليم العام – صـ٢٤

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل – الجزء الأول ، صـ٢١١ ، صـ٢١٢

التعـــليم الابتــدائي

حين تولى إسماعيل حكم مصر فى سنة ١٨٦٣ ، كانت المـدارس الابتدائيـة مـن المعاهد الأولى التى توجهت إليها عنايته.[1] ويرجع الفضل فى إنشـاء تلـك المـدارس إلى " شريف باشا " ثـم إلى " عـلى باشـا مبـارك " الـذى فكـر فى تحويـل التعليم فى الكتاتيب إلى التعليم الابتدائي النظامى وكان عدد الكتاتيب وقتئذ خمسة آلاف .

وفيما يلي بيان بما أنشاء إسماعيل من المدارس الابتدائية :[2]

- مدرسة المبتديان بالعباسية أسست ١٨٦٣ ثم نقلت إلى الناصرية ثم إلى المنيرة

- مدرسة رأس التين بالإسكندرية	أسست ١٨٦٣
- مدرسة طنطا	أسست ١٨٦٨
- مدرسة أسيوط	أسست ١٨٦٨
- مدرسة بني سويف	أسست ١٨٧٢
- مدرسة المنيا	أسست ١٨٧٣
- مدرسة القربية	أسست ١٨٧٢
- مدرسة الجمالية	أسست ١٨٧٣
- مدرسة الحسينية	أسست ١٨٧٩
- مدرسة باب الشعرية	أسست ١٨٧٤
- مدرسة مصر القديمة	أسست ١٨٧٩
- مدرسة أبو العلا ببولاق	أسست ١٨٧٢
- مدرسة السيدة زينب	أسست ١٨٧٢
- مدرسة شيخون	أسست ١٨٧٣

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ١٧١

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل : جـ١ – صـ٢٠٦ ، صـ٢٠٧ .

- مدرسة العقادين	أسست ١٨٧٢
- مدرسة النحاسين	أسست ١٨٧٢
- مدرسة الإمام الشافعي	أسست ١٨٧٩
- مدرسة الحبانية	أسست ١٨٧٢
- مدرسة رشيد	أسست ١٨٧٦
- مدرسة الفشن	أسست ١٨٧٩

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة (الصليبية)، وقد كانت مكتباً أنشأته والدة عباس باشا الأول وضم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢، ومدرسة قلاوون والشيخ صالح للبنين ومدرسة محمد سيد أحمد ومدرسة حافظ باشا بالأسكندرية ومدرسة البوصيرى ومدرسة المسجد الحسيني بالقاهرة ثم انتقلت أخيراً إلى شارع فاروق . ومدرسة القبة التى أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولى العهد على نفقته الخاصة .

هذا ويقول " دور بك " فى كتابه : " إذا كان التعليم العالى قد ازدهر ذلك الإزدهار فى هذا العصر، فقد قام التعليم الابتدائي والثانوي على أسس جديدة تماماً. ولأول مرة اعتبرت التربية الشعبية مبدأ رئيسيا مستقلاً عن كل اعتبار عسكرى هذا ولم يكن الأمر مقصوراً على إنشاء عدد من المدارس ، مستقلة عن بعضها البعض تعمل كل واحدة منها فى معزل عن الأخرى، بل صدر قانون نظامى فى ١٠ رجب ١٢٨٤ هـ خاص بالتعليم العام أدى إلى إنشاء مدارس عديدة كونت وحدة تتناسق أعمالها ".(١)

(١) جورج جندى وجاك تاجر : اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، صـ ١٣٠

تعــــليم البنــات

إنشاء مدارس البنات فى مصر فى عهد إسماعيل هى ميزة تـشهد لـه بالفـضل فى نهضة الأمة . فقد كان التعليم النسوى من قبله يعتبر فى حكـم العـدم. إذا لم تكـن فى البلاد سوى مدرسة الولادة ولم يكن يتعلم فيها فى الغالب سوى البنات الحبـشيات، أما الفتيات من سائر الطبقات فلم يكن لهن مدارس لتعلـيمهن وكـان الجهـل مخـيماً عليهن اللهم إلا من كن يتعلمن فى بيوت آبائهن وأهلهن وقليل أولئك ."[1]

أما إسماعيل فكان يعتبر أن البنت هى أم المستقبل، ولا ننسي أبداً أنه بدأ بأسرته وأهتم بتعليم كريماته زينب وفاطمة وغيرهن ليكن على أعلى درجات العلم والثقافـة مثلهن مثل الأميرات الأوروبيات .

وتحـتفظ لنـا الوثـائق التاريخيـة بخطـاب مـن إسـماعيل إلى " لاركـنج " أحـد المسئولين عن التعليم فى بريطانيا تقول الرسالة : " أرجو منك البحـث عـن مدرسـة لابنتي زينب هانم، أود أن تكون بسيطة فى تصرفاتها ذات تربية عالية وثقافة رفيعة . تحسن التكلم بالإنجليزية والفرنسية ويمكنها تدريس العزف على البيانو ".[2]

ومما يؤكد اهتمام إسماعيل بتعليم البنـات، تقريـر بيردسـلى (قـنصل الولايـات المتحدة) إلى وزارة الخارجية الأمريكية :- " أقلع إسماعيل عـن المعتقـدات الباطلـة المتأصلة من قرون فى بلاده، وهى معتقدات ليس لها حتـى عـذر الاتـصال بأصـول الدين، فقرر أن يكف عن حرمان المرأة المصرية مـن منـافع التربيـة، فـأمر أن يكـون تعليم البنات موضعاً لأكبر عناية مـن حكومتـه . لقـد أنـشئت فى القـاهرة مدرسـة للفتيات المسلمات، وهى أول مدرسة من نوعها تأسست فى الـشرق، والعمـل جـار على تنظيم معاهد كبيرة أخرى من ذات النوع . ولاشك أنه ليس مـن اليـسر تبـديل الحالة الاجتماعية للمرأة الشرقية، وتحريرها من هذه العبودية المنزلية التى سلبتها كل

(١) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، صـ٢٠٣

(٢) حسين كفافي : الخديوى اسماعيل ومعشوقته مصر ، صـ١٠١

قيمة فكرية ولكن الخديوى قد عزم على ألا يألوا جهداً لتحقيق هذا الغرض السامى فى مصر، وستثير هذه الثورة الاجتماعية اهتماماً غير عادى، لأنه يتوقف على نجاحها، حل مسألة عدت إلى اليوم حجر عثرة فى تقدم الشرق، ومنعته من السير فى سبيل المدنية الحديثة " .(١)

وفى سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السيوفية للبنات، أنشأتها السيدة جشم آفت هانم ثالث زوجات الخديوى إسماعيل ، وقدمت الأميرة من المال ما يكفي لشراء قصر قديم فى أحد أحياء القاهرة المزدحمة بالسكان (السيوفية) .(٢) وكان بها حين افتتاحها نحو مائتي تلميذة وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ أربعمائة تلميذة يتعلمن مجاناً.(٣)

وجاء فى الوقائع المصرية رقم ٥١٩ الصادرة بتاريخ يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأخر سنة ١٢٩٠ هـ الموافق ٥ أغسطس سنة ١٨٧٣ م ما يأتي : " قبل الآن سبق الإعلان بالأخذ فى إنشاء مدرسة بالسيوفية للبنات على أكمل الخلال والصفات، وفى تاسع جمادى الثانية افتتحت فى ظل الحضرة الخديوية السامية فى حضور أهالى من التحق منهن بها البالغ عددهن نحو المائة والثمانين (١٨٠)، داعين لتلك الحضرة بما استطاعوا من الدعوات الصالحات وجزيل أفضالها شاكرين " .(٤)

هكذا كان إنشاء مدرسة السيوفية للبنات وإقبال الأهالي على إرسال بناتهم إليها حافزاً للتفكير فى إنشاء مدارس أخرى للبنات .

ففى إبريل ١٨٧٣ - أى بعد افتتاح مدرسة السيوفية بنحو ثلاثة أشهر - صدر أمر الخديوى إسماعيل إلى ناظر الأشغال والأوقاف والمعارف بتسليم قصر المسافر

(١) جورج جندى وجاك تاجر : المرجع السابق ، صـ١٣٤ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٣٥٩ .

(٣) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ٢٠٣ .

(٤) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل ، المجلد الثالث من الجزء الثالث ، صـ١١٨٥ .

خانة بالجمالية لجعله مدرسة بحى الجمالية . وكتب الديوان إلى تفتيش المدارس بتسلم القصر والشروع فى عمارته وتقدمت سمو الأميرة " أورطنجة هـانم أفنـدى " حـرم الخديوى الثانية بما يلزم من المال وافتتحت المدرسة سنة ١٨٧٤ بالقربية .(١)

وكان التعليم فى كلتا المدرستين ومدتـه خمـس سـنوات - مثلـه مثـل مـدارس أوروبا التى من نوعها : القـراءة العربيـة ، الكتابـة ، الحسـاب ، الرسـم، الجغرافيـا، الموسيقي، أشغال الإبرة، الطبخ، الغسيل، التدبير المنزلى، زيـادة عـلى تعلـم التركيـة والفرنسية وتلقين القرآن للمسلمات .(٢)

المـدارس التجهـيزيـة

أصدر إسماعيل باشا أمراً فى ٢٧ يناير ١٨٦٣ إلى إبراهيم أدهـم باشـا – وكـان ناظراً للأوقاف والمـدارس بإنشـاء ثـلاث مـدارس : مدرسـتين بالقـاهرة إحـداهما تجهيزية لسبعمائة تلميذ والأخرى ابتدائية لثمانمائة تلميـذ ومدرسـة ابتدائيـة تجهيزيـة بالإسكندرية . وفى ٢٩ شعبان ١٢٧٩هـ (فبراير ١٨٦٣ م) صدر أمر الخـديوي إلى أدهم باشا بالموافقة على الترتيب الذى وضعه لـديوان المـدارس والمـدارس الجديـدة وأقره المجلس الخصوصي ونشط ديوان المدارس لافتتاح المدارس الجديدة .(٣)

وأنشأ من المدارس الثانوية :(٤)

١ – المدرسة التجهيزية بالعباسية أسست ١٨٦٣ ، ثم نقلت إلى درب الجماميز ١٨٦٨ وعرفت بالخديوية .

٢ – مدرسة رأس التين بالإسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣ .

(١) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٣٧٤ ، صـ ٣٧٥ .
(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل – المجلد الأول – صـ٢٠٨ .
(٣) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٣٩٨
(٤) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق صـ٢٠٥

جـــــدول (٨)

والجدول الآتي يوضح عدد التلامذة والمعلمين بالمدرسة الخديوية فى الفترة من ١٨٦٣ – ١٨٧٩

التاريخ	عدد التلامذة	التاريخ	عدد التلامذة	عدد المعلمين
يونية ١٨٦٣	٢٥٠	١٨٧٤	٢٢٩	
أغسطس ١٨٦٣	٤٥٧	١٨٧٥	١٧٨	٣٤
نوفمبر ١٨٦٤	٦١٤	١٨٧٦	٢٢٥	-
مايو ١٨٦٦	٧٠٠	١٨٧٧	١٨٧	-
١٨٦٧	٥٦٤	١٨٧٨	١٨٥	-
١٨٦٨	٤٠٠	١٨٧٩	٢٠٨	-
١٨٦١	٣٠٠			
١٨٧٣	٢٣٢			

المصدر أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ،صـ٤٠٦

المــدارس العـــليا

١ ـ مدرسة المهندسخانة

هى مدرسة الرى والعمارة وسميت باسم المهندسخانة وأنشئت بالعباسية بسراى الزعفران ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى سراى مصطفى فاضل باشا بدرب الجماميز وكان أول ناظر لها إسماعيل مصطفى الفلكى ثم محمود باشا الفلكى ثم عاد إليها إسماعيل الفلكى وكانت الدراسة بها لمدة خمس سنوات منها سنة إعدادية ويتخصص الطالب فى السنتين الأخيرتين إما فى هندسة الري أو العمارة .(١)

٢ ـ مدرسة الحقوق

هى أعظم المعاهد العلمية التى أسسها إسماعيل ، أنشئت عام ١٨٦٨ وكان اسمها مدرسة الإدارة والألسن.(٢) وظلت كذلك حتى يوليو ١٨٨٦ عندما أصبحت تسمى مدرسة الحقوق وكانت مدرسة الألسن قد انفصلت عن مدرسة

(١) رؤوف عباس حامد : جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها ، صـ٢٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي . المرجع السابق، صـ٢٠٢.

الإدارة فى عام ١٨٨٢ واشتملت على قسمين ابتدائي وعالى . القسم الابتدائي فكـان يشمل السنتين الأولى والثانية وكان الغرض منه تخريج المحضر-ين ومـوظفي أقـلام كتاب المحاكم . أما القسم العالى فكان مكونـا مـن ثـلاث سـنوات دراسـية بهـدف تخريج رؤساء أقلام الكتاب وأعضاء النيابة وغـيرهم مـن المـوظفين الـذين تتطلـب وظائفهم ثقافة قانونية.[١] وفى هذه المدرسة تخرج معظم رجال القانون اللذين نبغـوا فى عصر إسماعيل وما يليه من العصور ولها الفضل الكبير فى نهضة القانون والتشريع والقضاء وعلى النهضة الأدبية والسياسية فى البلاد .

٣ ـ مدرسة دار العلوم :

أنشئت سنة ١٨٧٢ والغرض منهـا تخـريج أسـاتذة اللغـة العربيـة للمـدارس الابتدائية والثانوية وانتخب طلابه من نجباء تلاميذ الأزهر . وترجع فكرة تأسيسها أنه لما أنشئت المدارس الابتدائية واتجه العزم إلى الإكثار منها، مست الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة العربية وآدابها فى المدارس الحديثة . فرأى مبـارك إنشـاء مدرسة عالية دعاها دار العلوم لتخريج أولئك الأساتذة واشـتمل برنـامج التعلـيم فيها على العلوم التى لا تدرس فى الأزهر كالحساب والهندسة والطبيعـة والجغرافيـة والتاريخ والخط مع إتقان علوم الأزهر من لغة ونحو وتفسير وحديث وفقـه وتـولى نظارتها على التعاقب فى عهد إسماعيل حامد أفندى نيازى ثم محمود افتدى فوزى ثم على بك فهمى رفاعة ثم حامد افتدى نيازى .[٢]

وكانـت مصـاريفها عـلى مبيعـات دار الكتـب وذلـك ضـمن المتحصـل مـن الكتبخانة من الرسوم بديوان الأوقاف ثم تطورت الأحوال وصارت مصاريفها على ميزانية الحكومة.[٣]

(١) رؤوف عباس حامد : المرجع السابق ، صـ٢٧ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق صـ٢٠٢ ، صـ٢٣٥.

(٣) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل – المجلد الثانى من الجزء الثالث صـ١٠٠٧.

٤ـ مدرسة الطب والولادة

ارتقت مدرسة الطب فى عهد إسماعيل واتسع نطاقها وخرجت جماعة من أعلام الطب فى مصر وتولى نظارتها على التعاقب برجير بك ثم حافظ افندى محمد ثم محمد على باشا البقلي ثم محمد الشافعى بك ثم محمد على باشا البقلي ثم جليارد بك .[1] أما مدرسة الولادة فحين تولى إسماعيل الحكم لم يكن بها سوى أربع تلميذات : امتحنت منها اثنتان فأحسنتا الإجابة فى مبادئ الولادة أما البنتان الأخريان فصغيرتا السن ولم يدرسا شئ سوى مبادئ اللغة الفرنسية وكان تولى إسماعيل بشيراً بحياة جديدة للمؤسسات التعليمية القائمة ومنها مدرسة الولادة . عنيت لجنة امتحان المدرسة فى سنة ١٨٦٣ بإصلاح هذه المدرسة وزيادة عدد تلميذاتها بما يتفق وحاجات البلاد وزاد عدد الطلبة ثم عادت إلى الانكماش مرة أخرى بعد سنة ١٨٧٢ فألغيت الفرقة الخامسة وقل عدد تلميذات الفرق الأخرى حتى وصل فى سنة ١٨٨١ إلى ١٦ تلميذة .[2]

- **ومن المدارس العليا أيضا فى عهد إسماعيل :**

- مدرسة المساحة والمحاسبة : أسست سنة ١٨٦٨ وتولى نظارتها نظار مدرسة المهندسخانة .

مدرسة اللسان المصرى القديم (اللغة الهيروغليفية) : أسست ١٨٦٩ وتولى نظارتها المسيو "بروكش" عالم الآثار المصرية الألمانى . وكان "بروكش" يخرج بتلاميذه من وقت لأخر إلى الصعيد فى النيل ليدرسوا الآثار المصرية القديمة ولكنه لم يستطع أن يكرس وقته كله لتعليم تلامذته .

وبسبب سفر "بروكش" بك وتعذر عودته أقفلت مدرسة اللسان المصرى القديم فى أواخر سنة ١٨٧٤ ووزع ما بقي بها من تلاميذ على السكة الحديد

(١) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق صـ٢٠٣ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٤٧٤ ، صـ٤٧٥ .

والجهـادية.[1] ومن أشـهر خريجى هـذه المدرسـة العـالم الأثـرى الكـبير "أحمـد كمـال باشا".

- فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست ١٨٦٩ والغيت ١٨٧٩
- مدرسة الزراعة أسست ١٨٦٧ وألغيت ١٨٧٥
- مدرسة العميان والخرس للبنين والبنات : أسسـت ١٨٧٥ وتـولى نظارتهـا محمـد أنس بك نجل عبدالله أبو السعود أفندى .
- مدرسة الطـب البيطـرى : أسسـت عـام ١٨٦٨ وتـولى نظارتهـا المسـيو ليونـار، ووكالتها إسماعيل راضى افنـدى وأحيلـت نظارتهـا منـذ سـنة ١٨٧٠ إلي نـاظر مدرسة الفرسان (السوارى).[2]

التعـــليم العســكرى

لما شرع إسماعيل فى تنظيم التعليم الحربـى نقـل المدرسـة الحربيـة التـى كانـت بالقناطر الخيرية إلى قصر النيل ثم إلى العباسية وأنشأ بهذه الجهة عدة مدارس حربيـة أخرى بدل المدارس التى أنشـئت فى عهـد محمـد عـلى وعفـا أثرهـا. واختـار جهـة العباسية لقربها من الصحراء حيث يسهل علي التلاميـذ القيـام بالتمرينـات الحربيـة وضرب النار، ولأنه كان بها السراي الفخمة التي أنشأها عباس الأول والتي كانـت تصلح مقراً للمدارس والمعاهد والثكنات وجعل لهذه المدارس إدارة واحـدة تـدعى إدارة (المدارس الحربية) .[3]

ومن أهم المدارس التى أنشأها الخديوى :

١ – مدرسة البيـادة (المشـاة) : أنشـأها فى سـنة ١٨٦٤ وكـان عـدد تلاميـذها حـين تأسيسها ٤٩٠ تلميذ وتولى نظارتها محمد بك أمين ثم دى برتارى بك ثم منصور

(١) احمد عزت عبدالكريم : المرجع السابق ، صـ٥٧٢ .
(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ١٨٣ .
(٣) عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل – الجزء الأول ، صـ١٨٢

أفندي، ثم محمد رعنا أفندى ثم جعل لها مديري إدارة وهم : محمد كامل افتدى ثم إبراهيم عاصم افندى ثم محمد صالح افندى .

٢- مدرسة السوارى (الفرسان) : أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ وتولى نظارتها الضابط الفرنسى بولار ثم ياور بك .

٣- مدرسة الطوبجية (المدفعية) والهندسة الحربية : أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ٢٨٠ تلميذ وتولى نظارتها " الكولونل لارمى باشا " وكان تلاميذها ينتخبون من بين طلبة مدرسة المهندسخانة .

٤- مدرسة أركان الحرب بالعباسية : أنشئت سنة ١٨٦٥ وتولى نظارتها الكولونل مرشير بك ثم شحاته عيسي بك أحد خريجي بعثات محمد على، ثم باتيل بك ثم عاد إلى نظارتها مرشير بك ثم " لارمى باشا " ويختار تلاميذها من نوابغ طلبة المدارس الحربية أو المهندسخانه وتعد هى ومدرسة الطوبجية من أرقى المدارس العليا التى أسسها الخديوى إسماعيل .

٥- مدرسة الخطرية بالقلعة : أنشئت سنة ١٨٧٤ وهى أقل شأناً من المدارس المتقدمة والغرض منها تخريج صف الضباط، وتولى نظارتها القائمقام خليل عفت بك ولم تمكث طويلاً .

٦- مدرسة صف الضباط : أنشئت سنة ١٨٧٤ وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط اللذين استخدمتهم الحكومة فى الاكتشافات الجغرافية بالسودان.

٧- مدرسة قلفاوات الشيش ومدرسة الجبخانجية : وقد أقفلت هذه المدارس فى أواخر عهد إسماعيل (فبراير ١٨٧١) بسبب إرتباك شؤون الحكومة المالية واضطراب أحولها الإدارية والسياسية وأنشئت بدلا منها المدرسة الحربية المستجدة فى إبريل ١٨٧٩ وعين لارمى باشا ناظراً لها .

ولم تدخر حكومة إسماعيل جهداً فى توفير كل ما يساهم فى النهـوض بـالتعليم العسكرى، فشرعت تدقق في تعيينات التلاميذ وتهتم بهم، كما لم تقصر اهتمامها عـلى مراقبة التلاميذ والإشراف على سلوكهم داخل جدران المدرسة فقط بل أنهـا كانـت تراقبهم أثناء خروجهم فى العطلات . أما المستشفي الذى أنـشأته الحكومـة للعنايـة بصحة التلاميذ فقد كان له دور بارز من حيث الاهتمام بنظـافتهم وتوقيـع الكـشف الدوري عليهم .[١]

التعـــليم الصـــناعى

١ـ مدرسة الفنون والصنائع [٢]

وكانت تعرف باسم مدرسة العمليات ، أسست سنة ١٨٦٨ لتخـريج الـصناع الفنين ومنهم مهندسو الوابورات البرية والبحرية وسواقوها والموظفون الفنيـون فى مصلحة السكك الحديدية وتخرج منها مهندسون لصنع عربـات الـسكك الحديديـة والبواخر والآلات البخارية وتولى نظارتها المسيو جيجـون بـك ثـم عيـسي شـاهين أفندى ثم عاد لنظارتها جيجون بك ومن كبار أساتذتها إسماعيل بوشـناق بـك كبـير مهندسي العنابر بالسكك الحديدية .

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والهندسية ثم التمرينات العملية .

ففى السنة الأولى : يدرس الحساب والجبر والهندسة الوصفية والرسم وفن العمارة واللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

ففى السنة الثانيـة : تـدرس أنـواع الرسـم، اللغـات، الطبيعـة وتطبيقهـا عـلى الصناعات والميكانيكا والجغرافيا والمحاسبة .

وفى السنة الثالثة : تدرس المواد المذكورة مع التاريخ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ورسم الآلات البخارية وتركيبها .

(١) سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي فى مصر فى القرن التاسع عشر ، صـ١٣٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ٢٠٤.

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر التمرينات العلية فى خمسة معامل :

أولها : معمل تركيب الآلات وتصليحها

الثاني : معمل الحدادة

الثالث : المسبك الذى كان يعرف بالدوكمخانة

الرابع : معمل الخراطين والنجارين والعينات التى يطلب عملها

الخامس : معمل قدور قزانات الحديد والنحاس، وفى المدرسة قسم لتعليم التلوين بالألوان المختلفة .

٢- فرقة عمليات المرور : وسميت بذلك لأن ديوان المرور كان يقوم بالصرف على الفرقة الأولى بمدرسة العمليات مع استمرار تعليمهم فى المدرسة، وصرف التعيينات والكساوى لهم أسوة بتلاميذ المدرسة الأصلية وقد أنشئت هذه الفرقة عام ١٨٧٠ وكان بها ١٧ تلميذاً وقد أغلقت عام ١٨٧٢.[1]

٣- قسم لتعليم صناعة النقش وفرش العربات وكان يلتحق به أى فرد يريد أن يتعلم هذه الصناعة وقد افتتح هذا القسم عام ١٨٦٩ وأغلق عام ١٨٧١ .

٤- فرقة التلغراف (المدارس) : وقد الحق تلاميذ هذه الفرقة إلى مدرسة العمليات التى أصبحت تسمي مدرسة العمليات الملكية وتكفل ديوان المدارس بالنفقات الخاصة بهم من ميزانيته بعد أن أشتد الخلاف بين ديوان المدارس وديوان المرور على نفقات تعليم هؤلاء التلاميذ لأنه كان من المتبع أن يرسل ديوان المدارس الطلبة الذين تفصلهم المدارس الحربية لعدم لياقتهم للخدمة العسكرية ويكون لهم معرفة بالقراءة والكتابة إلى ديوان الأشغال العمومية ليلحقهم بفرقة التلغراف .[2]

(١) إميل فهمى حنا شنودة : تاريخ التعليم الصناعى حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – صـ ١٥٠.

(٢) إميل فهمى حنا شنودة : نفس المرجع ، صـ١٥٢ .

البعثات العلمية فى عهد الخديوى إسماعيل

كان إسماعيل هو الأمير الذى انتظم فى صباه فى إحدى البعوث الشـهيرة التـى أرسلها جده إلى أوروبا (بعثة ١٨٤٤)، والذى اتصل بالحضارة الأوروبية وبالمجتمع الأوروبي حين كان يطلب العلم، ثم حين كان يتردد على الدول الأوروبية فى زياراتـه المتعددة. فإن إسماعيل هو الحاكم المستنير الذى يقدر ما لنظام البعـوث العلميـة مـن أثر عظيم فى شتي نواحى النهضة المصـرية عامـة والحركـة التعليميـة خاصـة ولهـذا استمر طول حكمه يرسل البعوث العلمية الى مختلف البلاد الأوروبية.(١)

وقد اختلف الباحثون فى تقدير عدد الطلاب الـذين أرسـلوا إلى أوروبـا تحـت حكم إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) فيقول الياس الأيوبي : " وأما ما كان مـن شـأن الإرساليات المدرسية إلى البلاد الأوروبية ما بين سنة ١٨٦٣ – ١٨٧٩، فقد بلغ عدد الطلبة الذين تألفت منهم (نيفـاً ومائـة واثنـين وسـبعين) وزرعـوا كـالآتى : مائـة وعشرون أرسلوا إلى مدرسة الطب والمدرسة الحربية بباريس وخمسـون إلى مـدارس طورينو العسكرية والملكية وثلاثة فقـط الى مـدارس لنـدن الهندسـية، وبلـغ المنفـق عليهم فى تلك السنوات الست عشرة ١٦٣٠٥٧ جنيهاً .(٢)

ويقول أمين سامى : " بلغ عدد من بعثـوا إلى حـواضر أوروبـا فى عهـد سـمو الخـديوى إســماعيل باشــا لتلقــى دروس الطــب والهندســة والحقــوق والبحريــة والزخارف ومختلف الفنون ١٧٤ طالب والنفقات التى أنفقت عليهم وعلى من كان باقيا من عهد سمو سعيد باشا بلغت ١٦٣٦٥٧ جنيهاً " (٣)

ويذكر عبدالرحمن الرافعى أن إسماعيل أخذ يوفد الطلبة إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ وبلغ عددهم مده حكمة١٧٢ طالـب ، وأنشـأ مدرسـة لأعضـاء البعثـة

(١) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم محمد عـلى الى أوائـل حكـم توفيـق – الجزء الثانى– عصر إسماعيل صـ٦٩٦

(٢) الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل – المجلد الأول صـ٢٢٨ .

(٣) أمين سامى : تقويم النيل فى عصر إسماعيل – المجلد الثالث من الجزء الثالث صـ١٥٧١ .

باريس بدلا من المدرسة التى أنشأها محمد على لهذا الغـرض وأقفلـت بعـد نشـوب الحرب السبعينيه. [1]

جدول (٩)

هذا وتوجهت معظم البعثات العلمية فى عصر إسماعيل إلى فرنسا وكانت وعلى النحو الآتى :

نوع الدراسـة	عدد الطلبة من ١٨٦٣ - ١٨٧٩
الطب والصيدلة	٢٦
الطب البيطرى	٤
التاريخ الطبيعى	٤
الحقوق	٣٤
الهندسة	١٧
الصناعات	٧
الدراسة الابتدائية والتجهيزية	١٩
الرسم	٢
المساحة والمحاسبة	٣
التعليم	٤
غير معلوم	٤
طالبة	١
المجموع	١٢٢

المصدر : سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي فى مصر فى القرن التاسع عشر صـ٢٩٥

كما اتجهت بعثات إلى دول أخرى وكان بيانها كالاتى

البلد	العدد	الملاحظـات
فرنسا	١٥٥	١٢٢ فى عصر إسماعيل ٢٣ بين ستى ١٨٧٩|١٨٨٢
انجلترا	١٤	فى عصر إسماعيل
إيطاليا	١٥	فى عصر إسماعيل، ومنهم طالبان أرسلا قبل ذلك إلى فرنسا
ألمانيا	٥	فى عصر إسماعيل ومنهم طالب كان يدرس قبل ذلك فى فرنسا
سويسرا	٦	فى عصر إسماعيل ومنهم طالبان تحولا إلى فرنسا

المصدر : سامى سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي فى مصر فى القرن التاسع عشر صـ٢٩٦

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، صـ٢٠٨ ، صـ٢٠٩ .

البعثات العسكرية فى عصر إسماعيل

توجهـت معظـم البعثـات العـسكرية إلى فرنـسا لاقتبـاس نظمهـا وفنونهـا العسكرية، وفى سنة ١٨٦٤ استدعى الخديوى بعثة من الضباط الفرنسيين للإشراف على تدريب الجيش المصرى والتدريس بالمدار الحربية، كما وجهت الحكومة المـصرية بعثات إلي باريس سنة ١٨٦٦ لدراسـة المعـادن ثـم بعثـة أركـان الحـرب ١٨٦٧ إلى باريس أيضا وبعثة الثلاثين طالب إلى فرنسا أوائل سنة ١٨٧٠ ."[١]

- تلك كانت الحركة التعليمية بمصر فى عهد إسماعيل، وتلك هي المجهودات التـى بذلت لترقية مستوى الأمة العقلى حتى أصبح عدد المتعلمين فيهـا ٤ ٪ مـن عامـة ذكورها بعد أن كان أقل من واحد فى المائة منهم وذلك فى عهد كانت أرقـى نـسبة المتعلمين فى أكثر البلاد الأوروبية تعليماً ١٥ ٪ فقط وكانت فى روسيا ٢٪ لا غير .

فلا غرابة فيما قال " ده ليون " المؤرخ الأمريكي : " أن ما عملـه إسـماعيل فى سـبيل التعليم العام بمصر كان عظيماً ويعتبر عظيماً فى أى قطر من الأقطار ".[٢]

ويقول " ده ليون " أيضاً: " إذا أردنا أن نعدد كل ما فعله الخديوى من أجل التعلـيم أعوزتنا المجلدات الـضخمة ولم يكفنـا فـصل واحـد . ذلـك لأن مجهوداتـه فى هـذا السبيل جديرة بكل مديح وثناء لما قد أنجزه خلال الأعوام الستة أو الثمانية الماضـية .. على أن أعظم بدعة أحدثها هى محاولة تعليم النساء الوطنيات عـلى نطـاق واسـع تحت إشراف احدى أزواج سموه . وقد أسفر ذلك عن نجاح جدير بالاعتبار.[٣]

(١) سامى سليمان السهم : المرجع السابق ، صـ١٣٧ .

(٢) إلياس الأيوبى : المرجع السابق- جـ١ ، صـ ٢٣٠ ، صـ٢٣١ .

(٣) بيركرابتيس : اسماعيل المفترى عليه، صـ١٤١ ، ١٤٢ .

الفصل الخامس

المشروعات الثقافية

١ ـ دار الكتب

٢ ـ دار الآثار

٣ ـ دار الأوبرا

٤ ـ الجمعية الجغرافية الخديوية

٥ ـ جمعية المعارف

١ـ دار الكـــتب

تعددت جوانب الإصلاح التى نهض بها على مبارك باشا سواء ما اتصـل منهـا بجانب العمران والتشييد أو امتدت إليه يداه فى جانب التعلـيم والتثقيـف . ولـه فى كل منها يد محمودة وفضل مشكور، وكان من مآثره الباقية إنشاء دار الكتب المصرية التى حفظت ذاكرة الأمة وتراثها.[١]

ويرجع تأسيس دار الكتـب إلى عهـد محمـد عـلى ، فقـد أنشـأ مسـتودعاً لبيـع مطبوعات الحكومة فى بيت المال القديم خلف المسجد الحسيني. ولما تـولى إسـماعيل الحكم أضاف إليه نحو ألفي مجلد من المحفوظات العربية والفارسية إبتاعها من تركة حسن باشا المانسترلي (أحد كبار رجال عباس الأول).[٢] ولكن لم يكن هناك وعـى تام بأهمية الكتب التى تمتلكها مصر والتى تتوزع فى المساجد الكبيرة الجامعة وقصور الأمراء والأثريـاء وبيـوت العلـماء، ولم يكـن هنـاك مـا يمنـع مـن الإتجار فى تلـك المخطوطات النادرة، الأمر الذى أدى إلي تردد كثير من التجار الأجانب على القاهرة لشرائها لصالح مكتباتها الوطنية . فانتبه على مبارك إلى خطورة هـذا الوضـع الـذى ينذر بضياع ثروة مصر الفكرية، فرأى ضرورة قيام مكتبة كبيرة تضم شتات الكتـب المبعثرة فى أماكن متعددة حماية لها من الضياع والتبدد .

وقد سبق له أن شاهد أثناء بعثته فى فرنسا مكتبتها الوطنية فى بـاريس فأعجـب بها. فألقي برغبته إلى الخديوى إسماعيل والذى كان يجيش فى نفسه مثل هذه الرغبة . فتلاقت الرغبتين معاً وأصدر الخديوى قراراً بإنشاء دار تجمع المخطوطـات النفيسـة التى سلمت من الضياع والتبديد .[٣]

(١) الموقع الالكتروني للموسوعة الحرة (ويكيبديا) . WWW.Wikipedia.org .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل الجزء الأول – صـ٢٣٦

(٣) الموقع الالكتروني للموسوعة الحرة (ويكيبديا) www.wikipedia.org .

ويقول " على مبارك " : (ثم ظهر لى أن أجعل كتبخانة خديوية داخل الديار المصرية أضاهي بها كتبخانة باريس، فاستأذنت إسماعيل باشا فى ذلك فأذن لى، فشرعت فى بناء الكتبخانة الخديوية بدرب الجماميز، وبعد فراغها جمعت فيها ما تشتت من الكتب التى كانت بجهات الأوقاف، زيادة على ما صار مشتراه من الكتب العربية والفرنجية وغيرها) .[1]

ومن هنا يتضح لنا أن وزراء إسماعيل قد اقتفوا أثره فى التشبه بمدن أوروبا .[2]

وفى ذلك الصدد أصدر إسماعيل أمراً بإنشاء تلك الدار فى سنة ١٨٧٠ م، كما أمر باستحضار حضرات العلماء لكى يعدوا قائمة ببيان أسماء الكتب، وكذلك استحضار من لهم إلمام بالكتب التركية لإعداد قائمة بتلك الكتب، وشراء الكتب التى لا توجد بمصر والشام والحجاز والاستانة أو دول أوروبا ونقلت الكتب الموجودة بديوان المدارس إلى الدار الجديدة .[3]

وتذكر الوقائع المصرية فى عددها رقم ٣٥٢ الصادر بتاريخ ٩ محرم ١٢٨٧ هـ - ١٠ إبريل ١٨٧٠ م :

" أنه فى الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد الماضى شرف حضرة الجناب الخديوى المفخم الكتبخانة الجديدة التى أنشئت فى ظله المديد بمعرفة حضرة سعادة على مبارك باشا، على مقتضى الأصول الهندسية والقوانين المعمارية، فى سراية درب الجماميز التى بها ديوان المدارس فى مكان جميل، مساعد على حفظ الكتب من الآفات، مستجمع للشروط اللازمة من النور وطيب الهواء، وغير ذلك مما هو على طبق مرغوب الجناب الخديوى الكريم حيث كانت رغبته السنية أن يجمع فيها

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية – جـ٣ صـ١٤ .

(٢) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ٢٤ .

(٣) صالح رمضان محمود : المرجع السابق ، صـ٢٤، صـ٢٥ .

الكتب النفيسة التى بخط اليد، المتفرقة فى المساجد القديمة والمؤلفات المطبوعـة بـأن توضع فى دواليب بكيفية مخصوصة يسهل بها مراجعتها لكل من أراد ".[1]

من خلال ما سبق ، أستطيع أن أقول أن : إنشاء دار الكتب فى عام ١٨٧٠ هـى خطوة جعلت مصر تضاهي دول أوروبا، وتأكيداً على أن التعليم والثقافة هما أساس نهضة الأمم .

لذا فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الخديوى إسماعيل الذى زود الـدار وجمـع لها كل ما وصلت إليه يده من الكتب المنسوخة باليد والمصاحف المزخرفة التى كانت مبعثرة فى جميع أنحاء البلاد. ولا ريب أن هذه المجموعة لا تقل فى بابها عـن مجـاميع لندن وباريس وتورين، على أن المجموعة الفارسية التى فيهـا لا يوجـد لهـا نظـير فى العالم بأسره .[2]

ومن هذه المجموعة ومما ضم إليها من كتب خاصة ، كان يقتنيهـا رأس الأسرة العلوية العظيمة (ساكن الخلد) محمد على باشا الكبـير، وأضـيف لهـا مجموعـة مـن آلات التجارب العلمية فأصبحت تلـك الـدار مقصـداً للعلـماء والأدبـاء وطـلاب الثقافة .[3]

وفى سنة ١٨٧٦ توفى الأمير مصطفى فاضل باشا (شقيق الخديوى إسـماعيل)، وكان كلفاً بالكتب العربية وغيرها، حريصـاً عـلى اقتنائهـا، وبلـغ مجموعهـا ٣٠٠٠ كتاب من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب، وإبتاعهـا إسـماعيل بمبلـغ ١٣.٠٠٠ من الجنيهات وأهداها إلى الدار.[4]

(١) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية – صـ١٤١ .

(٢) عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلي قبيل الوقت الحاضر صـ٢٢٨ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته صـ٣٩٠

(٤) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا – المجلد الأول صـ٢٤٢

وقد كانت هذه الكتب وما جمع من المساجد والأضرحة النواة الأولى لدار الكتب المصرية من المجموعات العربية والشرقية، وتكونت نواة الكتب الإفرنجية فى عهد الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٣ مما أهدته الجمعية المصرية التى كونها بعض العلماء الأجانب سنة ١٨٣٦ .[(١)]

وأنفق على الدار من ميزانية المدارس، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف، وسهلت لهم الإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكن الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار . فأدت ولا تزال تؤدى خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية .[(٢)]

وهكذا أصبحت دار الكتب تضارع مثيلاتها التى من درجتها فى العواصم الأوروبية، وأعاد إسماعيل إلى الشرق الأدنى مثالاً من مفاخره العلمية التى ازدهت بها العصور العباسية والفاطمية، وأخرج إلي الأيام الحاضرة تحفة من التحف الرائعة، ومكن ظمأناً إلي العلم والبحث والمذاكرة من ينابيع حية يلجأ إليها فيرتوى .[(٣)]

٢ ـ دار الآثار المصرية

لا يكاد يوجد فى العالم أرض تضارع مصر فى كثرة آثارها القديمة . إلا أن هذه الآثار كانت إلى أواخر أيام محمد على باشا مهملة لا يهتم بها ملوك مصر ولا يفتر قناصل الدول الأجنبية وتجارها عن تبديدها وتهريب ما وصلت إليه أيديهم منها إلى بلادهم .[(٤)]

فلما قدم شامبيلون إلى مصر لدراسة النقوش الهيروغليفية، فكر فى إنشاء مصلحة للآثار بمصر تتولى صيانة الآثار والمحافظة عليها وتنظم أعمال الحفر فى

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته . صـ٣٩٠

(٢) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، صـ٢٣٧

(٣) إلياس الأيوبي : المرجع السابق ، المجلد الأول ، صـ٢٤٢

(٤) عمر الاسكندري وسليم حسن: المرجع السابق ، صـ٢٢٩ .

وادى النيل سنة ١٨٣٠ . ثم قـدم عنهـا تقريـراً إلى محمـد عـلى باشـا مشـيراً فيـه إلى ضرورة إنشاء مثل هذه المصلحة والرسائل التى توصـل إلى ذلـك . ولكـن الباشـا لم يقتنع بما أورده شامبليون من أهمية لحفظ تاريخ مصر .

وقد تحققت هذه الفكرة لأول مرة بقرار أصدره محمد على الكبير فى سنة ١٨٣، فأنشئت نظريـاً مصـلحة للأثـار، كـما أنشـئ متحـف فى ملحـق لأحـدى المـدارس الحكومية التي كانت مجاورة لمنطقة الأزبكية، وتكون مسئوليتها البحث عن الأثار فى أنحاء مصر، وأن يحصلوا من المديريات على ما يوجد من القطع الأثرية وإرسالها إلى متحف الأزبكية .[1]

وفى نفس الوقت أصدر محمد على أمراً بمنـع تصـدير الآثـار، وإقامـة حـراس عليها، وجعل تبعية مصلحة الأثار إلى نظارة المعارف .[2]

غير أن هذه المنشأة لم تؤد إلى الغـرض الـذى كـان ينتظـر منهـا، فـرأت نظـارة المعارف العمومية سنة ١٨٤٩ أن تعهـد إلى " لينـان بـك " لعمـل فهرسـت للآثـار المصرية المكتشفة وجمعها فى مكان واحد يصبح "متحفاً" . إلا أن ذلك لم يضرب على أيدى السرقة والمبددين . وفى خلال هذا الوقت نقلت مجموعة مـن الآثـار الصـغيرة التي كانت بمتحف الأزبكية إلي القلعة، ولم تشغل بها إلا حجرة واحدة .

وفى عام ١٨٥٠ قدم إلى مصر عالم فرنسي هو " مريـت " موفـداً مـن حكومتـه لشراء مخطوطات قبطية، ولكنه اهتم بالآثار المصرية، وشارك فى التنقيب عنها خاصة فى منطقة سقارة حيث اكتشف بها معبد السرابيوم وغير ذلك، ونقل كثيراً مما اكتشفه إلى دار الآثار بالقلعة .[3]

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته . صـ٣٩١

(٢) رأفت غنيمي الشيخ : حضارة مصر الحديثة ، صـ٨٤ .

(٣) رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ،صـ٨٤ .

وفى سنة ١٨٥٥ ، جاء إلى مصر الارشيدوق النمساوى " ماكسميليان " زائراً فأعجبته تلك الآثار، فطلب إلي عباس باشا أن يهبه شيئاً منه، وكان عباس لا يقدر قيمتها الفنية أو التاريخية ولا يشعر بواجب المحافظة عليها فوهبها إياه كلها، وزين بها متحف الآثار فى فيينا .[1]

وفى سنة ١٨٥٨، وبناء على اقتراح " دلسبس " قرر سعيد باشا أن تتخذ الاجراءات اللازمة لإنشاء مصلحة آثار حقيقية ومتحف مصري جديد بالبلاد . وقد طلب سعيد باشا معاونة فرنسا فى تنفيذ مشروعه، وبناء على تزكية دلسبس ثم تعيين " مريت " مأموراً للآثار، وكان يتناول مرتبه والمبالغ اللازمة للعمل من خزينة حددها شامبليون . وكان المفهوم أنه سيجرى الحفائر فى جميع أنحاء القطر فى المواقع التى حددها شامبليون فى مذكراته لكل يحصل على الآثار لتأسيس المتحف المرغوب فيه .

وعمل مريت على زيادة الاكتشافات الأثرية حتي امتلأت دار الآثار بالقلعة، فأمر محمد سعيد باشابنقلها إلى مخازن أعدت لها فى منطقة بولاق، وكان هذا المكان تشغله إحدى الشركات النهرية ببولاق، وكان عبارة عن أربع صالات للعرض ووضع فيه كل ما كان قد عثر عليه فى حفائره الأولى بسقارة، الجيزة، تانيس، أنيروي، الكرنك، ثم ضم إليها فى سنة ١٨٥٩ حلي الملكة آهوتب التي كشف عنها بجبانة الأقصر .[2] ولكن المنية عاجلت سعيد فى سنة ١٨٦٣ .

ثم جاء خلفه إسماعيل باشا فأخذ على عاتقه مشروع المتحف المصري، فقد رأى أن يجمع فى بناء عظيم يقام بميدان الأزبكية غلاوة على الآثار المصرية والآثار اليونانية والآثار العربية، وأن يلحق بالمتحف المجمع العلمي المصري الذى أنشأة نابليون ومكتبته القيمة. وإلى أن يتم هذا، رأي إسماعيل باشا أن تيسر " لمريت "

(١) عبدالرحمن الرافعي : نفس المرجع - الجزء الثاني صـ٢١ .

(٢) وزارة المعارف : إسماعيل بمنابسة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ٣٩٢ .

مهمة الاحتفاظ بآثاره التي أخذت تزداد شيئاً فشيئاً، فوسع المتحف الموجود ببولاق، وأضاف إليه عشراً من صالات العرض ثم افتتحه إسماعيل بنفسه فى حفلة رسمية فى ١٨ أكتوبر ١٨٦٣ . ونتيجة لازدهار المصلحة فى عهد إسماعيل شاركت مصر فى معرض باريس الدولي للآثار عام ١٨٦٧ م، وقد لاقت الآثار المصرية إعجاب الفرنسيين والأوروبيين، وقد طلبت الإمبراطورة الفرنسية " أوجيني " من الخديوى أن يهدي الآثار المصرية المعروضة بمعرض باريس هدية لفرنسا وكاد الباشا يوافق لولا مقاومة " مريت ".(١)

وقد تأثرت عملية التنقيب على الآثار وحفظها بالعسر المالي الذى حاق بمصر فى عهد الخديوى إسماعيل . وفي عام ١٨٧٨ فاض نهر النيل على أماكن بولاق، وقد يغرق الآثار فعني " مريت " بحفظها فى صناديق وبقي محافظاً عليها حتي أعيد افتتاح الدار بعد هبوط نهر النيل فى عهد توفيق باشا سنة ١٨٨٠ .

وفى عام ١٨٩١، وفى عهد الخديوى عباس حلمي الثاني نقلت دار الآثار المصرية من بولاق إلي الجيزة، وظلت بالجيزة حتي عام ١٩٠٢ (وفى سراى إسماعيل باشا) حتي نقلت إلي مكانها الحالي بقصر النيل، وبناء على تصميمات وضعها مهندس فرنسي يدعي (**Dourgnon**) وفاز بها فى مسابقة عالمية وقد افتتحه الخديوى عباس حلمي الثاني فى سنة ١٩٠٢.(٢)

أما بالنسبة لدار الآثار الإسلامية فقد أصدر الخديوى إسماعيل أمراً بإنشائها فى سنة ١٨٦٩ ، وكلف بذلك " فرانس باشا " رئيس هندسة الأوقاف. وكان غرضه منها جمع ما كان مبعثراً فى المساجد وغيرها من الآثار العربية والإسلامية على أنواعها لتكوين تلك الدار ضوءاً للمتحف المصرى المجموعة فيه الآثار الفرعونية والبطلمية والرومانية والبيزنطية. فيكون الأثنان هيكلاً فخماً للتاريخ المصري برمته، ولتنقل

(١) رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ، صـ ٨٥

(٢) وزارة المعارف : اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ ٢٤٢ .

الباحث والزائر من مرحلة إلي مرحلة فى حياة مصر. ولكن عدلاً كثيرة منها اشتغال المكان المطلوب لجمع تلك الآثار حالت دون تنفيذ فرانس باشا أمر إسماعيل فى عهده، فلم تخرج فكرة الخديوى العظيم إلي الوجود إلا فى أيام ابنه محمد توفيق باشا.(1)

صور من اهتمام إسماعيل وعنايته بالآثار

من الأمور التي اهتم بها إسماعيل كانت العناية بالآثار المصرية القديمة، ويتضح ذلك من خلال مطالعتنا إلي ما يلي :

" أمر كريم إلي مفتش قبلي "

(بما أن الآثار الموجودة فى القطر المصرى تساعد على تنوير تاريخ البلاد العام، وتخليد ذكرها، بحيث أن رغبتها العمل على أن تكون جميع هذه الآثار محفوظة فى عهدنا، فإن من مقتضي ارادتنا أن تكتبوا بدوركم إلي المديريين وتنبهوا عليهم تنبيهات مؤكدة لمنع أى شخص منعاً باتاً من تحطيم هذه الآثار أو أخذ أحجار منها سواء لاستعمالها فى منشآتهم الخاصة أو فى المباني الأميرية، ولترتيب الخفراء اللازمين بالأجرة فى حالة طلب مصلحة الآثار ذلك).(2) " فى ٢ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ – ٢١ إبريل سنة ١٨٦٣ "

وهناك حوادث تدل على اهتمام إسماعيل وعنايته بالاثار المصرية :

فالحادث الأول : وقع فى باريس أثناء المعرض العالمي للآثار ١٨٦٧ م، وأعجب الزائرون ببعض القطع المصرية الفنية : مثل شيخ البلد والكاتب وغيرها من التماثيل التي وجدت فى سقارة . وقد فوجئ الخديوى بطلب من الإمبراطورة "أوجيني" للتخلي عن جزء من هذه المجموعة للحكومة الفرنسية . فأجاب

(١) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل ، المجلد الأول ، صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، صـ ١٣٨ ، ١٣٩ .

إسماعيل بأن لا مانع عنده من ذلك ، ولكن يوجد موظف أقوى منه فى هذه الناحية وهو "مريت" مدير المتحف، وهذه طريقة لبقة للرفض، وبالطبع كان جواب مدير المتحف الرفض .

الحادث الثاني : عندما حلت بمصر الضائقة المالية، وكان يشيع بعض أصحاب رؤوس الأموال فى أوروبا أن نية الحكومة المصرية التنازل عن متحفها مقابل استهلاك جزء كبير من ديونها . وكان من السهل أن تفعل مصر ذلك، ولكن إسماعيل رفض، وكان عظيماً فى محنته، جاداً فى تطبيق المبادئ السامية فى عهده .[1]

أما فى مجال العناية بالآثار الإسلامية ، فكما أشرنا سابقاً أن إسماعيل كان صاحب فكرة إنشاء دار الآثار العربية، بالإضافة إلي إصلاح العمائر الإسلامية الأثرية، وفي تشييد بعض العمائر الجديدة على الطراز الإسلامي . ولقد لقيت القلعة قسطاً وافراً من عناية إسماعيل، فأمر بتجديد أسوارها . وسجل ذلك فى كتابة تاريخية على لوح من الرخام، كما أمر بتجميل الطريق الموصل إليها وذلك بإصلاح ميدان الرميلة وتوسيعه وغرس الأشجار فيه .

وأمر إسماعيل ببناء بعض الزيادات فى مسجد محمد على باشا بالقلعة، ووقف على هذا المسجد بعض التحف والمصاحف الثمينة . ومن طريف ما ذكره " على باشا مبارك " أن جامع السلطان شاه فى حي عابدين كان به منبر ثمين من الخشب فباعه ناظر الجامع محمد أفندى الجريدلي إلي أحد السائحين، فلما علم الخديوي إسماعيل بهذا الحادث أمر بنفي هذا الناظر إلي السودان ومعه النجار الذى خلع المنبر، كما أمر بتجديد الجامع وإصلاحه .

كذلك عني إسماعيل بجامع سيدنا الحسين فأمر بتجديده وتوسيعه، وكلف الأمير راتب باشا بإجراء العمارة، ودفع من جيبه الخاص معظم نفقات هذا التجديد.

(١) سامى جبره : العناية بالآثار المصرية – إسماعيل بمناسبة مرور خسين عاماً على وفاته – صـ٣١٣

وأمر إسماعيل أيضاً بتعمير جامع المؤيد، وقد كان هذا المسجدد قد تهدم حتي لم يبق منه إلا جدار القبلة كما جدد فى عهده جزء من الجامع الأزهر، ولاسيما بابه المعروف باسم باب الصعايدة الكبير .

أما منشآته المعمارية على الطراز الإسلامي : فمنها جامع الرفاعي وهو المسجد الشاهق المقابل لجامع السلطان حسن، والذى أمرت بإنشائه السيدة والدة الخديوى إسماعيل، وتولي هو الإشراف على عمارته .

وأنشأ الخديوى إسماعيل جامعاً كبيراً، قبل سراي عابدين عرف باسم جامع عابدين الجديد . وأنشأ مسجداً فى حي الحنفي يعرف بجامع الشيخ صالح أبي حديد. كما أنشأ في عصره عدداً من الأسبلة التركية الطراز مثل سبيل الشيخ صالح وسبيل أولاد عنان .[1]

٣ ـ دار الأوبرا الخديوية

إذا كنا فى هذا البحث نتحدث عن المشروعات العمرانية فى عصر إسماعيل، فإنه كان لزاماً أن نذكر إحدى هذه المشروعات، وهى " دار الأوبرا ". والتي تعتبر أظهر شاهد على الروح العصرية، والوجهة التي اتجه إليها فى طبع البلاد بطابع الحضارة الحديثة فى جميع حياتها العملية والعلمية والثقافية .

والواقع أن مصر لم تعرف فن التمثيل إلا فى عهد الخديوى إسماعيل، ولاشك أنه لون من ألوان الحضارة الحديثة لم يكن لمصر عهد به من قبل . وينسب إلي إسماعيل أنه الذى أنشأ أول مسرح فى مصر، هو المسرح الكوميدى فى حى الأزبكية وذلك فى ٤ يناير سنة ١٨٦٨ وعرضت فيه لأول مرة فى مصر نماذج من المسرح الأوروبي.[2]

(١) محمد زكى حسن : العناية بالآثار الإسلامية - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته - صـ٣١٨ .

(٢) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ ٣٩٣ .

وبعد عام تقريباً كانت هناك مناسبة عظيمة، وهى افتتاح قناة السويس. فـانتهز الخديوى هذه الفرصة ليضع أساساً أمتن، وصرحاً أقوى لفن التمثيل. فأمر بتـشييد دار الأوبرا الخديوية وأسند الإشراف على أعمال البناء إلي المهندس الإيطـالي (بيـترو أفوسكاني) الذى شيد قصر رأس التين لمحمد علي، وأشرف على ديكـورات قـصور العباسية، الحلمية، الجزيرة، وشـبرا ومـسرح سـعيد باشـا بقـصر القبـارى ومـسرح زيزينيا بالإسكندرية . أما تصميم البناء الرئيسي فكان للمهندس الإيطالي " سكالا"، والمبني الخلفي من تصميم المهندس " جيوفاني سالومون " وتراعـي فى البنـاء أيـضا النظريات الصوتية والبصرية .[١]

وإلي جانب التوفيق فى البناء واختيار الأشخاص المناسبة . كان هناك توفيـق فى اختيار المكان ، فقد أنشئت الدار فى مكان يتوسط حيين مهمين من أحياء القاهرة هى حي الأزبكية وحي الإسماعيلية .[٢]

وشيدت دار الأوبرا الخديوية علي طـراز أوبـرا " لاسـكالا " بميلانـو . وكـان أساسها من الأحجار وباقي المبني من الخشب المستورد من لبنان المغطي بالجص .[٣] وقد بلغت تكاليف الإنشاء بحوالي ١٦٠ ألف جنيه .[٤]

وقبل أن يتم البناء، كان العاهل العظيم قد شرع يهيئ لداره الجديـدة تراثـاً فنيـاً خالصاً يشير إلي ماضي مصر المجيـد، فقـام (مريـت) باختيـار قـصة مـن صـفحات التاريخ المصري القديم تصلح نواة لمسرحية شعرية وقـام بنظمهـا الـشاعر الإيطـالي (جيالانزوني)، وعهد الخديوى إسـماعيل إلي الموسـيقار الإيطـالي (فـيردي) بوضـع

(١) عرفه عبده علي : القاهرة فى عصر إسماعيل - صـ ٧٠ .
(٢) وزارة المعارف : المرجع السابق ، صـ ٣٩١ .
(٣) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٧٠ .
(٤) إلياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل ، المجلد الأول ، صـ ٢٩٢ .

موسيقاها، فكانت الأوبرا الخالدة (عايدة). ولكن الظروف حالت دون أن تكون أوبرا عايدة فى افتتاح الدار، ولم تمثل إلا بعد ذلك بعامين (فى ديسمبر ١٨٧١).[١]

وافتتحت دار الأوبرا الخديوية فى أول نوفمبر ١٨٦١ بأوبرا (ريجوليتو) من وضع الموسيقار (فيردي) نفسه وكان بالمقصورة : الخديوي إسماعيل، الإمبراطورة أوجيني، وعاهل النمسا، الإمبراطور " فرانسوا جوزيف " ولي عهد بروسيا، واحتشدت المقاصير وصالة الدار بكبار الشخصيات فى عالم السياسة والأدب والفن فى أوروبا .[٢]

كانت سعة القاعة ٣٠٦ مقعد، وستين مقصورة موزعة على ثلاث طوابق ، بكل مقصورة خمسة مقاعد على الأقل وقد خصصت المقاصير الثلاث الأولي بالطابق الثاني علي اليمين لحريم السراي . وكانت تتصدر واجهة هذا الطابق : قاعة المآدب الرسمية الفاخرة بجوارها قاعة الموسيقيين ثم القاعة الفخمة التي كانت شرفتها تطل علي الميدان وعرفت " بقاعة إسماعيل " وهى على شكل مسرح صغير بمقصورتين تمتدان على الجانبين وترتفعان بمستوي يكفل حجب الحريم فيها عن الرؤية أثناء الحفلات ذات الطابع الخاص. وسقفها محلي برسوم زيتية، تتوسطها أربع لوحات لمغنيات أوبرا شهيرات : " باتي "، " فريتشي " ، " جريا لدي "، " بيكولوميني " ومبني الملحق كان يتكون من ثلاث طوابق، الأول خصص لتغيير الملابس والطابق الثاني لتخزين المناظر، أما الطابق الثالث فقد قسم إلي عدة غرف لحفظ الملابس والآثاثات، فكان وحده متحفاً يضم ثروة فنية هائلة من وثائق كالخطابات، والعقود الموقعة بين فيردي والخديوى، واسكتشات رسمها ماريت لملابس أوبرا عايدة ودروع وسيوف وحلي . وكان يتولي صنعها فريق من أمهر

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ ٣٩٥ .

(٢) عرفه عبده على : المرجع السابق ، صـ ٧٠ .

الحرفيين فى ورشة خاصة بنفس الطابق الذى ضم أيضاً مرسماً للمصوريين، وورشة لحياكة ملابس الروايات الجديدة، وترميم الملابس القديمة .[1]

وامتد موسم الإفتتاح إلي ١٤ مارس سنة ١٨٧٠ ، وشمل ٧٠ حفلة، وهو عدد من الحفلات لم يكن متاحاً فى موسم واحد وفى دار واحدة . وقد شـملت العـروض إبداعات فنية خالدة منها (تروفا توري) ، (حلاق أشبيلية) ، (فاوست) ، (هيلين الجميلـة) ، (اكسـير الحـب) ، (سـميراميس) ، (غـادة الكاميليـا) ، (عـروس الأربعاء السمينة) .

وأخيراً فى ٢٤ ديسـمبر سـنة ١٨٧١ عرضـت أوبـرا عايـدة بعـد سلسـلة مـن المفاوضات والعقبات بحضور الخديوى إسماعيل وكبـار ضـيوفه. وكانـت سـعادته تفوق كل وصف بالنجاح المذهل الذى حققته عايده، مما جعل (درانيت) أول مدير للدار يبرق عقب الفصل الثاني إلي " فيردي " بالبرقية التالية :

" المايســترو فــيردي – جنـوة "

(لقد لاقت أوبرا عايدة نجاحاً يفوق الخيـال، وقـد قوبلـت الخاتمـة الموسـيقية الأولي والثانية وأداء ثنائي السـوبرانو والقطعـة الموسـيقية الكـبري والمشـهد العـام، بحـماس رائـع، ولقـد حيـا الجمهـور، المايسـترو الغائـب بعاصـفة مـن التصـفيق والإعجاب ... كل تهنئتي) .

ولم يقف عمل إسماعيل العظيم عند تزويد مصر بدر للأوبرا كسـائر العواصـم الأوروبية بل ظل طوال حكمه يصرف همته إلي تكون هذه الدار هى المدرسـة الأولي التي يتلقي فيها الشعب المصري أصول الفن . فجعل يجلب لمسرحه الفرق التمثيليـة من أوروبا، وفى عام ١٨٧٨ عرضت عليه أول مسرحية باللغة العربية قـدمتها فرقـة قوامها : سليم نقاش، أديب اسحق، يوسف خيـاط، وقـد شرف الخـديوى العظـيم بنفسه أول ليلة للتمثيل تشجيعاً للفن العربي الناشئ .

(١) عرفه عبده علي : المرجع السابق ، صـ ٧٢ – صـ ٧٤ .

إلي إسماعيل يرجع الفضل حتي أصبحت الدار أشبه بجامعة تلقي فيها الشعب تاريخ الفن بالمشاهدة لاختلاف الروايات وتفاوت أزمنتها وعصور مؤلفيها. من المأساة الأغريقية القائمة على الأسطورة إلي الملهاة الفرنسية والإنجليزية الحديثة، حتى إذا كان العصر الحديث ولد فن التمثيل الغربي وترعرع فى نفس المعهد الذى نشأ فيه. ثم ولدت المسرحية المصرية القائمة على شعور المصري وتفكيره وتعبيره، ومازال الفن يتطور ويترقي، ومازالت دار الأوبرا تقوم بدورها الأول الذى هيأ له العاهل العظيم .(١)

٤ـ الجمعية الجغرافية الخديوية

هي من أهم المنشآت العلمية فى مصر، أسسها إسماعيل باشا ١٨٧٥ ، وكان الغرض منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدوينها ونشرها .(٢) وتوضح لنا الوثائق الرسمية أمر الخديوى بإنشاء الجمعية :- (٣)

" نظرا للفوائد التي تعود على العلوم الجغرافية، والصناعة، والتجارة المصرية من تشجيع استكشاف الأقطار الأفريقية والبلاد المجاورة لها "

فقد أصدرنا أمرنا بما يأتي :

المادة الأولى : تنشأ بالقاهرة جمعية يرخص لها فى أن تسمي الجمعية الجغرافية الخديوية .

المادة الثانية : نوافق على قوانين الجمعية الملحقة بهذا .

المادة الثالثة : تمنح هذه الجمعية إعانة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه .

المادة الرابعة : يعين الأستاذ جورج شوينفوريت رئيساً للجمعية .

المادة الخامسة : يكلف ناظر الداخلية تنفيذ أمرنا هذا

---

(١) وزارة المعارف : المرجع السابق ، صـ ٣٩٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، الجزء الأول ، صـ ٢٤٧ .

(٣) جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، صـ ١٤٢ .

وغـــرض الجمعية هـــو :

١ - دراسة العلوم الجغرافية بجميع فروعها .

٢- استكشاف البلاد الأفريقية المجهولة، أو التي لا يعرف عنها إلا القليل .

٣- تنسيق الدراسات العلمية التي يكون من شأنها ترقية الصناعة والتجارة بمصر .

وهكذا نجد أن أول رئيس للجمعية هو العالم الألماني "جـورج شـفينفورت "، وكان وكيلاه العلامة " محمود باشـا الفلكـي "، والجنـرال " اسـتون باشـا " رئـيس أركان حرب الجيش المصري ."[١]

وتحقيقاً لأغراض الجمعيـة ، تعقـد الجلـسات، وتـصدر مجلـة تنـشر فيهـا محـاضر الجلسات والأبحاث الأصلية، ووصف الـرحلات العلميـة مـشفوعاً بـالخرائط ونبـذاً وإعلانات عن المراجع الجغرافية، وملخصات الكتب، وتعقد الصلات مـع الجمعيـات المهتمة بهذه الموضوعات، وتراسل الرحالة وعلماء الجغرافية والعلوم الطبيعية ."[٢]

وهكذا لم تكن الجمعية الجغرافية الخديوية أداة من أدوات الكمال، أو جمعية يراد بها أن يقال : إن مصر كسائر العواصم بها جمعية جغرافية بـل كانـت ممـا صـدر عـن صميم الفكرة الإسماعيلية لهـا وظيفتهـا ولهـا عملهـا ولهـا نـصيبها فى ذلـك الملـك الأفريقي الضخم الذى ملك لب إسماعيل . فلا عجب أن لقيت الجمعيـة الجغرافيـة من عناية إسماعيل بها ما لقيت منحها رعايته، وأنزلها بقصر من قصوره، وزودها بـما يلزمها من الأدوات اللازمة، وأهدى إليها ٢٥٠٠ مجلد لمكتبتها ."[٣]

٥ ـ جمعـية المعـارف

هي أول جمعية ظهرت فى مصر لنشر الثقافة بواسـطة التـأليف والطباعـة والنـشر، أسسها سنة ١٨٦٨ " محمد عارف باشا " أحد أفاضل العلماء، بناء عـلى رغبـة الخـديوى

(١) عبد الرحمن الرافعى : نفس المرجع ، صـ١٤٧ .

(٢) جورج جندى وجاك تاجر ، المرجع السابق ، صـ١٤٣ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، صـ٣٩٩ .

إسماعيل، وتولي رئاستها ولي عهده محمد توفيق وصدرت لائحة التنظيم لتلك الجمعية تتكون من ثمانية عشرة بنداً لكي يسير أعضاء الجمعية على هداها [1]، وتولي وكالتها ورآستها الفعلية محمد عارف باشا. وتألفت برأس مال موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام، قيمة السهم ثلاثون قرشاً. واقتنت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها، عدا ما كانت تطبعه فى دار الطباعة الأميرية والمطبعة الوهبية، وتولت الجمعية طبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والآداب والفقه.[2]

(١) صالح رمضان محمود : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل ، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ ، صـ ٢٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، صـ ٢٤٥ .

الفصل السادس

المشروعات البحرية

أولاً : ميناء الإسكندرية

ثانيًا : ميناء السويس

ثالثًا : الفنارات

رابعًا : الشركة العزيزية

مقـــــدمة

انتهى النشاط البحرى فى أواخر عهد سعيد باشا إلى حالـة مـن التقهقـر، ومـع ذلك فقد وفر فى الواقع تجربة خاضتها رؤوس الأموال المساهمة ، كـما وفـر خـبرات ملاحية، فضلاً عما وجد من السفن . أى أن عهد سعيد باشا وفر نواة يمكن أن تثمر فى عهد إسماعيل، وهذه النواة إزاء تنوع أو تطور أطرافها أو الظروف الملائمة يصبح لديها القدرة على مزاولة النشاط، ومن ثم تكون البداية .[1]

ولما ارتقى إسماعيل باشا عرش مصر، كانت البحرية المصرية فى حالة سيئة مـن التأخر والضعف، فأخذ إسماعيل فى أوائل حكمه يعنى بتجديـد الأسـطول، فبعـث النشاط فى ترسانة الأسكندرية (دار الصناعة)، وأحيا معاملها ومصانعها، وجلـب لها العمال من الإسكندرية ومن داخل البلاد واستحـضر لهـا الآلات والعتـاد فعـاد إليها نشاطها الذى كان لها فى عهد محمد على، وأنشأ بها بعض السفن الحربية، وجدد المدرسة البحريـة بالإسـكندرية، وأنـشأ مدرسـة بحريـة أخـرى بجـوار الترسـانة، واختارت الحكومة بعض طلابها وأوفدتهم إلى إنجلترا لإتمام العلوم البحرية . وكان منهم (إسماعيل باشا سرهنك) صاحب كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار .[2]

لذلك فقد شهد هذا العهد مشروعات فاقت ما تم فى عهد سلفه، وقـد اخترنـا بعض المشروعات للتحدث عنهـا، وهـى إصـلاح مينـاء الإسـكندرية، إتمـام مينـاء السويس، إنشاء الفنارات وعلامات الإرشاد، تأسيس الشركة العزيزية .

ونظراً لإزدياد حركة السفن التجاريـة وسـفن نقـل الركـاب، اهـتم إسـماعيل اهتماماً كبيراً بإنشاء المواني، وتجديد الموجود منها حتي يـسهل عـلى تلـك الـسفن أن

(١) خلف عبد العظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ – ١٨٧٩ ، صـ١٤٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جـ١ ، صـ ١٩٠ .

ترسو على سواحل مصر المطلة على البحرين الأبيض والأحمر، وكذلك إنشاء المنائر لكي تهدى السفن ليلاً فى البحرين أيضاً .[1]

فكان دائماً يفكر فى جعل مينائي الإسكندرية والسويس وهما أكبر الثغور المصرية على البحرين الأبيض والأحمر على درجة من الاتساع والأمن حتي يتسني لهما أن يباريا أكبر الموانى العالمية فى أهمية حركتهما التجارية .[2]

أولاً: ميناء الأسكندرية

الأسكندرية هى من أهم موانى مصر. وقد بدأ محمد على الكبير هذا الإصلاح، فترك الميناء القديم (الميناء الشرقية) حيث لم تكن تحقق الحماية الكافية للملاحة، وكانت قيمتها محصورة فى استعمالها ملجأ لبعض السفن الصغيرة من الرياح الشديدة، وكان إعدادها يتطلب نفقات باهظة بعكس الميناء الغربية . فأقام محمد على فيها سنة ١٨٣٥ بعض الإصلاحات منها : إقامة ترسانة، وحوضاً للإصلاح ولكنه لم يقدم على إصلاح البواغيز .[3]

ثم حاول سعيد باشا الاهتمام بمشروعات التطوير، وكان قد أمر بإنشاء حوض كبير ومزلقان، ولكن لم يتم العمل لوفاته . لذلك يمكن القول بأن ما أقدم عليه سعيد باشا كان مجرد محاولات لم تتم .

ويذكر " على مبارك " فى خططه : " أنه منذ زمن محمد على باشا لم تعمل أعمال مهمة فى الميناء إلي زمن الخديوى إسماعيل الذى كان يخشي تحول التجارة عن ثغر الأسكندرية لو لا أنه تداركها بهمته العلية . حيث كانت البضائع بمجرد وصولها الي ميناء الأسكندرية كانوا ينقلون بضائعهم بالسكة الحديدية، ثم منها إلي البحر

(١) صالح رمضان : دراسات عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى عهد الخديوى إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ١٩ .

(٢) إلياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا - المجلد الأول - صـ١١٩ .

(٣) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - صـ١٥٣ .

الأحمر، وفى ذلك مشقة وكثرة مصاريف. فبدأت السفن تتجه إلي طريق القنال، وتحول كثير من التجار إلي بورت سعيد فوجه الخديوى أنظاره الثاقبة إلي ميناء الإسكندرية " .(١)

ومن العوامل التي ساعدت إسماعيل باشا بشأن الإسكندرية عدة ظروف لعل فى مقدمتها الاهتمام الحقيقي بوجود بحرية تجارية مصرية، ثم تطور الحركة العامة للتبادل الخارجي للميناء نتيجة ازدهار تجارة القطن، وحركة الركاب فى الفترة التي اختتم بها سعيد باشا، بالإضافة إلي الظروف السياسية وما تخللها من حروب الجيش المصري فى هذا البحر إلي جانب الدولة العثمانية . ويسوق البعض سبباً أخر هو اتجاه للنهضة بالأسكندرية فى مواجهة بورسعيد وقناة السويس حتى لا تفقد ميزاتها كميناء بحرى هام .(٢)

ومن أهم تلك الأعمال التي تمت فى عهد إسماعيل، قيام إدارة ميناء الإسكندرية التي كانت تابعة لنظارة البحرية بترميم رصيف المولص القديم .

وفي عام ١٨٦٨ اشترت مصر من فرنسا حوضاً عائماً طوله ١٤٠ م ، وعرضه ٣٣م، وعمقه ١١ م ، وبلغت تكاليفه ١٢٦.٣٣٦ جنيهاً مصرياً . فسهل بهذا الحوض عمل الترسانة فى إصلاح السفن، ودهان قاعها وهكذا أصبح لميناء الأسكندرية حوضان، الأول ثابت شيد بالأحجار منذ عهد محمد علي، والثاني عائم والذى كان سبباً فى تردد البواخر الأجنبية بكثرة علي ميناء الاسكندرية لتنظيف قاعها، كما مكن من صيانة البواخر المصرية .(٣)

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخمة الذى يقي الميناء طغيان الأمواج، ويجعل السفن الراسية به فى مأمن من العواصف . وهو جسر من الدبش والأحجار

---

(١) علي مبارك : الخط التوفيقية – جـ٧ – صـ٧٦

(٢) خلف عبدالعظيم الميرى : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ – ١٨٧٩ – صـ٦٧ .

(٣) عبده مباشر : البحرية المصرية من محمد علي إلي السادات ١٨٠٠ – ١٩٧٣ – صـ١١٧

الضخمة والصخور ، ممتد من شبه جزيرة جزيرة رأس التين إلي جهة العجمي، وفيه البوغاز لمرور السفن منه . وأنشأ بداخل الميناء رصيفاً للشحن والتفريغ وأرصفة أخرى ممتدة فى داخل الميناء. وقد بدأ العمل في سنة ١٨٧١ ولم يتم إلا سنة ١٨٧٩ . وقد عهد بها الخديوي إلي شركة إنجليزية تدعي شركة " جرنفلد ".(١)

كما شهد الميناء أعمالاً أخرى تمثلت فى تطهيره بالكراكات لكي يسهل على السفن البخارية الكبيرة والرسو على الرصيف مباشرة، وكان البدء فى ذلك سنة ١٨٧٠ .(٢)

ويذكر " على مبارك" أنه : " متي تمت هذه الأعمال تكون مينا الإسكندرية منقسمة إلي مينتين، أحدهما كبري جهة الخارج، والأخرى صغري وهى فى الداخل : وأما الكبري فهي معدة لوقوف السفن الحربية التجارية ومساحتها ٨٣٤ فداناً مصريا وعمق الماء بها عشرة أمتار، والمينا الصغيرة مساحتها ١٧١ فداناً مصريا وعمق الماء بها ١٠٨.٥ ".(٣)

ومما تقرر عمله أيضا سكة حديد على الأرصفة والمولص، وتوصيل ذلك جميعه بسكة حديد القباري، مما يسهل عمليات الشحن والتفريغ . وكان البدء فى هذا العمل سنة ١٨٧٠ وانتهي فى سنة ١٨٧٦ .(٤) وبلغت قيمة ما تقاضته الحكومة من الرسوم سنوياً من السفن الداخلة إلي ذلك المرفأ حتي سنة ١٨٧٧ (١٣٠.٠٠٠ جنيه) .(٥)

كل هذه الإصلاحات أدت إلي زيادة حركة النقل البحرى فى الإسكندرية، فبلغت الصادرات منها ٩٤٪ من مجموع صادرات مصر فيما بين سنتي (١٨٦٣ – ١٨٧٢) بعد أن كانت ٧٢ ٪ فيما بين سنتي ١٨٥٣ – ١٨٦٢ . أما عن السفن

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل – جـ١ – صـ١٩٤ ، صـ١٩٥ .
(٢) خلف عبدالعظيم الميرى : المرجع السابق ، صـ ٧٠ .
(٣) علي مبارك : المرجع السابق ، جـ٧ ، صـ٧٨ .
(٤) علي مبارك : المرجع السابق ، جـ٧ ، صـ٧٩ .
(٥) الياس الايوبي : المرجع السابق ، صـ١٢٢

التجارية التي وصلت الإسكندرية فى الفترة من (١٨٦٣ - ١٨٧٢) فقد بلغ عددها (٣١.٩٠٩) حمولتها (١٢.٤٦٢.٧٠٣ طناً) كما وصلت إليها (١.٢٣٣ سفينة شراعية) و (٧٥١ باخرة) من سبتمبر ١٨٧٧ إلي آخر أغسطس ١٨٧٨ .[(١)]

فيما يلي بيان بعدد السفن التي وصلت ميناء الإسكندرية فى الفترة من ١٨٦٣ إلي ١٨٧٢

(جـدول ١٠)

السنة	عدد السفن	السنة	عدد السفن
١٨٦٣	١٨٠٢	١٨٧٠	٢٨٨٦
١٨٦٤	٤٣٠٩	١٨٧١	٢٩٢١
١٨٦٥	٢٢٨٣	١٨٧٢	٢٩٥٣
١٨٦٦	٣٦٩٨		
١٨٦٧	٣١٨١		
١٨٦٨	٢٦١٦		
١٨٦٩	٢٨٨١		

المصدر : علي مبارك : الخطط التوفيقية جـ٧ ، صـ٧٩

من خلال الجدول السابق يتضح لنا أن عدد السفن قد زاد فى سنة ١٨٧٢ عما كان فى سنة ١٨٦٣ مرة وثمناً، وهذا شاهد واضح على أنه لم يحدث من فتح قناة السويس ما يشوش على ميناء الإسكندرية فى سيره المعتاد . حتي أنه فى سنة ١٨٦٩ والتي شهدت افتتاح القناة بلغ عدد السفن الواردة إلي ميناء الإسكندرية ٢٨٨١ سفينة، ثم أخذ فى الزيادة حتي بلغ سنة ١٨٧٢ م ٢٩٥٣ سفينة . يعني أن الزيادة فى ظرف ثلاث سنين (اثنان وسبعون سفينة) .[(٢)]

(١) أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادي فى القرن التاسع عشر - صـ٢٤٢ ، صـ٢٤٣

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية - جـ ٧ ، صـ٧٩ .

ومن ناحية أخرى فإن الإصلاحات التي تمت جعلت طاقة ميناء الإسكندرية بالغة القوة . وازدهرت المدينة نفسها، وأصبحت مركزاً تجارياً ذا أهمية حيوية، وزاد عدد سكانها من ٦٠٠٠ نسمة فى نهاية القرن الثامن عشر إلي ٢٠٠.٠٠٠ نسمة فى سنة ١٨٧٩ أى نهاية حكم إسماعيل .(١)

وتجدر بنا الإشارة إلي أنه كان من الطبيعي أن تتوقف المشروعات الإصلاحية فى الميناء بعد تفاقم الأزمة المالية فى نهاية عهد إسماعيل . وعامة كان لميناء الإسكندرية مكانة خاصة ومتميزة بين سائر الموانى المصرية، وكذلك من حيث الإصلاحات التي تمت به وقد استتبع الإصلاحات فرض الرسوم على السفن، وهذه الرسوم كانت مصدراً هاماً للإيرادات نتيجة لحركة السفن النشطة .(٢)

ثانياً: ميناء السويس

ميناء السويس كان يبدو قبل افتتاح قناة السويس محطة نهائية للنقل البحرى من وإلي نصف الكرة الشرقي، بالإضافة إلي قربه المكاني من ساحل البحر المتوسط والقاهرة والمناطق الأكثر عمراناً بالدلتا . لذا اهتم محمد سعيد باشا بعد توليه الحكم بميناء السويس، وشرع فى توسيع مرفئها . فأصدر أوامره عام ١٨٥٦ إلي " لينان بك " مدير عموم الأشغال العمومية بإنشاء مرفأ لائق على البحر الأحمر .

وكان من جراء هذا الاهتمام أن شرعت الحكومة فى التعاقد على إنشاء حوض عائم لإصلاح السفن، وعقدت الحكومة عقداً فى سنة ١٨٦٠ مع إحدى الشركات الإنجليزية، ولكن المشروع لم ينفذ . على أنه أعيد النظر فيه ثانيةً فى إبريل ١٨٦٢ ، ووقع عقداً آخر مع شركة " ديسو " الفرنسية لتوسيع الميناء وإنشاء حوض عائم بها

(١) أحمد عبدالهادى : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - صـ١٥٤ .

(٢) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، صـ٧٢

لإصلاح السفن، قدرت تكاليفه ٨.٨٠٠.٠٠٠ فرنك وبلغ طوله ٤٠٢ قدم والعرض ٧٨ قدم .(١)

وعن أسباب إنشاء هذا الحوض العائم، فقد أرجعه البعض إلي عدة أسباب منها : أنه من اقتراح شركة الملاحة الفرنسية على اعتبار أن السويس ميناء ملاحي كبداية ونهاية فى البحر وقريب نسبياً لفرنسا بدلاً من اللجوء لمينائي هونج كونج وبومباى الواقعين تحت النفوذ البريطاني .

وأرجعه البعض الآخر لإنشاء الشركة المجيدية، وحتي يمكن تلبية احتياجات السفن، وأن سعيد باشا فكر فى هذا لما وجد أن دهانات سفنها وإصلاح قاعاتها سنوياً يتكلف كثيراً من جراء إرسالها إلي أوروبا .

ويرجح أن يكون كلا العاملين وراء إنشاء الحوض العائم . فالحاكم كان معنياً بأمور الملاحة، كما أن السفن الأجنبية كان تدفع رسوماً للإصلاح إبان تواجدها بالحوض، وهذه الرسوم كانت تمثل مورداً مالياً، بالإضافة إلي أن وجوده كان يلبي احتياجات السفن المصرية فى هذه المنطقة .

وقد تم تنفيذ هذا الحوض فى عهد إسماعيل باشا، حيث عقد الاتفاق " ١١ إبريل ١٨٦٢ " الذى ينص على الانتهاء منه فى أربع سنوات .

وتجدر الإشارة إلي أنه قد أثيرت مشاكل عديدة مع الشركة الفرنسية أثناء التنفيذ فى عهد إسماعيل وذلك بخصوص استخدام خمسمائة عامل مصري بنظام السخرة وفق المادة ١٨ من عقد الاتفاق الموقع فى عهد سعيد باشا وهو ما منعه الخديوى إسماعيل .(٢)

---

(١) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، صـ٧٨ .

(٢) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، صـ٨٠ .

ولم ينته اهتمام الحكومة بالإصلاحات الملاحية فى ميناء السويس بافتتاح الحوض العائم فى ١١ أكتوبر ١٨٦٦، ولكن هناك مشروعات أخرى ، ففى عام ١٨٦٧ وقع الخديوى إسماعيل شروطاً جديدة مع الشركة الفرنسية تتضمن إنشاء ميناءين، الأول أطلق عليه " ميناء إبراهيم " تخليداً لذكرى والده، وثانيها أطلق عليه " ميناء توفيق " إعزازاً لمكانة ابنه . وقام إسماعيل بربط ميناء إبراهيم بالسويس بسكة حديد أنشأ إلي جانبها سكة عربات .(١)

ويذكر علي مبارك فى خططه : أنه فى شرقي المينين توجد مينا أخرى صغيرة تتبع شركة القنال يقيم عليها رجال القومبانية ، وترسو عليها سفن صغيرة .(٢)

وفى ١٥ مايو ١٨٧١ وضع الخديوى إسماعيل حجر الأساس لأعمال تكميلية أخرى متمثله فى إقامة حاجز الأمواج أمام المرفأين بمساحة ٢٩٠٠ متر وبه فتحة عرضها ١٠٠ متر (بوغاز) لدخول السفن وخروجها، وتقرر الانتهاء من تنفيذه عام ١٨٧٦ . وفى أغسطس ١٨٧٧ تم إصلاح بعض الخلل فى أرصفة ميناء إبراهيم .

وحقيقة الأمر فإن إسماعيل بما أدخله من إصلاحات متنوعة جعل السويس ذات مقدرة تجارية كبيرة، وفتحت أبوابها للتجارة الدولية فزادت فى عهده حمولة السفن التي تدخل الميناء، وتضاعف عدد السكان مرات متعددة عما كان قبلاً .(٣)

ثالثاً: الفنارات

تمهيد :

تعتبر الفنارات وعلامات الإرشاد من أهم الوسائل التي تكفل الإرشاد للسفن وتأمين ملاحتها فى الموانى أو المياه الإقليمية للدولة . وتعتبر مصر من أقدم الأمم

(١) إلياس الايوبي : المرجع السابق ،صـ١٢٠

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ١٢ ، صـ٧٢

(٣) أحمد عبد الهادى : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته - صـ٥٤ .

التي اهتمت بإنشاء المنارات، فقد أنشأ بطليموس فيلاد لفيـوس " منـارة فـاروس " بالإسكندرية فى القرن الثاني قبل الميلاد .[1]

وفى القرن التاسع عشر، يذكر بعض المؤرخين أن الفنار كان عبارة عن قنديل أو مشعل فى أبراج مبنية بجوار البحر توقد في أعلاها النيران أو توقـد فيهـا المصـابيح. وحسبما أشارت الوثائق فإنه كان يستخدم فى إضاءتها الشمع المشترى من مارسيلسـا بفرنسا . ثم استخدم زيت الكلزة الذى كان يتم شراؤه عن طريق الشركة الإنجليزية الشرقية . وقد ذكر البعض أنه تم إنارة فنار بورسعيد كهربياً فى بدايات ١٨٧٠ ، ثـم إلي استخدام زيت البترول فى فنارات البحر الأحمر بدلاً من زيت الكلزة فى منتصـف ١٨٧٥ ، وأشار البعض إلي استخدام زيت الاستصباح فى إنارة هذه الفنارات .

ولما اعتلي إسماعيل باشا عرش مصر أدرك أنه لابد للمواني لكي تقوم بعملها فى النهار والليل من وجود منارات فيها ترشد السـفن إلي أحوافهـا الداخليـة الأمينـة، وتمنع عنها أخطار الشعاب الصخرية .[2]

فحتي عصر إسماعيل لم يكن هناك فنارات علي السواحل المصرـية سـوى فنـار رأس التين بالإسكندرية وفنار زنوبيـا والزعفـران وفنـار الأشرفي وفنـار أبي كيـزان بالبحر الأحمر .[3] وعندما أوشك العمل على الانتهاء فى قنـاة السـويس، وتهيـأ الجـو لسير المراكب فيها، اتجهت أنظار الخديوى إلي ضرورة تنوير ساحل البحـر فـيما بـين الإسكندرية وبورسعيد بفنارات فى نقط معينة من الساحل .

ومما يؤكد اهتمام إسماعيل باشـا بإنشـاء الفنـارات مـا جـاء فى تقريـر القنصـل الأمريكي الذى يقول :

(١) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ،صـ٨٦

(٢) إلياس الايوبي : المرجع السابق ، صـ١٢٢

(٣) أحمد الشربيني : تاريخ التجارة المصرية ١٨٤٠ - ١٩١٤ - رسالة ماجستير - كلية الأداب - جامعة القاهرة صـ٢٠٩

" إذا استثنينا منارة الإسكندرية وقد تناولها الإصلاح فيما تناول ، فإن جميع المنائر المصرية انشئت فى الفترة الواقعة بين ١٨٦٣ و ١٨٧٢ ، بما فيها منارة السويس التي حلت محل النار الطائفة ، ولا أدل على الخدمات التي أدتها إلي الملاحة من قلة الحوادث التي وقعت فى المياه المصرية وندرتها إذا قيست بغيرها، ففي المياه المصرية من البحر الأحمر بوجه خاص وهو البحر الذى كان الملاحون يخشون مخاطره، لم يغرق فى سنة ١٨٧٢ إلا سفينتان من السفن الشراعية الخفيفة جداً . فهنالك الآن لسواحل البحر المتوسط سبع منائر، ولسواحل البحر الأحمر خمس، وهناك أربع تحت الإنشاء ، ثلاث منها للبحر الأبيض المتوسط، وواحدة للبحر الأحمر ".[١]

- **بالنسبة لفنارات البحر المتوسط**

فنار رأس التين الكبير بالأسكندرية وهو منشأ من عهد محمد علي، ثم فنار البرلس والذى أنشئ ١٨٦٨ وكان نوره أبيض ثابت من الرتبة الأولي، وشكل الفنار أحمر على ثلاثة أعمدة مسبوكة مصبوغ أوسطها باللون الحمر والشرقي منها بالأبيض والغربي أسود اللون، وارتفاع الفنار ٥٤ م و٣٠ سم .[٢] وفنار رشيد سنة ١٨٦٨ .

أما فنار دمياط والذى أنشئ سنة ١٨٦٩ تجاه رأس البر[٣]، فقد كان فى مصب النيل ونوره أبيض من الرتبة الثانية يتواري بعد كل دقيقة، أما شكل الفنار فهو أبيض اللون وأعمدته منقوشة بالنقوش البيضاء والسوداء، ووضعه فى مقدار عشرة أقدام فى ارتفاع ٥٤ م و٣٠ سم .[٤]

(١) جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية – صـ١٨٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل ، جـ١ ،صـ١٩٥ .

(٣) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، صـ١٠٠

(٤) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، صـ١٩٥

وفنار بورسعيد فقد ورد أنه كهربائي، يضئ كل ثلاث ثـوان . وهـو بارتفـاع ٥٤ م، والفنار لونه مائي صافي مصنوع من الخراسان . وتم إنـشاؤه سـنة ١٨٦٩ . كذلك تم إنشاء فنار العجمي سنة ١٨٧٣ ، وفنار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦، وفنار القبارى سنة ١٨٧٧ .[1]

فنارات البحر الأحمـر

كان فى البحر الأحمر من الفنارات قبل عصر إسماعيل، فنار زنوبيا (والذي كان مملوكاً للشركة الإنجليزية وتم شراؤه فى مارس ١٨٧١)، وفنـار الزعفـران جنـوب السويس، وفنار الاشرفي، وفنار أبي كيزان .[2]

فرأى إسماعيل أنها غير كافية لإرشاد السفن فى البحر الأحمـر لكثـرة صـخوره ومخاطره، فأنشأ فنارات أخرى وهى :

فنـار الـسويس، فنـار راس الغريـب جنـوب رأس الزعفـران، فنـار صـخور الأخوين الشمالية، وفنار جزيرة شدوان الذى شيده سنة ١٨٨٩ ، وفنـار الوجـه مـن ثغور الحجاز، وأنشأ فى خليج عدن بالأقيانوس الهندي فنار بربره، وأمر بإقامـة فنـار فى جردفون سنة ١٨٧٨ ولكنه لم ينشأ.

- أما بالنسبة للإدارة فإنه لما كانـت مثـل تلـك الإنـشاءات تـستدعي وجـود إدارة تشرف عليها من حيث الإجراءات الفنية والإداريـة والأمنيـة، لـذا صـدر الأمـر بضم فنارات البحر الأحمر التي كانت تشرف عليها الشركة الإنجليزيـة الـشرقية الي الحكومة المصرية فى يونيو ١٨٦٣ ، ويتم تشغيلها عن طريق محافظ السويس .

وفى الإسكندرية كانت إدارة مينائها هى المسئولة، ومن المرجح أن هـذه الإدارة كانت تتبعها فنارات دمياط، البرلس ، رشيد وأصبحت تعرف بمـصلحة الليمانـات والفنارات المصرية، ثم ضم مينائي بورسعيد والسويس ١٨٧٢ م .

---

(١) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق ، صـ١٠٠ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي : نفس المرجع – جـ١ ، صـ١٩٥

أما تكاليف إنشاء هذه الفنارات فقد قدرها البعض بنحو ١٧٠.٠٠٠ جنيه[١]، والبعض الأخر بنحو ١٨٨.٠٠٠ جنيه[٢]، بينما ذكر " إلياس الأيوبي " أنها تكلفت نحو ١٩٩.٠٠٠ جنيه.[٣]

رابعاً : الشركة العزيزية

حقيقة الأمر أن الشركة العزيزية تنسب للسلطان عبدالعزيز، الذى تولي السلطنة فى الفترة من ١٨٦١ – ١٨٧٦ م .

ففي البداية لم يرد التصديق بالفرمان السلطاني رداً علي مكاتبة إسماعيل باشا للباب العالي فى فبراير ١٨٦٤ . ثم صدر الفرمان السلطاني فى مايو ١٨٦٤ الذى نص على أن تكون من مدة الامتياز إلي تسعين سنة، وأن تكون نسبة الربح ٧٪، وأن الشركة منذ هذا التاريخ فصاعداً تكون منسوبة إلي الاسم السلطاني أى العزيزية .[٤]

وتضمن الفرمان عشرة مواد، ولكن من أهم المواد كانت المادة السادسة والتي أشارت " أنه مادامت الشركة منسوبة الاسم السلطاني العثماني، وستبحر سفنها بين مواني السلطة، ومن ثم ما يلزم لها بأى جهة كانت من أدوات ومهمات ولوازم من أى جنس ونوع كان لا يؤخذ عليه رسم جمرك، ولا رسوم أخرى، بل يعاف من ذلك عند جلبه وإحضاره من الخارج " .

وكان هناك مشروع آخر ظاهره بعيد تماماً عن البحرية التجارية، ولكن جوهره متصل تماماً بها وهو مشروع مد السكك الحديدية، من خلال ربط المواني بالظهير، ويكون ذلك فى الجهات التي تستصوب بالأقطار المصرية وملحقاتها وبالمحلات

(١) عبدالرحمن الرافعي : عصر إسماعيل – جـ١ ، صـ١٩٥

(٢) جورج جندي وجاك تاجر : المرجع السابق – صـ١٨٣ .

(٣) بيركرابتيس : إسماعيل المفترى عليه ، صـ١٢٩ .

(٤) خلف عبدالعظيم الميري : المرجع السابق صـ١٦٨ .

التي من الخرطوم إلي اسكلتي سواكن ومصوع . وقد تم التصديق السلطاني فى سبتمبر ١٨٦٤ م .

وكان يتولي قيادة بواخر الشركة ضباط البحرية القدماء الذين تركوا خدمة الأسطول وكان لبواخر الشركة العزيزية فضل كبير فى نشاط حركة التجارة الخارجية لمصر، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأقطار الأخرى، وزاحمت شركات الملاحة الأجنبية فى هذا الصدد . ونجحت فى عملها ونمت إيراداتها . ثم ابتاع الخديوى إسماعيل أسمها وحولها إلي إدارة من إدارات الحكومة، عرفت بمصلحة وابورات البوستة الخديوية فاستمرت فى نجاحها واتسع نطاق أعمالها وصار لها من البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة [١]، تجوب العالم رافعة العلم المصري وتنقل الناس والمتاجر والبريد بين ثغور مصر، وشواطئ البحر المتوسط فى سوريا والأناضول، وبلاد اليونان وشواطئ الدردنيل والبوسفور، وثغور البحر الأحمر كسواكن ومصوع وينبع وجدة والحديدة وتجتاز بوغاز باب المندب إلي زيلع وبربره. [٢]

(١) هى : الرحمانية - التاكا - الفيوم - البحيرة - الشرقية - الدقهلية - طنطا - شندى - شبين - دسوق - كوفيت - سمنود - المنيا - الجعفرية - مسير - المنصورة - المحلة - النخيلة - دمنهور - الزقازيق - الحجاز - الحديدة -ينبع - القصير - سواكن - مصوع .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، صـ١٩٣ .

الفصل السابع

السياحة فى مصر

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

أولاً : مفهوم السياحة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

ثانيًا : الأماكن السياحية

ثالثًا : الأنماط السياحية

رابعًا : الفنادق

أولاً: مفهوم السياحة فى مصر فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر :

شهد عهد إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ تدفق أعداد كثيرة من الأجانب علي مصر سواء للإرتزاق بالأعمال المتنوعة التي أتاحها تنفيذ العديد من المشروعات العمرانية أو من أجل زيارتها لمشاهدة ما بها من أثار والتمتع بالطقس المعتدل الذى تمتاز به عن غيرها من البلدان .

ويمكن القول بأن السبب في زيادة أعداد السائحين يرجع إلي اتباع سياسة الدعاية السياحية لجذب السياح الي مصر . وبدأت أولي المحاولات حين اشتركت مصر في معرض باريس ١٨٦٧، حيث خصص لمصر جناح خاص عرض فيه جميع نواحي نشاطها وتقدمها، وكان بمثابة أفضل دعاية لمصر أمام دول العالم وسببا لجذب مشاهير أوروبا وأثريائها .[1]

ثم كان هناك مناسبة أخرى استخدمت كوسيلة للدعاية السياحية لمصر، تمثلت في افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ . واستغل الخديوى إسماعيل هذه الفرصة أحسن استغلال لإبراز أهمية مصر وتقدمها، حيث سافر إلي أوروبا لدعوة ملوكها وأمرائها لحضور حفل الافتتاح . ومن أهم مظاهر حرص إسماعيل علي إبراز أهمية مصر، تلك المنشآت التي تم تشييدها بخصوص هذه المناسبة مثل :

(دار الأوبرا) ، (المتحف المصري) ، (قصر الجزيرة) ، (طريق الأهرام)، (حديقة الحيوانات) .[2]

(١) السيد السيد أحمد توفيق دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر – صـ ٤٨ .

(٢) تم تناول هذه المشروعات في الفصول السابقة

أثر افتتاح قناة السويس علي انتعاش السياحة في مصر :

كان من أهم النتائج التي ترتبت على افتتاح قناة السويس للملاحة، أن توافدت علي مصر أعداد غفيرة من السياح الذين وصلوا ميناء الاسكندرية في شهر أكتوبر ١٨٦٩، وقد جاء بعضهم علي نفقته الخاصة والآخر نزل ضيفاً علي الخديوي إسماعيل . وانعكس ذلك علي النشاط السياحي، ففي مدينة الإسماعيلية كان من أصعب الأمور علي الضيوف والسياح أن يعثروا علي أسرة شاغرة بفنادق المدينة لأنها كانت دائماً مشغولة بالنزلاء .(١)

ومن أهم الآثار التي اتبعت افتتاح قناة السويس الاهتمام بالآثار المصرية وترميمها فلقد صدرت الأوامر الخديوية إلي مدير إسنا بضرورة إجراء الترميمات اللازمة للأماكن اللازمة لأن الإمبراطورة أوجيني سوف تمر من هذه المنطقة .

جدول رقم ١١

وفيما يلي بيان بأعداد السائحين في الفترة من ١٨٦٣ إلي ١٨٧٢ .

السنة	عدد السائحين	ملاحظات
١٨٦٣	٤٣٣٣٣	من خلال هذه الإحصاء يتضح أن عدد السياح
١٨٦٤	٥٦٢١٢	وصل إلي أعلي معدل له في سنة ١٨٦٩ وهو عام
١٨٦٥	٧٤٩٩٠	افتتاح قناة السويس ثم انخفاض هذه
١٨٦٦	٥٠٣١٧	الأعداد بشكل ملحوظ في عام ١٨٧٠،
١٨٦٧	٤٥٩٥٠	واستمرارها في الانخفاض عام ١٨٧١ .
١٨٦٨	٤٣٥٣٨	وان كان هذا الأمر يرتبط بظروف
١٨٦٩	٧٧٧٧٦	أوروبا السياسية ونشوب الحرب بين
١٨٧٠	٦٤٣٢٨	فرنسا وبروسيا (الحرب السبعينية) .
١٨٧١	٥١٤٨٢	وإن عادت هذه الأعداد إلي الزيادة مرة
١٨٧٢	٦٧٧٧٢	أخرى سنة ١٨٧٢.

المصدر: صالح رمضان : الحياة الاجتماعية في مصر في عصر إسماعيل - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ - صـ٤ .

(١) السيد السيد أحمد توفيق دياب : المرجع السابق - صـ٤٨ .

وفي هذا المقام لابد أن أشير إلي زيارة إمبراطور البرازيل لمصر، والتي تعتبر من الزيارات السياحية ذات المستوي الرفيع التي شهدتها مصر خلال عهد الخديوي إسماعيل.

وتأتي أهمية هذه الزيارة في أن الإمبراطور نفسه أرادها أن تكون بعيد عن الصفة الرسمية، والتقيد بالبرتوكول حتي تكن له حرية التنقل من مكان إلي آخر، والاستمتاع بمشاهدة المناطق الأثرية . حيث كانت الأوامر الصادرة إلي محافظ الإسكندرية وإلي مديرى المديريات التي يرغب في زيارتها بضرورة استقباله بما يليق بمكانته . وليس أدل علي ذلك ما صدر إلي محافظ بورسعيد للتوجه إلي الإسماعيلية واصطحابه في قطار مخصوص . وفي نفس الحال عندما أراد زيارة الوجه القبلي . وفي نهاية الزيارة علق قائلاً : " أنه سر كل السرور مما شاهده مع ماربيت من المباني والآثار المصرية القديمة في الأنتيكخانة وأهرام الجيزة ".

والجدير بالذكر، أن نظرة مصر للسياحة في هذه الفترة لم تكن ذات مغزي اقتصادي لأنه لم يكن هناك حرص من جانب الدولة علي تشجيع السياحة لكي تكون مصدراً من مصادر تمويل الخزانة المصرية . فكان الهدف من وراء تشجيع السياحة والاهتمام بالسياح هو إبراز أهمية مصر . لذا كانت الدولة في أغلب الأحيان تتكفل بنفقات إقامة وانتقال الأمراء والشخصيات البارزة .

وحقيقة الأمر أن احتفاء إسماعيل بهؤلاء لم يكن بهدف خدمة السياحة في حد ذاتها، وإنما كان ذلك من قبيل الأمور السياسية والعلاقات الدولية .

ثانياً: الأماكن السياحية :

تعددت الأماكن السياحية التي حرص السياح الذين يفدون إلى مصر علي مشاهدتها مثل (المتحف المصري) و (القناطر الخيرية) اللذان كانا يستهويان كل من يزور مصر بغرض السياحة أو بأغراض سياسية . فكانت أول زيارة للسلطان

عبد العزيز في أوائل حكم إسماعيل أن قصد المتحف المصرى لمشاهدة ما به من قطع أثرية، وأبدى رغبته في زيارة القناطر الخيرية حيث انتقل إليها في قارب بخاري وأبدي إعجابه الشديد بها.(١)

وتأتى (قناطر التقسيم) ضمن الأماكن التى نالت إعجاب الأجانب . وتعد هذه القناطر من أعظم قناطر الرى في العالم، وكانت ولا تزال محل إعجاب من يشاهدها. وأشار مستر (فولر) المهندس الإنجليزى انه يحسن للسياح اللذين يجيئون إلى مصر لمشاهدة الآثار القديمة أن يشاهدوا الآثار الجديدة، وهى ترعة الإسماعيلية وقناطرها.(٢) وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التواصل الحضاري لمصر، وتنوع المنتج السياحى لها الذي لا يركن إلى ما تركه قدماء المصريين فقط، ولكن أيضا ما تم علي أيدى المحدثين من أبنائها .(٣)

أما المنشآت الحديثة، والتى كان يسمح للسياح بزيارتها (ميناء الإسكندرية) . فبعد حضور الدوق (سترلاند) إلى مصر سائحاً وقبيل أن يغادرها طلب السماح له بمشاهدة ميناء الإسكندرية . وبعد أن أجيب إلى طلبه وأثناء تفقده للميناء أخذ يستفسر عن الأعمال التى تتم داخل الميناء وخارجه . والهدف من ذلك هو إبراز الجهود المبذولة لتطوير الميناء حتى أصبح لا يقل عن موانى الدول الأوروبية .

ومن أهم عناصر الجذب السياحي التى لابد من الإشارة إليها، ألا وهى (دار الأوبرا) والتى تعتبر احد أنماط السياحة الثقافية .(٤) فإسماعيل هو أول من أنشأ مسرح في مصر هو المسرح الكوميدي فى حى الأزبكية فى ٤ يناير ١٨٦٨ . وفى العام

(١) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، صـ٥٤ .
(٢) محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للري في الدنيا – الترعة الابراهيمية ، صـ٨٧ .
(٣) سعاد عمران : نظرية السياحة والأنماط السياحية الدولية ، صـ ٦٣ .
(٤) سعاد عمران : المرجع السابق ، صـ ١٨٣ .

التالى حين سنحت فرصة افتتاح قناة السويس وضع إسماعيل أساس أمتن وأعرق صرح ثقافي وهي دار الأوبرا التي تم تشييدها في ستة أشهر، حتي تقوم بدورها وتؤدي مهمتها وتحمل رسالتها. وها هي حتي الآن تظل المسرح العالمي الكامل العدة العظيم المزايا الذي يحمل مشاعل النور والثقافة .[1]

ومهما كان التجديد والتحديث، فإن الأماكن الأثرية كانت ومازالت من أكثر الأماكن التي يحرص السياح علي زيارتها ومشاهدة ما بها من آثار . وقد ذكرنا خلال فصول هذا البحث مدي حرص اسماعيل واهتمامه بصيانة الأثار . وتؤكد لنا المخطوطات والوثائق والخطابات المتبادلة بين الخديوي اسماعيل ورياض باشا وماريت ما بين سنتي ١٨٦٥ - ١٨٧٩ ، أن إسماعيل العظيم كان يصدر أوامره الخاصة بجمع الآثار والتنقيب، ولا يبخل بالمال في سبيل ذلك، وأن كبار زائري وادى النيل اعجبوا بأعماله الباهرة .[2]

وبمناسبة الحديث عن الأماكن السياحية وعناصر الجذب السياحي، كان لزاماً عليّ أن أذكر اهتمام إسماعيل بالسياحة الداخلية، فلقد استهل بالفعل حكمه بالعمل علي تنشيط السياحة الداخلية . وتمثلت جهوده في طبع كتاب يتناول تاريخ قدماء المصريين وتم توزيع نسخه علي أرباب المعارف والعلوم من أهالي البلاد والأجانب. وهكذا كان إسماعيل هو أول من رفع شعار " إعرف بلدك ".[3]

ومن أهم عناصر الجذب السياحي الداخلي، كانت الحدائق والمنتزهات العامة لاسيما (حديقة الازبكية) بالقاهرة والتي أنشأت في عام ١٨٦٧، وتم افتتاحها في عام ١٨٧٢ . وكانت بمثابة متنفساً للسكان، ومن ناحية أخري كان إنشائها من بين

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، صـ ٣٩٧ .
(٢) سامي جبرة : العناية بالآثار المصرية ، إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، صـ ٣١٣ .
(٣) السيد السيد أحمد دياب : السياحة فى مصر خلال القرن التاسع عشر، صـ٩٩

الأعمال التي ارتقت بالذوق الجمالي للقاهرة، وكيف استطاع إسماعيل أن يحول الازبكية من مجرد بركة إلي آية في الحسن والجمال، وأنشأت بها الجداول والنافورات واستحضرت لها النباتات من مختلف البلاد كالهند والصين والسودان .

لذلك صدرت الأوامر إلي السكة الحديد بإعداد أربع أو خمس عربات لنقل النباتات التي تم شراؤها لحديقة الأزبكية من أحد تجار الإسكندرية .

ومن الحدائق التي أنشأها إسماعيل أيضاً، هي حدائق الأورمان وتعتبر مرجعاً لدراسة أنواع الأشجار والنباتات النادرة التي جلبت من جزر الروم وغيرها من سائر البلدان .(1)

ولا ننسي أيضاً إنشاء حديقة الأسماك بالجزيرة (2)، وحديقة النزهة بالإسكندرية، وغيرها من الحدائق .

ولا ننسي إنشاء كوبري قصر النيل وربط القاهرة بالجزيرة . وحقيقة الأمر أن إنشاء كوبري قصر النيل كان له الفضل في ميل السكان إلي التنزه، ومشاهدة محاسن النيل وجسره البديع والتمتع برياض الجزيرة .

وإذا كنا نتحدث عن الأماكن السياحية في مصر فمن الصعب أن ننسي سيناء هذه البقعة الغالية من أرض مصر ، وطوال عهد إسماعيل زار سيناء العديد من الشخصيات وتنوعت زيارتهم للأماكن الدينية، ودراسة الآثار الموجودة بها . ففي عام ١٨٦٥ زار دير سانت كاترين " نورن " أحد وزراء المعارف السابقين في روسيا . وأثناء الاحتفال بافتتاح قناة السويس للملاحة الدولية سافر إلي سيناء الكثير من رجال الدين، وكثرت أيضاً البعثات التعليمية والأثرية إلي سيناء في هذا العهد .(3)

(١) مصطفي فهمي : القصور والمنشآت : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، صـ٣٧٥ .
(٢) محمود رمزى : قاهرة إسماعيل : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته ، صـ٣٧٨.
(٣) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، صـ ٧٢ .

ثالثاً: الأنماط السياحية

من الأمور الثابتة أن السياحة في مصر في القرن التاسع عشر لم تكن مقتصرة علي نوع واحد من أنواع السياحة بل شملت مختلف الأنواع[1]، وكما سبق أن ذكرنا أنه كان هناك تنوع في المنتج السياحي .

ومن أهم الأنماط السياحية في هذه الفترة :

- **السياحة الثقافية** : وهي تعتبر أهم أنماط السياحة، ليس في ذاك الوقت وإنما حتي الآن . وسيظل هو الأهم، لأن المنتج السياحي المصري يعتمد في المقام الأول علي المقومات الحضارية المختلفة في الأماكن الأثرية، ودار الأوبرا، والمهرجانات وغيرها من عناصر السياحة الثقافية . ويعتبر المتحف المصري، أهرمات الجيزة هي قبلة السياح الأولي فى مصر، وبصمات إسماعيل واضحة وضوح العين في هذين المقامين . وكذلك دار الأوبرا التي كانت منذ إنشائها وحتي الآن منارة للثقافة والإشعاع العلمي .
- **السياحة الموسمية** : وهي عنصر يعتمد علي اعتدال مناخ مصر واتخاذ مصر مشتي بالنسبة للأوروبيين . وقد ذكرت الوقائع المصرية في عام ١٨٧٥ إلي إن إعداداً من السائحين وصلت إلي مصر لقضاء فصل الشتاء فيها .[2] وهكذا يعتبر المناخ مقوم جذب سياحي طبيعي .
- **ممارسة هواية صيد الطيور** : ويطلق عليها علماء السياحة اسم " سياحة الاهتمامات الخاصة ".[3] وكانت الدولة تقدم لمن يمارس هذا النمط كل المساعدات الممكنة،

(١) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، صـ ٥٦ .

(٢) السيد السيد أحمد دياب : المرجع السابق ، صـ ٥٧ .

(٣) سعاد عمران : نظرية السياحة والأنماط السياحية الدولية ، صـ١٨٧ .

وكانت من أهم مقاصد هذا النوع من السياحة هي دمياط . والسبب في ذلك أنها تشرف علي بحيرة المنزلة التي تتميز بوجود أنواع كثيرة من الطيور .

- **السياحة العلاجية** : لقد جاء الاهتمام بهذا النوع من أنواع السياحة عقب اكتشاف المياه الكبريتية في حلوان . وتبع ذلك الاهتمام بهذه المنطقة وتنميتها، فلقد قام الخديوي إسماعيل بتعيين طبيباً خاصاً لحمامات حلوان، وأنشئ لوالدته قصراً بها عام ١٨٧٧ . وتوالت بعد ذلك الإنشاءات، وجذبت الكثير من الأثرياء للإقامة بها، وقصدها العديد من الأجانب لتمضية فصل الشتاء فيها . وعملاً علي تسهيل الانتقال من وإلي حلوان تم مد خط حديدي يبدأ من ميدان محمد علي بالقلعة إلي حلوان . فأصبحت هناك سهولة في الذهاب إليها .

ولم تكن المياه الكبريتية في حلوان هي المكان الوحيد الذي جذب السياح إليه من أجل الإستشفاء بل كان بمقدور السياح أن يذهبوا إلي عيون موسي، وليس أدل علي ذلك من أن نشير هنا إلي ما كتبه قنصل أمريكا في ٢١ أكتوبر ١٨٦٩ عن اختفاء أحد السياح الأمريكيين بعد مغادرته فندق فيكتوريا في السويس لزيارة عيون موسي وانقطعت أخباره بعد أن استقل قاربا لعبور البحر الأحمر .

وهناك أمر هام يجب عدم إغفاله في هذه الفترة وهو اشتراك مصر في العديد من المعارض والمؤتمرات والتي تعتبر إحدي وسائل الجذب السياحي لما تتضمنه من وسائل دعاية وإعلان ، ومن أشهر المعارض التي اشتركت بها مصر : (١)

(١) حسين كفافي : الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر ، صـ١٠٦ ، صـ١٠٧ .

جـــــدول ١٢

المعـــــرض	البلد	السنة
معرض باريس	باريس	١٨٦٧
المعرض العالمي للزراعة وتربية دود الحرير	ليون	١٨٧٢
المعرض العالمي للزراعة وتربية دود الحرير	فيينا	١٨٧٣
معرض فلاحة البساتين	كولونيا	١٨٧٥
معرض فيلادلفيا	فيلادلفيا	١٨٧٦
المعرض الدولي للنبات وفلاحة البساتين	أمستردام	١٨٧٦
معرض مؤتمر الصحة والتجارة	بركسل	١٨٧٦
المعرض العالمي	باريس	١٨٧٨

رابعاً : الفنـــادق

كان من الطبيعى أن يرتبط إنشاء الفنادق فى مصر بالزيادة المستمرة فى أعداد السائحين و التى شهدتها مصر فى هذه الفترة . ولقد أنشأت الفنادق فى كل من الآسكندرية ، القاهرة ، السويس [1].

ويشير على مبارك الى أن الفنادق الموجودة فى القاهرة وحدها عام ١٨٧٧ بلغ عددها ١٦ فندقاً[2].

وكانت توضع ضوابط خاصة بإقامة السائحين وحق الداخلية فى تفتيش هذه الفنادق ومعاقبة كل من لا يلتزم بهذه الضوابط .

(١) السيد السيد أحمد ديلب : المرجع السابق ، صـ ٨٤

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية – الجزء الأول ، صـ ٩٤

ويذكر " زين العابدين شمس الدين" أن الفنادق قد ظهرت مبكراً فى بورسعيد منذ سنة ١٨٦٥ ، وكان أصحاب الفنادق يرسلون بالأدلاء و المترجمين لجذب النزلاء إليها عند وصول السفن [١]. وكانت الفنادق تخصص العربات التى تنقل فيها النزلاء من و الى محطات السكك الحديدية [٢].

(١) زين العابدين شمس الدين : بورسعيد تاريخها و تطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ الى ١٨٨٢ ، صـ ١٢١

(٢) السيد السيد أحمد ديلب : المرجع السابق ، صـ ٨٦

الخاتمـــة

من خلال هذه الدراسة أستطيع أن أقول أن المشروعات العمرانية فى فترة البحث كان لها تأثير كبير على السياحة.

فالمشروعات العمرانية فى القاهرة و الإسكندرية كان لها تأثير كبير فى جذب السائحين من خلال المتنزهات و الحدائق و روعة البناء و العمران ، وتزويد الشوارع بغاز الاتارة و مياه الشرب و شبكات المجارى • الأمر الذى جعل من القاهرة مدينة أوروبية الطراز و شرقية الطباع ويشعر السائح فى القاهرة و كأنه فى أى بلد أوروبى ، ففيها من وسائل الترفيه و التسلية ما تجده فى مختلف العواصم الأوروبية.

أما الإسكندرية فهى عاصمة البلاد الثانية و ثغرها على البحر المتوسط ، وهى أحد أهم المقاصد السياحية التى استطاعت بفضل ما تم بها من مشروعات عمرانية أن تجذب المزيد من السائحين إليها . وكان ميناء الإسكندرية محطة الوصول الأولى و مزاراً يستحق المشاهدة .

أما إنشاء الإسماعيلية فكان إعلانا بميلاد مزاراً سياحياً و مقصداً هاماً ومحل جذب للسائحين.

وجاء الاهتمام بمشروعات النقل و المواصلات وخاصة السكك الحديدية التى استطاعت أن تربط بين مدن مصر مما أدى إلى سهولة الانتقال و زيارة الأماكن السياحية و الوصول الى صعيد مصر حيث مهد الحضارة المصرية القديمة . أما البريد و التلغراف فهما مظهران من مظاهر التقدم و المدنية ، سهلا معاً اتصال الأجانب فى مصر بأسرهم و ذويهم ، ونقل أخبار مصر وأهم مشروعاتها . وتجلى ذلك من خلال

مراسلات قناصل الدول الى حكوماتهم ، فكان ذلك وسيلة دعاية سياحية غير مباشرة .

وجاء افتتاح المشروع العملاق (قناة السويس) الذى كان بمثابة إعلان عن انتقال مصر من المحلية الى العالمية ، وما ترتب على هذا الافتتاح من مشروعات كان لها تأثير بالغ فى الحركة السياحية الوافدة إلى مصر .

ثم يأتي الاهتمام بالمشروعات الثقافية و خاصة دار الآثار (المتحف المصرى) الذى إن دل على شئ إنما يدل على العناية بالآثار التى هى أهم عنصر جذب سياحى يجذب السائحين لمشاهدة روعة الحضارة المصرية القديمة .

وفى رأيي الشخصى أن السياسة السياحية فى مصر فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتسمت بالتكامل و تدل على رؤية ثاقبة تدل على التواصل الحضارى وتنوع المنتج السياحى الذى جمع بين أصالة الماضى ممثلة فى الآثار وبين المشروعات العمرانية الحديثة التى شهدتها هذه الفترة مثل الترعة الإبراهيمية ، قناطر التقسيم ، ميناء الإسكندرية ، دار الأوبرا ، الحدائق ،................. الخ .

الملاحق



المغفور له الخديوي إسماعيل باشا

ملحق رقم (١)

ملحق بأهم البحوث التي ألقيت بالجمعية الجغرافية الخديوية [(١)]
من سنة ١٨٧٥ إلي ١٨٧٩

جلسة الافتتاح ٢ من يوليو ١٨٧٥ – الدكتور شفينفورت : أهمية الدراسات الافريقية

" ١٧/ ٢/ ١٨٧٥ – الدكتور ينكر : عن رحلة حديثة له فى الصحراء اللوبية ".

" ٢٦/ ١/ ١٨٧٦ – فرديناند دلسبس : الجغرافية القديمة لبرزخ السويس " .

جلسة ٢٦/ ١/ ١٨٧٦ – ستون باشا : بعثات واكتشافات هيئة أركان حرب الجيش المصري بالسودان .

٢٦/ ١/ ١٨٧٦ – الدكتور شفينفورت : مذكرة عن بحيرة ألبرت ومنابع النيل

١٨/ ٢/ ١٨٧٦ – دور بك : مذكرات هاجناخر عن الحبشة

١٨/ ٢/ ١٨٧٦ – الدكتور شفينفورت : أحدث المعلومات عن إقليم البحيرات الاستوائية، وعن رحلة كمرون .

٢٤/ ٣/ ١٨٧٦ – بونولا : الرحالة الإيطاليون بإفريقية (القسم الأول)

٢١/ ٤/ ١٨٧٦ – كولستون : القبائل البدوية بالسودان المصري عموما، وبكردفان خصوصا .

٢١/ ٤/ ١٨٧٦ – ماركيزدى كومبين : الاقزام فى افريقية الوسطي

٢١/ ٤/ ١٨٧٦ – ماريت باشا : الاقزام فى مصر القديمة

٢١/ ٤/ ١٨٧٦ – هجلبن – الأقاليم المضافة حديثاً لمصر

٢١/ ٤/ ١٨٧٦ – كرون : خطاب للسير بارتل فريد عن مشروع بناء السكك الحديدة فى أفريقية الوسطي .

٢٦/ ٥/ ١٨٧٦ – جسفيلد : عن رحلة حديثة له فى أفريقية الغربية

(١) وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته .

٢٦/ ٥/ ١٨٧٦	– بونولا : الرحالون الإيطاليون فى إفريقية (القسم الثاني)
٢٦/ ٥/ ١٨٧٦	– ماركيزدى كومبيين : الحبشة حسب وصف رافراى
٢٦/ ٥/ ١٨٧٦	– شيروتي : العرب فى الشرق الأقصى
٥/ ١/ ١٨٧٧	– دور بك : السودان الشرقي بحسب مذكرات فنزنجو باشا
٥/ ١/ ١٨٧٧	– باسون : دارفور
٥/ ١/ ١٨٧٧	– لونج بك : عن رحلة حديثة له فى أوغندا وإلي بلاط الملك تينيزا
٢/ ٢/ ١٨٧٧	– روسي بك : رسالة مصر فى إفريقية
٢/ ٢/ ١٨٧٧	– الكولونيل مختار بك : مقالة عن هرر
٢/ ٢/ ١٨٧٧	– فرديناند دلسبس : مذكرة عن مشروعات تقدم المواصلات فى آسيا الوسطي .
جلسة ١١/ ٥/ ١٨٧٧	– ستون باشا : رحلة ستانلي فى إقليم البحيرات
١١/ ٥/ ١٨٧٧	– الكونيل مختار بك : مقالة عن هرر (تكلمة البحث)
١٧/ ٢/ ١٨٧٨	– ماسون بك : مقالة عن بحيرة ألبرت
٢٢/ ٣/ ١٨٧٨	– ستون باشا : بعثات سمو الخديوي فى بلاد النوبة
٢٢/ ٣/ ١٨٧٨	– متشل : مناجم الحمامات القديمة
٢٦/ ١/ ١٨٧٩	– الدكتور ينكر : رحلاته فى أفريقية الاستوائية
٢/ ١/ ١٨٨٠	– محمد بك صادق : رحلة للمدينة المنورة منذ عشرين عاما

هذا، وقد خصصت الجمعية جلسة ١٥ من مارس ١٨٩٥، للإشادة بذكرى (المغفور له) الخديوي إسماعيل، تحدث فيها عن مآثره شفينفورت، وأبات باشا، وإسماعيل باشا الفلكي، كما تحدث فيها بونولا بك عما أداه سموه الدراسات الجغرافية وللجغرافيين .

ملحق رقم (٢)

اتخاذ السياح مصر مشتي [1]

الوقائع المصرية : العدد رقم ٦٣٤ بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٧٥ .

المتراءي أن فصل الشتاء في هذه السنة يكون بمصر هيناً حتي ورد من الآن إليها السياحون وكثير من الأجانب المعتبرين زمراً للتمتع بأهويتها المعتدلة .

(١) السيد السيد دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر

ملحق رقم (٣)

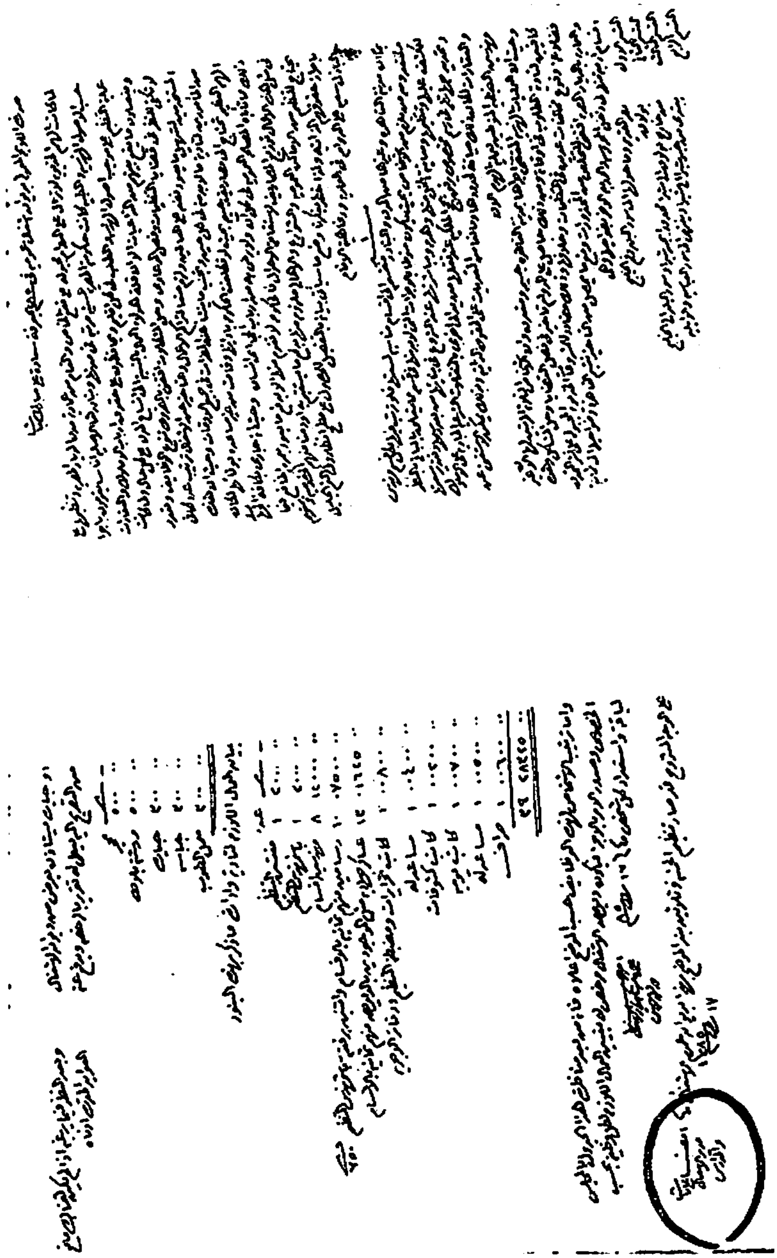
الإشارة بحسن النظام في الفنادق [١]

الوقائع المصرية : العدد رقم ٥٨٦ بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤

قدم هنا جناب البارون (دونوتوتب) سفير بلجيكا ببرلين سائحاً نزل في لوكاندة (غراني أوتيل) التي بالأزبكية وهو من مشهوري المعتبرين في فن الدبلوماسية فلهذا قبل عند الحضرة الفخيمة الخديوية بكمال الرعاية والاحترام وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر شوال ١٨٧١ ركب وابور مخصوصاً للسياحة في الجهات القبلية وفي عزمه بعد العودة الإحاطة بها في مصر المحروسة من الآثار والأمكنة الشهيرة والمرور بالقنال من أوله إلي أخره وروي عنه بعد تحادث معه من الذوات أنه متعجب مما رأه في مصر من الترقي والانتظام اللذين كانا لا يخطران له ببال وفي تلك اللوكاندة النازل فيها التي لا يوجد مثلها في أغلب مدن أوروبا الشهيرة .

(١) - السيد السيد دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر .

ملحق رقم (٤)



الورقة الأولى من لائحة التنظيم الإدارى للقاهرة التى أعدها على باشا مبارك

المصدر : عرفة عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١- أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٧٥ .

٢- أحمد عبدالرحيم مصطفي : مشكلة قناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥٤ - محاضرات معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .

٣- أحمد عبدالهادى : نهضة البحرية التجارية والتشريع البحري - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٤- أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي الي أوائل حكم توفيق - ثلاثة أجزاء - وزارة المعارف العمومية - القاهرة- ١٩٤٥ .

٥- أحمد فكرى : القاهرة في عهد إسماعيل : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٦- السيد السيد أحد توفيق دياب : السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر دراسة في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي - مصر النهضة - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٤ .

٧- السيد فهمي : طرق المواصلات - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٨- إلهام محمد علي ذهني : مصر في كتابات الرحالة البريطانيين في القرن التاسع عشر - مكتبة زهراء الشرق - الطبعة الأولي - القاهرة - ٢٠٠٣ .

٩- إلياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا ، مجلدين - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٣ .

١٠- إميل فهمي حنا شنوده : تاريخ التعليم الصناعي حتي ثورة يوليو ١٩٥٢ وزارة الثقافة - مؤسسة التأليف والنشر - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ .

١١- أمين سامي باشا : تقويم النيل في عصر إسماعيل - المجلد الثاني والثالث من الجزء الثالث - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٣٦ .

١٢- أندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة - ترجمة لطيف فرج - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٤ .

١٣- بيير كرابتيس : إسماعيل المفترى عليه - ترجمة فؤاد صروف - دار النشر الحديث - القاهرة - ١٩٣٧ .

١٤- جان لوك أرنو : القاهرة - إقامة مدينة حديثة - ١٨٦٧ - ١٩٠٧ - ترجمة حليم طوسون - فؤاد الدهان - المجلس الأعلي للثقافة - القاهرة - ٢٠٠٢ .

١٥- جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلي الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديمة - الجزء الثاني - مطبعة الهلال - القاهرة - ١٩٢٥ .

١٦- جورج حليم كيرلس : قناة السويس أهم قنوات العالم - تقديم مشهور أحمد مشهور - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ .

١٧- جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٧ .

١٨- حامد سليم : بعض نواحي تاريخ الزراعة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

١٩- حسين كفافي : الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٤ .

٢٠- حلمي أحمد شلبي : فصول في تاريخ تحديث المدن - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٨ .

٢١- حسن الحطيم : تقدم البريد في عهد إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٢٢- خلف عبدالعظيم الميري : تاريخ البحرية التجارية المصرية ١٨٥٤ - ١٨٧٩ . - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢ .

٢٣- رؤوف عباس حامد : جامعة القاهرة ماضيها وحاضرها - مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي - ١٩٨٩ .

٢٤- رؤوف عباس حامد : مصر في القرن التاسع عشر – دار النهضة العربية – القـاهرة - بـدون تاريخ .

٢٥- رأفت غنيمي الشيخ : حضارة مصر الحديثة – القاهرة – ٢٠٠٠ .

٢٦- زين العابدين شمس الدين : بور سعيد – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٧ .

٢٧- سامي جبرة : العناية بالآثار المصرية إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته – مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة – ١٩٤٥ .

٢٨- سامي سليمان السهم : التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسـع عشر – الهيئـة العامة للكتاب – سلسلة تاريخ المصريين . القاهرة – ٢٠٠٠ .

٢٩- سعاد عمران : نظرية السياحة والأنماط السياحية الدولية – مركز جامعـة القـاهرة للطباعـة والنشر – القاهرة – ١٩٩٨ .

٣٠- شحاتة عيسي إبـراهيم : القـاهرة – الهيئـة العامـة للكتـاب – مكتبـة الأسرة – القـاهرة – ١٩٩٩.

٣١- عباس الطرابيلي : شوارع لها تاريخ – سياحة في عقل الأمة – الهيئة العامة للكتاب – مكتبـة الأسرة – القاهرة – ٢٠٠٠ .

٣٢- عبدالرحمن الرافعي : عصر اسماعيل . جزأن – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٠ .

٣٣- عبدالرحمن الرافعي : مصر المجاهـدة في العصر الحـديث – الحلقـة الرابعـة (الثـورة العرابية والاحتلال وإخلاء السودان) – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القـاهرة – ١٩٥٨ .

٣٤- عبدالمنصف سالم : قصور الأمراء والباشوات في مدينـة القـاهرة في القـرن التاسـع عشر – الجزء الأول – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة – ٢٠٠٠ .

٣٥- عبده مباشر : البحرية المصرية من محمد علي إلي السادات – ١٨٠٥ – ١٩٧٣ – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٥ .

٣٦- عرفة عبده علي : القاهرة في عصر إسماعيل – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – ١٩٩٨ .

٣٧- علي مبارك : الخطط التوفيقية – عشرين جزء – مطبعة بولاق – القاهرة – ١٣٠٥ هـ .

٣٨- علي مبارك : الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية (نسخة مأخوذة عن الجزء السابع من طبعة بولاق) – مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز – القاهرة – ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٣٩- عمر الأسكندري وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلي قبيل الوقت الحاضر - مطبعة المعارف - القاهرة - ١٩١٦ .

٤٠- فاطمة علم الدين : تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال - مصر النهضة - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٨ .

٤١- لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطني الديمقراطي بالإسماعيلية : الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية - بدون تاريخ .

٤٢- محافظة الإسكندرية : تاريخ الإسكندرية وحضارتها - بدون تاريخ .

١- محافظة الإسماعيلية : صفحات مضيئة من تاريخ الإسماعيلية - بدون تاريخ .

٢- محمد إسماعيل حب الرمان : أعظم ترعة للري في الدنيا " الترعة الإبراهيمية " - القاهرة - ١٩٠٠ .

٣- محمد أمين حسونة : مصر والطرق الحديدية - القاهرة - ١٩٣٨ .

٤- محمد صبحي عبدالحكيم : مدينة الإسكندرية - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ .

٥- محمد فهمي لهيطة : تاريخ مصر الأقتصادي في العصور الحديثة - دار النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٤ .

٦- محمد كامل نبيه : المنشآت الهندسية العامة - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

٧- محمد محمود الصياد : النقل في البلاد العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة - ١٩٥٦ .

٨- محمد مصطفي صفوت : إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١ - الجمعية الملكية للدراسات التاريخية - مكتبة أدوات البحث التاريخي والوثائقي والنصوص - القاهرة - ١٩٥٢ .

٩- محمود جلال الدين الجمل : بور سعيد ملتقي الشرق بالغرب - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٥٤ .

١٠- محمود رمزى : قاهرة إسماعيل - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

١١- محمد زكي حسن : العناية بالآثار الإسلامية - إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

١٢- محمود محمد الجوهرى : قصـور الرجعيـة – الـدار القوميـة للطباعـة والنشرـ – القـاهرة – ١٩٦٤ .
١٣- مصطفي فهمي : القصور والمنشآت - إسماعيل بمناسبة مـرور خمسـين عاماً عـلي وفاتـه – مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة – ١٩٤٥ .
١٤- وزارة المعارف : إسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاماً علي وفاته – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٤٥ .
١٥- يعقوب أرتين : القول التام في التعليم العام – مطبعة بولاق – القاهرة – ١٨٩٤ .

ثانياً: المقالات والمواقع الإلكترونية :

١- الموقع الإلكتروني لجامعة القاهرة www.cu.edu.eg (مقالة بعنوان جذور جامعة القاهرة) .
٢- الموقع الالكتروني لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء .
٣- الموقع الكتروني للموسوعة الحرة www.wikipedia
٤- الموقع الالكتروني www.alexculture.gov.eg
٥- جريدة الجمهورية : العدد رقم ١٧٧٥٥ بتاريخ ٨/ ٨/ ٢٠٠٢ .

ثالثاً: المراجـع الأجنبية

1- Cameron, D. A : Egypt in the 19th century, london – 1899 .
2- Dicay , E ., : the story of the khedivate, London, 1902 .

رابعاً: رسائل جامعيـة

١- إبراهيم صبحي السيد غندر ثابت : " أعمال المنافع العامة بالقاهرة منـذ بدايـة القـرن التاسـع عشر وحتي منتصف القرن العشرين " رسالة دكتـوراه – كليـة الآثـار – جامعـة القـاهرة – ٢٠٠٤ .
٢- أحمد الشربيني : " تاريخ التجـارة المصرـية في عصرـ الحريـة الاقتصـادية ١٨٤٠ – ١٩١٤ " رسالة ماجستير – منشورة – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٨٥ .
٣- أحمد حلمي السيد سـليمان : " الـري في مصرـ وآثـاره الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية ١٨٠٥ – ١٩٢٣ " رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ٢٠٠٥ .

٤- حامد علي دسوقي : " النظام الإداري في مصر في عهد إسماعيل " رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٧٩ .

٥- صالح رمضان محمود : " دراسات عن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الخديوي إسماعيل " رسالة ماجستير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٦٥ .

٦- عبدالمنصف سالم حسن نجم : " الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشوات في القرن التاسع عشر " رسالة دكتوراه - منشورة - كلية الآثار - جامعة القاهرة - ٢٠٠٠ .

٧- محمود محمد الآلفي : " العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن التاسع عشر - أسرة محمد علي بالقاهرة - ١٨٠٥ - ١٨٩٩ " رسالة دكتوراه - كلية الهندسة - قسم العمارة - جامعة القاهرة - ١٩٨٦ .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع — الصفحة

فهرس الأشكال والصور والخرائط

فهـــرس الجداول

فهـــرس الملاحـــق